

ملف العدد :

# مع القرآن

# رسالة الْهُجُم

إسلامية ثقافية شاملة



٢٦

العدد السادس والعشرون - السنة السابعة - ربيع الثاني ١٤٣٢ هـ - مارس ٢٠١١ م

اقرأ في أفق

- ♦ مع القرآن في العقيدة والعمل.. حوار مع سماحة الشيخ أحمد الشهابي
- ♦ مكانة القرآن عند المسلمين
- ♦ إشارات أخلاقية من القرآن الكريم
- ♦ والعصر.. منهج حياة
- ♦ ملامح الإبداع في التجربة التفسيرية للشهيد الصدر قده
- ♦ القراءات السبع.. نشأتها وحيجيتها

Resalat Alqalam



# رسالة القلم

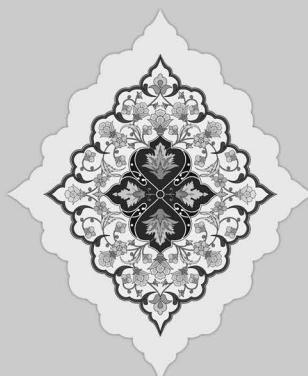
## إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن  
طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية  
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:  
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:  
عزيز حسن سلمان
- مدير التحرير:  
عبد الرؤوف حسن الريبع
- رئيس هيئة التحرير:  
خازبي عبد الحسن إبراهيم
- هيئة التحرير:  
حسين علي أبو رويس  
حسين فؤاد المرزوقي  
محمد باقر خليل الشيخ  
محمد علي خاتم





## كلمة العدد

٣

رئيس التحرير

المصطفى عليه السلام، والقرآن الكريم

## حوار العدد

٦

حوار مع سماحة الشيخ أحمد الشهابي (حفظه الله)

مع القرآن في العقيدة والعمل

## ملف العدد: مع القرآن

١٨

من خطبة سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

مع القرآن

٢٢

محمد علي خاتم

مكانة القرآن عند المسلمين

٣٥

عيسى جاسم القفاص

إشارات أخلاقية من القرآن الكريم

٦١

السيد مرتضى السيد مجید السندي

والعصر... منهج حياة

٩١

محمد علي العربي

ثواب السور من كتاب قديم

١٢١

صادق سليمان المبارك

ملامح الإبداع في التجربة التفسيرية للشهيد الصدر

١٤٣

التفسير الموضوعي.. خصائصه، أسسه، وضوابطه

السيد

يا حسين

السيد

قاسم

الموسوى

(القسم الأول)

١٦١

غازي عبد الحسن السماءك

جمع القرآن الكريم

١٧٦

جعفر علي المالكي

القراءات السبع

١٨٤

قصي الشيخ علي العربي

قرائنا والقواعد الأصولية والفقهية (القسم الأول)

## المصطفى ﷺ والقرآن العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل على محمد وآل محمد.  
القرآن كلام الله تعالى مع البشر شرفهم بذلك، وبه يرفع  
درجاتهم، وفيه أحكامه وسبله وهداه. ومن تمسك به فاز في  
الدارين. يقول الرسول ﷺ: «القرآن هدى من الضلاله،  
وتبيان من العمى، واستقالة من العترة، ونور من الظلمة، وضياء  
من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من  
الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد  
عن القرآن إلا إلى النار»<sup>(١)</sup>.

وأول من تشرف بتلقيه وسماعه وكُلف بإيصاله إلى الناس هو  
خيرهم وأفضلهم وهاديهم الرسول الأعظم ﷺ: «وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى  
الْقُرْآنَ مِنْ لَدْنِ حَكِيمٍ عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>، فأدّى عليه وآله هذا الحمل الثقيل إلى  
الناس، بعد أن كانت سيرته وأخلاقه وأفعاله وقلبه وضميره قراناً  
يسيراً بين الناس. فلم يجد الله تعالى أحداً أولى به عليه وآله لحمل رسالة  
القرآن وإيصالها إلى العباد.

فهناك تلازم وتزاوج بين القرآن وبين النبي ﷺ، فمن أراد معرفة  
النبي ﷺ وعظمته ومقامه الحقيقي فعليه أن يتأمل في آيات  
القرآن الكريم، ومن أراد معرفة القرآن وحقائقه فعليه بقراءة سيرة  
النبي ﷺ وسلوكه وأخلاقه، فهو القرآن الناطق.

ولقد جاهد عليه وآله وآ祚ي وتحمل كل المصاعب والمحن من  
أجل إيصال رسالة القرآن إلى أكبر عدد من الناس. ورغم صعوبته  
المهمة، ومواجهته الكفار له، واتهامه بالجبن والسلحف (حاشاه عليه وآله)

إلا أنه لم يفتا يدعو ويتلو آيات الله تعالى على من يراه ويدعوه إلى التوحيد. والحديث عما أصاب النبي الأعظم عليه السلام من أذى وتعذيب وإهانات ومضائقات، وصبره على ذلك كله مما يؤلم قلب المؤمن الحب لهذا النبي الكريم، والهادي العظيم. ولتعلم المؤمن بأن كل خير وصل إليه فمن خلال رسول الله عليه السلام. يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيَرْكِيمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

فهذا القرآن العظيم الذي نتلوه فنحس بالطمأنينة، لم يكن ليصل إلينا لو لا جهاد النبي عليه السلام وصبره العظيم، وتحمله لأقصى أنواع المواجهات والعقاب النفسي والمعنوي والبدني. فحقه علينا أن نذكره عليه السلام كلما فتحنا القرآن وتلوناه.

ومن أهم حقوقه عليه السلام علينا هو المحافظة على رسالة القرآن التي أوصلها إلينا، بالدراومة على قراءته، وتعلم أحكامه، وتطبيق تعاليمه وقيمته، فعنده عليه السلام: «يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله فيما حملكم من كتابه، فإني مسؤول وإنكم مسؤولون، وإني مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأما أنتم فتسألون عمّا حملتم من كتاب الله وستنتي»<sup>(٤)</sup>. فمن يهجر القرآن في حياته فإنه يتسبب في حزن النبي عليه السلام ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبَّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(٥)</sup>.

وتشجيعاً منه عليه السلام في تعلم القرآن ورد عنه قوله: «تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له القرآن: أنا الذي كنت أسررت ليلك، وأظمئت هواجرك، وأجففت ريقك، وأسللت دمعتك، أوول معك حينما إلت، وكل تاجر من وراء بخارته، وأنا اليوم لك من وراء بخاره كل تاجر، وسيأتيك كرامة من الله تعالى فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه، ويعطى الأمان بيمنه، والخلد في الجنان بيساره، ويكسى حلتين ثم يقال له: اقرأ وارقه، فكلما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلتين

إِنْ كَانَا مُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمَا: هَذَا لَا عَلِمْتُمَاهُ الْقُرْآنَ»<sup>(٦)</sup>.  
وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا: «مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ رَجُلًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ فَقَدْ صَقَرَ عَظِيمًا وَعَظِيمًا صَغِيرًا»<sup>(٧)</sup>.

وفي هذا العدد من هذه الجلة الكريمة ارتاتينا أنَّ خصَّصَه كاملاً للقرآن الكريم، ووفقاً لذلك؛ إذ لمْ نوقِّعْ سابقاً في أن يكونَ عدد كامل حول محور معين ما عدا العدد الأول والذي كان حول عاشوراء، والذي شدَّجَّعنا على ذلك أيضاً هو شعار المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين لهذا العام (١٤٣٢هـ) والذي كان تحت عنوان (مع القرآن... وعيَاً والتزاماً ونصرة).

لَعَلَّنَا نَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ أَدَّيْنَا -وَلَوْ بِشَكْلٍ مُتَوَاضِعٍ- شَيْئاً مِنْ حُقُوقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَحُقُوقِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِأَيْدِينَا جَمِيعاً وَيُوَفِّقَنَا لِلسَّيِّرِ عَلَى نَهْجِ كِتَابِهِ الْمَجِيدِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

رئيس التحرير

### المواهش:

- (١) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٠.
- (٢) النمل: ٦.
- (٣) آل عمران: ١٦٤.
- (٤) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٦.
- (٥) الفرقان: ٣٠.
- (٦) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣.
- (٧) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٥.

# مع القرآن في العقيدة والعمل

حوار مع سماحة الشيخ أحمد الشهابي (حفظه الله)<sup>(١)</sup>

حاوره: حسين علي أبو رويس

الحمد لله تبارك وتعالى على نعمة القرآن، الذي أقام به الحجّة والبرهان، وجعله في أبهى صورة وأروع بيان، وأنزله باعثاً للسكينة والاطمئنان، وله الشكر وغاية الامتنان، على ما حبنا به من بركة الإيمان، فنرجوه الأمان والأمان، يوم تقشعرّ فيه الأبدان، وتهتز فيه الأركان، إلا من أتى الله بقلب سليم.

القرآن هو رسالة السماء الخالدة، وأمانة الله الباقي، وهو الميثاق المحفوظ، والعهد المصون، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو وصيّة النبي العظيم، ووديعة الرسول الكريم، فهل أدى المسلمين حق هذه الأمانة، وهل حفظوا حرمة هذه الوديعة، أم أنها ضيعت فأهملت، وتركت فنسخت؟!

من هنا تلتقي أسرة مجلة رسالة القلم مع سماحة الشيخ أحمد الشهابي حفظه الله لتناقش معه مسألة الاهتمام بالقرآن على المستوى الفردي والاجتماعي، علّها تضع اليد على بعض نقاط الخلل فيُسعى لإصلاحها، أو تبيّن شيئاً من مواطن الزلل فيُعمل على التخلص منها.

## ✿ سماحة الشيخ .. ما هي المكانة والمقام اللذان جعلهما الإسلام للقرآن

الكريم؟

❖ بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـهـ الطيبـيـنـ الطـاهـرـيـنـ.

لدينا عنوان قد عُنون به القرآن الكريم، وهذا العنوان عبارة عن كونه (الدستور) الذي أنزله الله تبارك وتعالى وخاطب به عباده، وهذا الدستور يشتمل على بعدين: (البعد العقائدي، والبعد العملي)، ففي مجال البعد العقائدي يتعرّض القرآن للأمور التي يريد الله تعالى أن يعتقد العبد بها، كما أنه في مقام الجانب العملي يريد أن يوضح السلوكيات العملية التي يجب أن يقوم بها الإنسان في حياته الدنيا، سواء كانت هذه السلوكيات مرتبطة بجانبه الفردي مع الله تعالى، أو بجانبه الفردي تجاه المجتمع، وأن الإنسان في حياته وفي وجوده الذي يليق به أن يكون في مرتبة وفي مقام متقدم جداً من الله، ويحصل على رضا الله تعالى، باعتبار أن الإنسان يبحث دائماً عن سعادته، وسعادته متوقفة على هذا الأمر، متوقفة على أن يكون قريباً من الله تعالى، وبقدر ما يكون قريباً يكون سعيداً، وبقدر ما يكون بعيداً عن الله يكون شقياً، فهذه التعاليم التي جاءت في القرآن الكريم هي التي توصل الإنسان إلى سعادته، فهو بالاعتقاد بالأمور الصحيحة التي يُمليها القرآن عليه، وبالإتيان بالأعمال التي يطلبها القرآن منه، يكون في مقام قرب من الله، ويتمتع برضاء الله تعالى، عند ذلك يمكن له أن يكون سعيداً، فبقدر ما يريد الإنسان أن يكون سعيداً عليه أن يرتبط بالقرآن، فالقرآن هو الذي يتحقق له هذا الأمر، وبقدر ابعاده عن القرآن يتعرّض للشقاء والعناء، سواء كان في الدنيا، أو في الآخرة، فإنَّ القرآن كما تبيّن الآيات القرآنية بأنه ليس كفياً بتحقيق السعادة في عالم الآخرة فقط، وإنما يتحققها أيضاً في عالم الدنيا، فالذي يريد أن يسعد في

الدارين عليه أن يرتبط بالقرآن فيما يتعلق بالآخرة، وفيما يتعلق بالدنيا، وبقدر ما يبتعد الإنسان عن القرآن يتعرض للعناء الدنيوي والعناء الآخروي، فإذا كان هذا الكتاب يحقق لنا هذه الأمور، وبالتالي تتضح لنا الأهمية التي يعكسها القرآن الكريم في حياة الإنسان، سواء كانت دنيوية، أو أخرى.

ولا يمكن أن تحصل على كتاب يمكن أن يعني به الإنسان في الدنيا يمكنه أن يتحقق هذه السعادة الدنيوية والأخرى، كل كتاب من الكتب التي يكتبها كبار العلماء تتناول جانباً من جوانب الحياة فقط، ومع كونها مشتملة على جانب واحد فحسب فالمعلومات التي فيها يمكن أن تكون صائبة وتوصل الإنسان للسعادة في هذا الجانب، ويمكن أن تكون خاطئة فلا توصله للسعادة، وإذا أوصلته توصله بنحو ناقص، مهما تعب العالم في تأليف وتصنيف هذا الكتاب، بينما عندما تشاهد القرآن فهو كتاب من الله تعالى، ومعنى ذلك أنه لا يتطرق إليه الخطأ في أيٍّ بعد من أبعاده، وباعتبار شموله للدنيا بكلٍّ نواحيها، وهكذا بالنسبة إلى الآخرة، فهو يتحقق سعادة شاملة للإنسان، ومطلقة أيضاً، فإذا كانت شاملة ومطلقة فلا يمكننا أن نحصل على أيٍّ كتاب من الكتب مشتملاً على هذا الأمر، فلا بد أن يكون الاهتمام بالقرآن بقدر ما يحمل من شموليته وإطلاقه، وبقدر ما يحصل سعادة الإنسان.

❖ مفهوم (التدبر) من المفاهيم التي جاءت كثيراً في الروايات، وقد ذكره القرآن الكريم أيضاً، فما هو المقصود منه؟

❖ المطلب المذكورة في القرآن الكريم والتي يريد الله تعالى أن تستوعبها مرّة تكون كلٌّ هذه المطلب مذكورة مباشرة وعلى نحو الدلالة المطابقية، وهذا لا يمكن؛ لأنَّ ذلك معناه ألا يكون القرآن بهذا الحجم، وإنما لا بد أن يكون دورة كبيرة جداً، هذا عندما يريد أن يبيّن كلٌّ شيء على نحو الدلالة المطابقية، هذا مع

أن القرآن يدعى لنفسه بأنه تبيان لكل شيء، والله تعالى ما فرط في الكتاب من شيء، فمعنى ذلك أن هناك شمولاً، فإذا هذا الشمول يريد أن يذكره الله تعالى كله على نحو الدلالة المطابقية فلا بد حينها أن يكون القرآن دورة كبيرة جدًا، ليس بمستوى البحار بل تفوق البحار بأضعاف، فلا بد أن تشتمل على آلاف المجلدات، وإذا كان القرآن بهذه الصورة فإن القارئ لا يطلع عليه، فالقرآن وهو بهذا النحو الذي يجمع ستمائة صفحة والناس زاهدة في قراءته، فما بالك إذا كان يضم آلاف المجلدات، فلذلك فإن القرآن اتخذ هذا الأسلوب، بأنه يذكر بعض الدلالات المطابقية، ولكنّه يعتمد كثيراً على الدلالة الالتزامية، والمدلائل الالتزامية القارئ هو الذي يصل إليها، وهذا يحتاج إلى تفكّر، وتأمل، وتدبر، وربط الآيات مع بعضها البعض، حتى يستفاد من هذه المعاني، ولذلك فمع التأمل الذي يتأمله الإنسان لا بد أن تراجع مدرسة أهل البيت عليه السلام، باعتبار أنهم باستطاعتهم استنباط هذه اللوازם، فعلى أي حال القرآن كتاب مملوء بالمعاني، ومفتاح هذه المعاني هو الاعتماد على الدلالة الالتزامية، ومفتاح الدلالة الالتزامية هو التأمل والتفكير، فعندما تنظر للأية لا تشاهد إلا معنى واحداً فقط تقوم بمعالجته، وهو منسجم مع المدلول المطابقي، ولكن إذا تأملت في الآية تنفتح لك أبواب كثيرة، ويتبين لك بأن الآية تريد أن تعالج الكثير من المشاكل، فبقدر ما تتأمل في الآية تستطيع أن تتوصل لمعانٍ كثيرة لا يمكن أن تصل لها مباشرة على نحو الدلالة الظاهرة، بل لا بد من التأمل، فنتيجة لأن القرآن مشتمل على معارف كثيرة، ولا يمكن إيداعها جميعها بنحو مباشر، فلا بد أن يستفاد من الطرق غير المباشرة، ولكي تستفيد المعنى المبين بالطريقة غير المباشرة، تحتاج للتأمل، تحتاج للتفكير، فكلّما استطعنا أن نفكّر أكثر استطعنا أن نستبني معانٍ أكثر من القرآن.

## ✿ هل المنظور إليه في قراءة القرآن الكريم الكم أو الكيف؟

❖ ليس هناك من إشكال في أن المراد من قراءة القرآن هو الاستفادة، والذي يريد أن يستفيد من القرآن لا بد أن يعني بجانب الكيف، فليس هناك فائدة في الاهتمام بجانب الكم، وحينما أقول ليست هناك فائدة أقصد بذلك القائدة التي تستحق أن يُلتفت إليها، فالإنسان إذا فتح القرآن بنفسه فتحه للقرآن فيه فائدة، ونفس النظر إلى القرآن فيه فائدة، فالاهتمام بالقرآن ولو كان على مستوى الفتح فضلاً عن قراءته، فالفوائد موجودة، ولكن إذا أعطاك الله تعالى شيئاً ويمكن أن تستفيد منه فائدة عظيمة جداً، فليس من الإنفاق أن تستفيد منه فائدة ضئيلة جداً، فكما لو أهدى إليك أحدهم سيارة، وهذه السيارة بإمكانها أن تأخذك آلاف الأميال في وقت قليل جداً، وتوصلك بمستوى تكون فيه مرتاحاً دون أدنى تعب، فالاستفادة المناسبة من هذه السيارة أن تركبها وتقطع هذه المسافات، أمّا لو أخذتها واكتفيت في الاستفادة منها أنها تنقلك من المنزل إلى المسجد القريب من بيتك جداً، كما لو كان لا يتجاوز ٥٠٠ متر، ففي هذه الحالة يُقال أنك استفدت استفادةً، ولكن الذي أهدى لك هذه السيارة وأوجد لك هذه السيارة كان هدفه أن تستفيد منها الاستفادة المناسبة، وإذا استفدت من هذه السيارة استفادة بسيطة جداً يُقال لك حينئذ أنك ضيّعت هذا الشيء، والقرآن أيضاً عندما تأخذه وتحمله فيه فائدة، عندما تفتح القرآن - بدون قراءة - فيه فائدة، عندما تقرأه قراءة سريعة أيضاً فيه فائدة، ولكن ليست هذه الفائدة هي التي أرادها الله تعالى والتي يليق بك أن تستفيد بها، فالقراءة مرة تكون العناية فيها بالكم فقط، ومرة أخرى بالكيف.

فمن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «آياتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنٌ فَكُلُّمَا قُتِّحَتْ خِزَانَةٌ يَبْغِي لَكَ أَنْ تَنْتَهِي مَا فِيهَا»<sup>(٢)</sup>، فلو فتحت الخزائن ولم تنظر فيها فلن تستفيد شيئاً، فعندما تنتهي من فتح الخزائن يسألك شخص من الأشخاص: ماذا استفدت

من هذه الخزائن؟ ماذا قرأت فيها؟ ما الذي وجدته فيها؟ فتقول له: لم أستفد شيئاً، لأنني كنت أفتح وأمشي، فهذا العمل لا يعدّ عمل عاقل يهتم بالأمور الشمية جدًا، فعليك الاعتناء بالجانب الكيفي، فإذا فتحت القرآن فلا يكن همك فقط أن تختتم القرآن، وإنما اجعل لك برنامجاً أن تقرأ يومياً صفحة واحدة - مثلاً، وبعد قراءة هذه الصفحة تتوقف وتحاول أن تستذكر الذي يريد الله منك من خلال هذه الصفحة، فإن كان في جانب الاعتقاد بما يريده الله منك أن تعتقد، وإن كان في جانب السلوك العملي والوظائف العلمية فماذا يريد مني أن أفعل، وهكذا.

✿ **كثير من المؤسسات القرآنية تركَ الاهتمام على الجانب الظاهري للقرآن الكريم من حفظه، وتجويده، ومقاماته، وقد تغفل عن الجانب التفسيري والمعنوي للقرآن الكريم، مما هو رأيكم في ذلك؟**

❖ هذه الجوانب المذكورة تعدّ من المقدّمات، فالله ﷺ عندما أنزل القرآن يريد منه شيئاً: عقائد صحيحة يريد من الإنسان أن يعتقد بها، وسلوكيات وأعمال صالحة يريد من الإنسان أن يقوم بها، وأعمال طالحة يريد من الإنسان أن يجتنبها، فالقرآن بهذا الهدف يعالج الجانب العقائدي ويعالج الجانب السلوكي، ونحن إذا أردنا أن نأتي بعلم من العلوم فلا بد أن ننظر أولاً بأن هذا العلم الذي نريد أن نعتني به هل مفيد لنا في تحقيق هذين الهدفين وهما معرفة الأمور العقائدية، ومعرفة السلوكيات العملية، أو أنه لا يفيينا في هذا الجانب، فإذا كان لا يفيينا في هذا الجانب فلا بد لنا من تركه، وإذا كان يفيينا في هذا الجانب فلا بد أن يكون مقدمة، وإذا كان مقدمة فعلينا الاعتناء به بمستوى مقدميته لذى المقدمة، أمّا أن نبالغ فيه أكثر ونعطيه شيئاً أكثر فهذا ليس بفعل عقلائي، أي أن العاقل لا يصدر منه هذا الشيء، أنا أتيت لك بهذا الشيء كمقدمة لهذا الشيء لفهمه، وهذه المقدمة

ليست مطلوبة بالذات وإنما مطلوبة بالعرض، فأنا أتناولها لأنّها تفهمني هذا الشيء، ولو استطعت أن أفهم هذا الشيء من غير هذه الأمور فأنا لا أعتني بهذه الأمور، فعندما أعطيك سيارة فهي مقدمة لتنقل بها، فإذا استطعت أن تتنقل من دون هذه المقدمة فالسيارة سوف تكون حينئذ معيبة لك، فليس من العمل العقائدي أن تأخذ السيارة معك، كذلك فيما نحن فيه فالمراد هو استيعاب القرآن في مجاله العقائدي والعملي، في المجال النظري والعلمي، مما هو مقدمة له لا بدّ أن أعتني به بمستوى مقدمتيه لا أكثر، فبعض الأشخاص يدخل في مجال التجويد، وفي هذا المجال ما تتوقف عليه القراءة الصحيحة للآية بحيث تكون له مدخلية في فهم المعنى، فهذا المقدار لا بدّ من الاعتناء به، أما الأمر الذي ليس له مدخلية في هذا الجانب فالاعتناء به مضيعة للوقت، ويشغلني عن الأمور الأهم، فلا بدّ من الالتفات لهذا الأمر، وهو ضابط يكون بيد الإنسان، فلا إشكال أنّ هذه العلوم الموجودة المرتبطة بالقرآن الكريم على بعض المستويات تكون مبالغة، وتكون لاهية ومشغلة للطالب، ومشغلة للمؤمن عن مطالعة بعض الأمور المهمة التي يريد لها من القرآن والتي يريد لها الله تعالى للعبد.

### ✿ ما هي المقدّمات الأساسية المعينة في فهم القرآن الكريم وتحليل

معانيه؟

❖ **اللغة العربية:** بالنسبة للعلوم العربية باعتبار أنّ القرآن منزّل باللغة العربية فلا بدّ أن يكون هناك اهتمام باللغة العربية بالمقدار الذي له مدخلية، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فعلماء التفسير يقولون هنا بأنّ معرفة اللغة العربية والإحاطة بها له مدخلية في تعلّق أسرار القرآن ومعرفة القرآن، بحيث أنه لو ترجم القرآن إلى لغة أخرى أو نزل بلغة أخرى لما تمكن الإنسان من تعلّق هذه الأسرار؛ لأنّه لن تكون هناك مقدرة على بيانها بالصورة المناسبة، وإن

ووجدت المقدرة لن يستطيع الإنسان تعلقها بصورة مناسبة، فحتى يتعقل الإنسان هذه المعاني أنزل القرآن باللغة العربية، فهنا يجب على الإنسان إذا أراد أن يتعلقها بصورة جيدة أن يطلع على اللغة العربية، ولكن نعيد ونكرر بأنّ الاطلاع على اللغة العربية يكون بالمستوى الذي له مدخلية في هذا الجانب، أمّا المبالغة والمستوى الرائد الذي ليس له مدخلية فهذا يكون مُلْهٰ للإنسان وشاغل له.

وعندما أتكلم عن اللغة العربية فلا أقصد خصوص علم النحو أو الصرف، وإنما لا بدّ من ضمّ علم البلاغة لأننا نشاهد أنّ القرآن في بعض الأحيان يخاطب النبي ﷺ ثمّ يعدل عن مخاطبة النبي ﷺ إلى مخاطبة الجمع، أو بالعكس بأنّ يخاطب الجمع ثمّ يخاطب النبي ﷺ وحده، هذه كلّها تريد أن تبيّن معانٍ معينة، نفس هذا الالتفات من الغائب إلى المخاطب والعكس له دلالات ومعانٍ خاصة تحتاج إلى دراسة علم البلاغة للتعرّف عليها.

**علم المنطق:** يحتاج الطالب لمعارف القرآن أيضًا لدراسة علم المنطق؛ لأنّ القرآن مملوء بالمحاججات والمخاصل مع المشركين والكافر، ولكي تستوعب هذه المخاصل الاستيعاب الجيد ولا تحملها على طريقة غير جيدة لا بدّ أن يكون لديك علم تعرف من خلاله لماذا ذُكر الاستدلال بهذه الطريقة دون تلك، وأنّ هذه الطريقة مشتملة على الشروط المنطقية لصحة القياس أو لا، فكلام المشركين ليس بكلام تام، بل هو مشتمل على المغالطة كثيراً، ومعرفة هذه الأمور تحتاج لدراسة علم المنطق بمستوى معين لا بدّ من الاهتمام به.

**علم الفلسفة:** ويحتاج كذلك لبعض المسائل الفلسفية والعقائدية فهي تساعد في فهم القرآن بصورة جيدة، فعندما تدرس في الفلسفة في قسم الإلهيات بالمعنى الأخضر الصفات التي يجب أن تكون في واجب الوجود بحيث إذا لم يكن متصفاً بهذه الصفات يلزم منه نسبة النقص إليه، ويلزم أن تنسب إليه بعض الأفعال التي

لا تتوافق الحكمة، فإذا درست هذه الأمور وطالعت فيما بعد الآيات القرآنية يتبيّن لك بأنَّ الله كواحد وجود بالذات لا بدَّ وأنَّ يتصف بهذه الأمور قطعاً، باعتبار أنَّ القرآن يحتاج للتدبر، ويحتاج للتفكير، ويحتاج للتأمُّل، فلا بدَّ أن تدخل وأنت مهياً إلى عملية التفكير، حتى تكون مهياً لا بدَّ أن تملك الآلات، وهي عبارة عن هذه العلوم، ومن ضمنها علم الفلسفة، علم المنطق، علم النحو، علم البلاغة، علم الصرف، وغيرها من العلوم الدارجة في الحوزة العلمية، وبعض العلوم -للأسف الشديد- هناك زهد فيها مع أنها لها مدخلية في فهم القرآن، فلا بدَّ أن يعني بها طالب العلم حتّى يستطيع أن يولّد هذه المعاني الموجودة في القرآن، فهو لا يستطيع توليدها إلا بالاشتمال على هذه الآلات.

﴿ نلاحظ وجود هجمات سافرة متكررة من الغرب، بل حتى من بعض المسلمين على قدسيّة القرآن الكريم، مما هو تفسيركم لهذه الظاهرة، وما هو واجب المسلمين تجاهها؟ ﴾

❖ المهمات التي تكون على القرآن الكريم ليس كلَّ أصحابها جاهلين بفضل القرآن الكريم ومكانته، بل هناك اعترافات كبيرة من علماء الغرب في هذا المجال، فهم يعترفون بشمولية القرآن؛ لأنَّهم عندما ينظرون لكتاب التوراة أو لكتاب الإنجيل وينظرون بعد ذلك لكتاب القرآن فبعض أهل العلم منهم عنده نظرة الإنصاف؛ فنشاهد بأنَّهم دائمًا يعترفون بأنَّ القرآن متّصف بالشمولية، فإذا كان هناك دستور للحياة ويعتني بالإنسان في جانبه الدنيوي وجانبه الأخرى من بين الكتب السماوية الموجودة فليس هو إلا القرآن، فالكتب الأخرى كالتوراة والإنجيل لا تشاهد فيها هذه الشمولية، فهم يعترفون بهذه الشمولية.

والذين يتصدرون ويحاولون التعدّي والهجوم على القرآن الكريم، مرّة يكون هجوماً يعتقد فيه أصحابه أنه منطقى، فيتناول آية من الآيات المعينة ويحاول أن

يناقشها علمياً، فيحاول ادعاء وجود نقص في الآية أو ما شابه ذلك معتقداً أنّ ما ذكره يوافق العقل والمنطق، والبعض الآخر لا ينافس مناقشة منطقية وإنما ليس هو إلا كلام جهال من منطلق عاطفة أو عصبية، فهو يريد أن يتكلّم ويهاجم القرآن، فبالنسبة للأشخاص الذين يعتقدون بأنّ لديهم جانباً علمياً في النقاش مع القرآن الكريم فلا بدّ من الاعتناء بكلامهم، ومحاولة بيان أنّ ما ذكروه مشتمل على معالطة معينة أو إشكال معين، ونحاول أن نبين لهم مراد القرآن؛ لأنّ فهمهم قد يكون غير سليم إلى هذا القرآن نظراً للخلفية السقيمية الموجودة لديهم، فنحاول أن نصحّح لهم هذه الأمور بالطريقة العلمية، وعلى طالب العلم أن يتسلّح بالسلاح المفيد له في هذا الجانب أي الجانب العلمي، فيبيّن على أيّ حال معاني القرآن بلغة اليوم، فهذا أمر ضروري لأنّ كثيراً من الإشكالات التي تأتي على القرآن ناشئة من عدم معرفة هؤلاء بدلول القرآن، وأنت لا تستطيع أن تتكلّم معهم إلا بلغة اليوم، فلا بدّ أن تطلع على لغة اليوم وتعكس لهم معارف القرآن بلغتهم اليوم وبأساليبهم؛ حتّى يتبيّن بأنّ المناقشة التي ذكروها ويزعمون أنها مخالفة للقرآن خاطئة أو غير دقيقة، هذا بالنسبة إلى الذين يعتقدون بنظرية وعقلانية مناقشتهم، وأماماً بالنسبة للأشخاص الذين يريدون أن يهينوا القرآن ويهاجموا القرآن بغير منطق سليم أو يعتقد بأنه سليم ويستخدمون اللغة غير المناسبة، فهم لأنّهم ضمن عواطف معينة أو ضمن عصبية معينة يحاولون أن يحرقوا القرآن ويحاولوا أن يهينوا القرآن، فالنقاش مع مثل هؤلاء ليس بالنقاش العلمي، فلا بدّ من النظر إلى أشياء أخرى تكون رادعة إلى مثل هؤلاء الناس، إن كان على مستوى طلبة العلوم الدينية أو على مستوى الجماهير أو الحكومات الإسلامية، فيبيّن بأنّ القرآن كتاب ساويٌ وهناك قدسيّة إلى الكتب السماوية، فكما أثنا لا نجوز لأيّ مسلم أن يُهين كتاب التوراة أو الإنجيل -مع أنّنا نعتقد

بائهما يستعملان على تحريفات ليست مستندة إلى الأنبياء عليهما السلام وليس مستندة إلى الله تبارك وتعالى - أو أي كتاب من الكتب السماوية، وهذه الكتب وإن كان فيها تحريف ولكن ليست كلها محرفة، بعض المعرفة الموجودة فيها تنسب وتستند لله تعالى ولأنبيائه عليهما السلام، فلا نجوى لأي مسلم أن يُهين هذه الكتب، فالكتاب السماوي يجب أن تكون مورداً احتراماً لكل البشر وكل أهل الديانات.

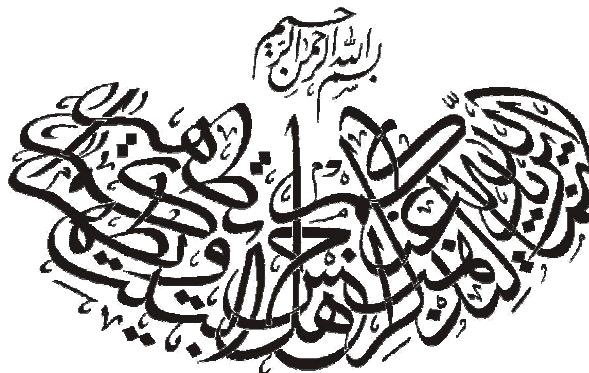
### ❖ هل هناك من كلمةأخيرة تقدمونها سماحة الشيخ؟

❖ الكلمة الأخيرة هي أتني أدعو طلبة العلوم الدينية أن يجعلوا في برنامجهم مسألة الاهتمام بالقرآن، وإذا وجد هذا الاهتمام مستوى معين عليهم أن يزيدوا هذا الاهتمام، أدعوهـمـ أن يهتموا بالقرآن بقدر ما يريدـهـ الله تعالى في الاهتمام بهذا الأمر، ويكون الاهتمام بنفس الكيفية التي يريدـهـ الله تعالى، فلا أريدـهـمـ أن يهتموا بالقرآن فقط على مستوى المقامات أو التجويد، أو على مستوى الوجه الإعرابية، أو على المستوى التاريخي، أريدـهـمـ أن يهتموا ويعتنوا بالقرآن كما يريدـهـ الله تعالى، والله تعالى يريدـهـ من القرآن أن يكون دستوراً للناس، فدائماً إذا أراد الإنسان أن يعتقد بشيء فعليه أن يقتدي بالقرآن في اعتقاده، وإذا أراد أن يعمل شيئاً أيضاً يقتدي بالقرآن في مجال عمله، هذا هو الاهتمام الإيجابي الذي يريدـهـ الله تعالى، وعلى الإنسان ألا يصبر إلى أن ينتهي من الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني ثم يعني بالقرآن بعد انتهاءه، القرآن حتى تهـمـ وتعـتـنـيـ بهـ ليسـ متـوقـفاـ على مستوى من المستويات؛ لأن الاستفادة من القرآن لها مستويات، فبعض المستويات يستطيع الإنسان بها أن لسانه لسان عربـيـ أن يهتمـ بالقرآنـ منـ خـلـالـهـ حتىـ فيـ بدـاـيـةـ درـاسـتـهـ الحـوزـيـةـ، فـمـثـلاـ طـالـبـ الـعـلـمـ أولـ ماـ يـذـهـبـ لـلـحـوزـةـ الـعـلـمـيـةـ يـحـاـولـ أنـ يـقـرـرـ لـهـ يـوـمـيـاـ صـفـحةـ منـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، فـيـحـاـولـ أنـ يـقـرـأـهـاـ وـيـطـلـعـ فـقـطـ علىـ معـانـيـ مـفـرـدـاتـهاـ، فـيـهـتـمـ بالـقـرـآنـ بـهـذاـ الـمـسـتـوـيـ، فـيـكـونـ فيـ خـلـالـ سـنـةـ وـاحـدةـ

ختم القرآن وهو مطلع على كل مفراداته، فلا يحتاج بعد ذلك أن يرجع للمنجد أو القاموس حتى يعرف هذه المفردة، فطالب العلم في بداية دراسته الحوزوية يستطيع أن يتحقق هذا المستوى من الاهتمام، فإذا انتهى من هذا الشيء في أول سنة يجعل له اهتماماً يستوي آخر في السنة الثانية لأن يقرأ هذه الصفحة ويطرح نفسه على هذه الصفحة ويلاحظ أن الله تعالى ماذا يريد مني في مجال الاعتقاد وفي مجال العمل بلحاظ هذه الصفحة، وهكذا ينهي القرآن، ثم في السنة الثالثة ينتقل أيضاً إلى مستوى آخر، وهكذا، فلا يؤجل الأمر إلى أن ينهي كتاب الأجرمية وكتاب القطر وكتاب المغني ثم يبدأ في القرآن، بل يبدأ في القرآن من المرحلة الأولى.

### المواهش:

- (١) أحد أساتذة الحوزة العلمية في البحرين.
- (٢) الكافي، ج ٢، ص ٦٠٩.
- (٣) سورة يوسف: ٢.





# مع القرآن<sup>(١)</sup>

سماحة آية الله الشیخ عیسیٰ احمد قاسم (حفظه اللہ)

ليس بعد القرآن الكريم من كتاب سماوي منزل، وليس من بين كتب السماء ما هو أجمع منه، وإذا اختلف التشريع بينها مراعاة لتطور الحركة الإنسانية في الأرض، وما تطلبه من جديد فهو المرجع في مورد الاختلاف مع قداسة الجميع.

ولقد جاء القرآن الكريم مستوعباً ما تفرضه حركة التطور البشري بجميع أبعادها من حاجات ومتطلبات. فما تحتاجه البشرية اليوم من هدايات وإضاءات ونظم

وتشريعات لا يقتضي تنزيل رسالة إلهية جديدة، وكتاب سماوي جديد، وإنما يتطلب فهماً مستوعباً ومعصوماً للقرآن الكريم، وبالدرجة الثانية، وبلحاظ

الظروف الاستثنائية إلى استنطاق علمي موضوعي شامل من المختصين للكنوز الثرّة التي يغنى بها القرآن، ويُكَبِّن لها أن تقدّم الحياة في كل درجات تطورها وتعقّدها بما يصلحها من فكر، ويلبي حاجتها من ثقافة، ويضع مسيرتها على الصراط، ويكتفي لسد كل حاجاتها التشريعية.

والأمة الشاهدة الوسط التي أنقذت الأرض بالأمس ثم تراجعت، وتغيّب دورها، وخفت منها الصوت، فعادت الأرض يحكمها الهوى والضلال تحتاج عودتها، وعودة دورها وصوتها إلى عودة جادة للقرآن إيماناً وفهمًا و عملاً، وأن تتربي الأمة تربية قرآنية شاملة، وتأخذ به عقيدة ومفاهيم ورؤى، ومشاعر، وأخلاقاً، وتشريعاً في كل مناحي حياتها، وأن تخلص من كل فكر مضادٌ، وشعور معادٍ، وأخلاقية مناهضة، ومفهوم وتشريع مخالف.

إن أي شعب من شعوب الأمة، وأي مجتمع من مجتمعاتها تكون له هذه العودة الجادة سيتقدم الراكب، وسيكون منطلق حركة الإنقاذ لا للأمة وحدها، وإنما للعالم أجمع، وسيعم النور الدنيا بعد أن أغرقها الظلام.

أي شعب وإن صغر حجمه يحقق عودة صادقة شاملة للقرآن الكريم سيعظمُ بها، ويكون مصدر إلهام لغيره من الشعوب، ويفتح باب الهدایة والصلاح والاستقامة والتحرر والتقدم والرقي لكل الأمم، وهو يحقق بذلك أكبر سبق، وأغنى سبق، وأجلّ سبق.

"مع القرآن" شعار يطرحه المجلس العلمائي لهذا العام تحريراً لعقل هذا الشعب، والأمة وضميرها، وتذكيراً بالواجب الإلهي في احترام كلمة الوحي، وتوقير القرآن، والتعامل معه التعامل الذي يستحقه من الجدّ في استكشاف كنوزه وأسراره، وتربيّة النفس على هداه، والأخذ بقيمه، وتطبيق تعاليه، والتزام منهجه، والتسلّيم لمرجعيته وقيادته، واقتفاء أثره، والدعوة إليه، ونشر ثقافته،



وتعزيز مكانته، والذود عنه، وإحياء ما أحياه، وإماتة ما أماته، والإشادة بما أشاد به، والإهمال لما أهمله.

إن المعية مع القرآن تتنطلق في بعد منها من نور الفطرة الذي يلتقي معه، ولسانها الذي يتحدث بلغته. ولغتها الواحدة هي لغة التوحيد والحق والعدل والهدى والاستقامة والرقي والصلاح. وتنطلق هذه المعية في بعدها الآخر من متابعة القرآن في مفاهيمه ورؤاه وعقيدته وأخلاقه وتشريعاته، وتقديم ما قدم ومن قدم، وتأخير ما آخر ومن آخر، والأخذ بإراداته، وتطبيق منهجه، وتعظيم ثقافته، ونشر تعالميه، وإنشاء المؤسسات العلمية المتخصصة لدراسته، وتأكيد رriadته ومرجعيته وقيادته، وتنطلق كذلك من مناصرته، والدفاع عن شأنه العظيم وحمايته.

إن شعار "مع القرآن" لا ينبغي لأي مسلم أن يتغافل عن أهميته، أو يتخلف عن التفاعل معه، أو يقصر في الاعتناء به وخدمته.

وطرح هذا الشعار فرصة لأن نخاول الوفاء لحق القرآن، والاعتراف بالجاذب بمكانته، والتحرّك بكل حياتنا على خطّه، والاقتراب منه، والارتفاع بإرادتنا إلى الصبر على إراداته، وأن نستقي ثقافتنا وهدانا منه، ونربّي أنفسنا وأهلينا وأجيالنا بتربيته، ونصوغ أوضاعنا على هداه، ووفق طريقته.

هذا الشعار فيه تجربة للإرادة الإيجانية في هذا البلد، وهمة النهضة والإصلاح والتقدّم عند هذا الشعب، وجدية الحركة الإيجابية فيه، ومدى شوقه وإخلاصه ووفائه للإسلام.

شعار من مسؤولية كل الأفراد والمؤسسات الصالحة أن تسانده وتُفعّله وتخلص له، وتبذل في سبيله، وتنفق من جهدها وإمكاناتها من أجله.

شعار من شأنه أن يحدث نقلة كبيرة في مستوى فكرنا، وإرادتنا، وتقديرنا

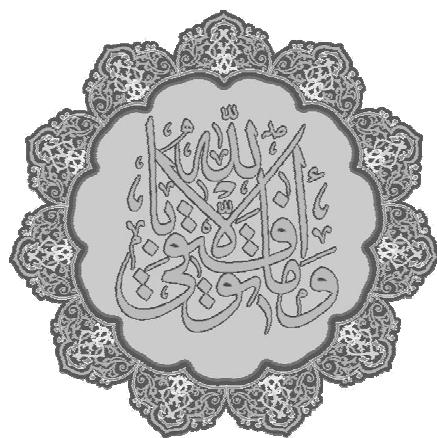
لإسلام، وارتباطنا به، وانشدادنا القوي به، وتفعيلنا له، وتفانيانا في سبيله.  
شعار لا تنقصه القدسية والكفاءة، ولا الصدق والجدية، ولا القدرة على التغيير، ولا إمكان الدفع القوي إلى الأمام، والنهوض بالمستوى المتعثر.

شعار يضعنا أمام امتحان لإرادة النهوض، والقدرة على الاستجابة لهذه الإرادة، وحالة الاستنهاض.

وأفقنا في كل أبعاد شخصيتنا الفردية والاجتماعية، وحياة مجتمعنا، وكل أفق آخر وإن سما بعيد كلّ بعد عن السماء العالية للقرآن، وحتى نقطع بعض المسافة بيننا وبينها علينا أن نتعلم كثيراً ونجهد كثيراً، ونبذل كثيراً، ونصبر كثيراً، ونزيد في تعاؤننا، ونجدّ في السير بلا فتور.

## المواهش:

(١) خطبة الجمعة، (٤٢٧) ٢٧ ذو القعدة ١٤٣١ هـ ٥ نوفمبر ٢٠١٠ م.





## مكانة القرآن عند المسلمين

### محمد علي خاتم

من المسلم به عند الفريقيين سنة وشيعة عدم التحرير في القرآن الكريم فهذا القرآن ﴿لَا يَأْتِيهُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا القرآن قد ضمن حفظه الباري عز وجل فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا شيخ الطائفة الطوسي يقول: بأن "الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضا - من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بال الصحيح من مذهبنا"<sup>(٣)</sup>، وهذا العلامة الحلى يقطع بأن "الحق لا تبدل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنه لم يزد ولم ينقص، ونعود بالله تعالى أن يعتقد مثل ذلك فإنه يوجب التطرق إلى معجزة

الرسول ﷺ المنقوله بالتواتر<sup>(٤)</sup>، ولأن مسألة القول بالتحريف صارت حرفة العاجز قال فيها السيد الخوئي: بأن "المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزّل على النبي الأعظم ﷺ وقد صرّح بذلك الكثير من الأعلام منهم رئيس المحدثين الشيخ الصدوق محمد بن بابويه، وقد عد القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية<sup>(٥)</sup> إلى أن قال - إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخیال لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطراfe حق التأمل، أو من أجهأ إليه من يحب القول به، والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتذرّب فلا يشك في بطلانه وخرافته<sup>(٦)</sup> فلا كلام لنا بعد هذا إلا أن نقول بأنه لا ينبغي اتهام طائفة بأنهم يقولون بتحريف القرآن إلا بعد النظر إلى أقوال كبار العلماء، والنظر إلى تراث الطائفة ككل حتى يتبيّن الحق للناقد، لأن ترمى التهم جزافاً هنا وهناك بطرح عارٍ عن الطرح العلمي وعارٍ عن الرغبة في البحث عن الحقيقة... لأن المستفيد الأول والأخير هم أعداء الإسلام؛ لأنّه بهذا يقدم هؤلاء لهم مطلبًا مهمًا وعلى طبق من ذهب بأن هذا القرآن - الذي يجعله المسلمون مصدرهم في التشريع ويدعون الناس للتمسك به حتى يقربوا من الله ويخلصوا من الشرور - قد لعبت فيه أيدي فزادت ونقصت، وهذا ما لا يمكن القبول به<sup>(٧)</sup>.

### عظمة القرآن

حتى نعرف عظمة شيء لا بد لنا من معرفة مواصفاته فما هي المواصفات التي كانت للقرآن الكريم التي جاءت في القرآن والسنة؟

يصف القرآن نفسه في مواضع عديدة بما يفيده عظمته وأنه كتاب حكيم عزيز مبين مجيد ونور وهدى للمتقين. وهذه جملة من الآيات التي تفيّد عظمته في يقول عزّوجلّ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى

وَكَنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ<sup>(٨)</sup> وَإِنَّهُ لِكِتَابٌ عَرِيزٌ \* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ<sup>(٩)</sup> وَلَا نَهُ نازلٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ أَخْرُ الْكِتَابِ السَّمَاوِيَّةِ أَرَادَ اللهُ حفظَهُ مِنْ عَبْثِ الْعَابِثِينَ لِتَبْقِي عَظَمَتِهِ شَاحِنَةً عَلَى مِرَّ الْعَصُورِ لِيَذْعُنَ لَهُ كُلُّ ذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١٠)</sup> وَقُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا<sup>(١١)</sup> وَعَظَمَتِهِ هَذَا الْقُرْآنُ تَتَجَلِّي أَكْثَرُهُ فِي أَثْرِهِ الَّذِي أَحْدَثَهُ عَنْدَ نَزْولِهِ حِيثُ كَانَ السَّمَاعُ إِلَيْهِ كَافٍ فِي التَّوْقِفِ عَنْهُ ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١٢)</sup>، فَإِنْ كَانَ هَذَا أَثْرُ السَّمَاعِ فَمَا هُوَ أَثْرُ الْاسْتِمَاعِ؟ الْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجِيبًا﴾<sup>(١٣)</sup> وَلَا عَجَبٌ أَنْ قَالَتِ الْجِنُّ هَذَا فَالَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ أَثْرَ كَلَامِهِ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ عَظَمَةٍ لِذَا يَقُولُ: ﴿لَوْ أُنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَائِشًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾<sup>(١٤)</sup>، وَيَكْفِي لِلْقَائِلِ بِعَظَمَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ شَهَادَتُهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْعَظَمَةِ حِيثُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ سَبَعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾<sup>(١٥)</sup>.

وَلَا رِيبٌ فِي ثَبَوتِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي الْخَارِجِ فَدُونَكَ الْبَلَاغِيُّ وَالْفِيلِسُوفُ وَالْمُتَكَلِّمُ وَالْأَصْوَلِيُّ وَالْفَقِيْهُ وَغَيْرُهُمْ مَمْنُ اهْتَمَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَإِنَّا نَجْدُهُمْ يَنْقِبُونَ وَيَبْحَثُونَ فِيهِ فَيَجِدُونَ مَا يَطْلُبُونَ وَأَكْثَرُ لَكُنُّهُمْ مَهْمَا بَحْثُوا وَنَقْبُوَا تَبْقَى عَوْلَهُمْ قَاصِرَةً عَنِ إِحْاطَةِ مَا فِيهِ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾<sup>(١٦)</sup> وَلَنَا أَنْ نُشَيرَ هُنَا إِلَى أَنَّهُ جَاءَتْ إِضَافَةُ لِفَظِ الْجَلَالَةِ إِلَى الْقُرْآنِ بِصُورَةِ (كِتَابُ اللهِ) فِي عَشْرِ مَوَارِدٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهَذَا مَا يَعْطِي قِيمَةً أَكْبَرَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِذَا أَنَّ الْمَضَافَ يَأْخُذُ قِيمَةً مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ<sup>(١٧)</sup>.

وقد وصف الرسول ﷺ القرآنَ الكريمَ حيث قال: «ستكون فتنة، قيل: فما المخرج منها يا رسول الله ﷺ؟ قال: كتاب الله - مرتين - فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم وهو العروة الوثقى وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾<sup>(١٨)</sup> من قال به صدق، ومن مال به مُحق، ومن حكم به هدي إلى صراط مستقيم»<sup>(١٩)</sup> أضف إلى هذا كله أن التالي الأول للكتاب هو أمي ويشهد القرآن بنفسه على أميته ومع ذلك نجده يتلو كتاباً لا يأتيه الباطل ويعجز أيُّ فرد أن يأتي بعلمه والعجب فيه أن يكون على نسق واحد فلا يوجد فيه اختلاف من حيث الفصاحة أو البلاغة أو المضمون والمحتوى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢٠)</sup> وهذا - وما تقدم - يجعلنا نجزم بأنَّ القرآن هو كتاب عظيم حقاً وأنَّه كلام الله.

### الهدف من القرآن

بعد ما ذكر تبين أنَّ القرآن ليس نتاجاً بشرياً بل هو وحي إلهي قد جاء للبشر كافة فينبغي لجميع البشر عموماً والمسلمين خصوصاً أن يتفاعلوا بشكل مستمر مع هذا الوحي الإلهي فال المسلمين - والحديث عنهم - لو عرفوا أنَّ القرآن عظيم سيعطونه قداسة فقط لا غير كمن يحتفظ بتراث يذكره بأبيه، أما لو حصلت معرفة العظمة مضافاً إلى الهدف منه فإن التفاعل عندئذ سيكون في أعلى مستوياته وفي شتى مجالات التفاعل المناسبة والقرآن من المحفظ في القلب والخارج واستنطاقه والعمل على هديه... فما هو الهدف منه؟

يقول السيد محمد باقر الحكيم: "إنه قد يكون من الأفضل الرجوع إلى القرآن الكريم نفسه لتشخيص الهدف من نزوله، ومن خلال استعراض الآيات القرآنية التي فسرت نزول القرآن"<sup>(٢١)</sup>، وهذا ما بنينا موضوعنا عليه - وبالبحث في القرآن الكريم سنتعرض لأكثر من ثلات عشرة آية من مواضيع مختلفة من القرآن

الكريم قد تعرضت لبيان هدف القرآن، وهذه بعض الأهداف:

١. القرآن كتاب هداية: وهذا عرض لكل فرد أراد أن يسير على طريق الحق الذي لا باطل فيه أبداً -قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢٢)</sup> وهذه آيات تضيف على الهدایة أنه كتاب شفاء ورحمة وأنه يبشر من آمن به بالخير الكثير حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢٣)</sup> ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنَ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(٢٤)</sup> ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيَبْسُرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾<sup>(٢٥)</sup> ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ وَيَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢٦)</sup>.

٢. القرآن كتاب حياة وإخراج من الظلمات إلى النور: يقول الحق تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مِيَّمًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيْنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَاثُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢٧)</sup> ﴿الرِّكِيْبُ أَنْزَلَنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٢٨)</sup>، ولأن القرآن أخذ على نفسه أن يهدي الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور نجده يضمن لمن اتبعه أنه لن تحصل له ضلاله أبداً ولا شقاء، وليس للمعرض عنه إلا الضلال في الدنيا والخسارة في الآخرة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىٰ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى \* وَمَنْ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(٢٩)</sup>.

٣. القرآن كتاب إنذار: يقول الحق تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾<sup>(٣٠)</sup>، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنذِرْكُمْ بِالْوَحْيِ﴾<sup>(٣١)</sup>، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ

عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا<sup>(٣٢)</sup>.

٤. القرآن كتاب حجة وبرهان: لكل المفكرين على مر العصور ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣٣)</sup> ولا يكتفي بذكر البرهان فقط بل يتحدى المخالفين ويدعوهم بأن يأتوا بالبرهان الذي عندهم إن كان عندهم برهان، ففي أربعة مواضع من القرآن يتحدى ويقول: ﴿هَأُتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾<sup>(٣٤)</sup>.

٥. القرآن دستور للبشر: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣٥)</sup>، وحتى يدلل على شموليته لكل شيء في الحياة نجده يدعو البشر - بشكل غير مباشر - للتأمل في أنهم سيجدون فيه كل شيء يطلبون ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٣٦)</sup>.

٦. القرآن كتاب تأمل: يدعو القرآن بشكل دائم جميع الناس حتى يتفكروا ويتدبروا فيه حيث يقول: ﴿الْقَوْمُ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و﴿لَعَنْهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ولكن هناك آيات صريحة في كونه نازل للتدبر والتأمل والتفكير فيه فهو يقول: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مُبَارِكٌ لِيَدْبُرُوا أَيَّاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣٧)</sup>.

وغيرها من الأهداف التي إن صح التعبير عنها بأنها أهداف فرعية ككونه كتاب ذكر<sup>(٣٨)</sup> وأنه كتاب دروس وعبر<sup>(٣٩)</sup>.

## الهدف الرئيس

لنا أن نقول بأن الهدف الرئيس من القرآن هو خلق المجتمع الإسلامي والدفع به نحو جنан الخلود وإبعاده عن نيران جهنم، هذا على الصعيد الجماعي، أما على الصعيد الفردي فهو خلق السعادة الحقيقية المتمثلة في عبادته تعالى واستشعار رضاه بِرَبِّكُنَّ.

وبيان هذا الهدف في القرآن كان على مراحل ثلاث:

### المرحلة الأولى (قاعدة الانطلاق):

وفيها تأسيس قاعدة مهمة في حياة البشر حاصلها أن التغيير في الخارج يبدأ من الداخل أي من فكر الإنسان وعتقداته، فإن كان معتقداً جاهلياً لا بد من تغييره إلى معتقد صحيح قد استُقى من منبع لا يتطرق إليه الخطأ. حيث قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٤٠)</sup> وقد نجح القرآن بجدارة<sup>(٤١)</sup> في تغيير أفكار أهل الجاهلية المجهلة -بعد أن قبلت قلوبهم التغيير- إلى أنساب لا تأخذهم في الله لومة لائم أشداء على الكفار رحمة بينهم<sup>(٤٢)</sup>.

### المرحلة الثانية (المعتقد الصحيح):

يأتي القرآن الكريم ليؤسس المعتقد الصحيح وبعض الأمور التي تتفرع عنه حيث جعل معرفة الله ﷺ هي الأمر الأول الذي لا بد من أن ينطلق منه الإنسان نحو التغيير -ليصل لكماله الذي يستحق- فقال ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٤٣)</sup> ، فلا بد من اعتقاد هذا الإنسان بأن معبوده لا ينبغي له التعدد، ومن عرف الله وأنه مرجع العباد فلا بد أن يكون هذا الإله عادلاً لا يظلم عنده أحد أبداً، فقال ﷺ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>(٤٤)</sup> و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ قَالَ ذَرَّةً﴾<sup>(٤٥)</sup> ، ومن عرف عدله تعالى حق له أن يتسائل عن يوم الحكمة الكبرى حيث يحشر الخلق أجمعين ليحاسبهم ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنَّ لَمْ يُلْبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾<sup>(٤٦)</sup> ، وبعد هذا وقد عرف الإنسان أن الله واحد عادل يشيب ويعاقب يلتفت إلى أن المصدر الذي عرّفه هذه المعرفة هو النبي ﷺ ومن بعده المعصوم عليه السلام بتنصيب من الله تعالى على لسان نبيه ﷺ... وبعد هذا يحمل الإنسان هم التغيير منطلاقاً من اعتقاد صحيح.

### المرحلة الثالثة (السلوك الموزون):

يُعدُّ القرآن لهذا الإنسان الذي سار في طريق التغيير طريقة عملية تفصيلية

تدخل في جميع مقاطع حياته، وهذا الطريق هو لازمً لاعتقاده وبعبارة أخرى يعد طریقاً لهذا الإنسان ويقول له: بما أنك تعتقد بهذه الاعتقادات فلا بد وأن يكون عملك موافقاً لما تعتقد، فجاء بتبيان الأخلاق التي لا بد وأن يتحلى بها... هذا من جهة ومن جهة أخرى بين الأحكام الشرعية والقوانين على شكل محمل وترك تفصيلها على النبي ﷺ، والنبي ﷺ بدوره جعل بيان أهل بيته عليهما السلام بنزالة بيانه.

وعلى هذا فمن يسير على هذه المراحل التي أشار لها القرآن من انطلاقه جادة وعقيدة صحيحة وفعل ما يتنااسب وهذه العقيدة، فإنه بلا شك على الصعيد الفردي يصل للسعادة الحقيقة وهي مرضاة الله عزوجل، وعلى الصعيد المجتمعي سيصل لتحقيق المجتمع الإسلامي مما يجعل أجواء التوجه إلى الله أكثر وأكثر فيتم الغرض.

### مكانة القرآن

اتضح مما سبق ما للقرآن من دور محوري ومهم في حياة الفرد حيث نجد أنه يدخل في حياته آناً آنا، مثبتاً إحاطته بكل شيء، فالقرآن عظيم في نفوس المسلمين ليس لأنه معجز فحسب ولا مجرد خلوده فحسب، ولا لاشتماله على حقيقة شرائع الأنبياء السابقين فحسب، ولا لأنه كتاب نبينا محمد ﷺ فهو يحتوي على الغاية الأسمى التي تهدف إليها الإنسانية<sup>(٤٧)</sup> أضف إلى ذلك "أن القرآن هو المصدر الأول للتشريع والمقياس الوحيد لتمييز الموضوع من الصحيح في الأحاديث الإسلامية"<sup>(٤٨)</sup> التي تعد المصدر الثاني للتشريع وبها تفهم مضامين القرآن.

## وأجبنا تجاه القرآن

لم يكن القرآن في صدر الإسلام كتاباً عادياً بل كانت له مكانته الخاصة عند المسلم فما "كان ليفارق الإنسان المسلم في صلاته، المسجد، البيت، ميدان الحرب عند مواجهة الأعداء، بل إن المسلمين كانوا يجعلون تعليم القرآن مهوراً للنساء"<sup>(٤٩)</sup> ولم يكن الفرد المسلم يقف عند هذا الحد بل كان يسعى لحفظه وتعلم ما فيه من معارف حتى أصبح عدد الحفاظ للقرآن ما يفوق التصور، فهم تعاملوا مع القرآن بأنه دستور حياتهم وبقاوئهم لذا كان حيوياً متجدداً مع تجدد الليالي والنهار، وعلى مر العصور وهذا لم يكن لو لا إصرار النبي ﷺ والمعصومين علية السلام من بعده على لزوم التمسك بالقرآن، فهذا نبي الرحمة ﷺ يقوم من فراش المرض -المرض الذي قبض فيه - متوجهاً للمسجد لما علم باجتماع عدد من الأنصار يبكون عليه... فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، أيها الناس! فما تنكرون من موت نبيكم؟... ألا إني لاحق بربِّي، وقد تركت فيكم ما إن تمكنت به لن تضلوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم، تقرؤونه صباحاً ومساءً، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تبغضوا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله، وقد خللت فيكم عترتي أهل بيتي وأنا أوصيكم بهم...»<sup>(٥٠)</sup>، فقيام الرسول ﷺ -من فراشه - بهذه الحال ودعوته لتعاهد القرآن صباحاً ومساءً لدليل واضح على إصراره على لزوم التمسك بالقرآن الكريم، وليس هذا المورد الوحيد الذي يدعو فيه الرسول ﷺ للتمسك بالقرآن -ويضم إليه عادة عدده وهم العترة- بل هناك الكثير من الأحاديث والأحداث الدالة على ذلك، وعلى عائشة والأئمة علية السلام من بعده لهم ما لهم من الأحاديث والأحداث الحاتمة على التمسك بالقرآن الكريم فيقول عائشة: «ما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان؛ زيادة في هدى أو نقصان من عمي»<sup>(٥١)</sup>. إذن كيف نبرز هذا التمسك بالقرآن الكريم، وبعبارة



أخرى ما هو الواجب علينا فعله اتجاهه؟

يتوجب علينا تجاه القرآن أمور أبرزها:

**أ- حفظ القرآن:** والحفظ هنا بكل معنييه سواءً كان عن ظهر قلب أم معه مضافاً للمحافظة عليه بالعمل بما فيه من التأدب بآدابه والاعتبار بقصصه وأمثاله والتذير في أسراره والحرص على تعاهده وتلاوته، ولا ينبغي التغدر عن الحفظ بأن الحفظ بالمعنى الثاني كافٍ أو أن الحفظ القلبي فيه مضيعة للوقت فما أكثر الأعذار وما أكثر الأوقات التي تضيع في القيل والقال وتصرف فيما هو أقل أهمية أو في أمور جزئية.

**ب- تلاوته:** ليلاً نهاراً، وفي الحديث الذي نقلناه عن النبي ﷺ كافٍ حيث يأمر بصريح عبارته «تقرؤونه صباحاً ومساءً» يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَلَوُنَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ \* لِيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَبِزِيَادَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٥٢)</sup>، فالقرآن الكريم لم ينزل على قلب الرسول ﷺ ليقرأ مرة في العام أو في المحافل أو في مجالس العزاء ثم بعدها يعلق كالتحفة في المنزل.

**ج- محاولة فهمه والتذير فيه:** وإليك هذه الآية مكتفيًا بها للتذير فيها ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارِكٌ لِيَدَبَّرُوا أَيَّاتِهِ وَكِتَابٌ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥٣)</sup>.

**د- طرحه كشعار للمسلم:** يردد في مناسباته الخاصة وال العامة بل في كل يوم من أيامه حتى يعيش مع القرآن وينهل منه وعيًا ويعاهده بالالتزام بما فيه، وينصره بنشره ونشر تعاليمه والحتّ عليه؛ لتخرج أجيالاً قرآنية تحمل هم القرآن ووعيه، لذا حق لنا أن نقول شعارنا نعلنه أمام الجميع بأننا مع القرآن وعيًا والتزمًا ونصرة.

اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماماً ونوراً بين يديّ وهدى ورحمة، اللهم

ذكرني منه ما نسيت، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف

النهار، واجعله حجة يا رب العالمين.

### المواهش:

- (١) سورة فصلت: ٤٢.
- (٢) سورة الحجر: ٩.
- (٣) تفسير التبيان ج ١: ٨٣.
- (٤) أجوبة المسائل المهاونية: ١٢١.
- (٥) البيان في تفسير القرآن: ٢٠٠.
- (٦) المصدر السابق: ٢٥٩.
- (٧) وليس موضوعنا حول تحريف القرآن حق نورد الأدلة العقلية ونكر الشواهد على ذلك.
- (٨) سورة يوسف: ١١١.
- (٩) سورة فصلت: ٤٢، ٤١.
- (١٠) سورة الحجر: ٩.
- (١١) سورة فصلت: ٨٨.
- (١٢) سورة الأحقاف: ٣٠.
- (١٣) سورة الجن: ١.
- (١٤) سورة الحشر: ٢١.
- (١٥) سورة الحجر: ٨٧.
- (١٦) سورة البقرة: ٢٥٥.
- (١٧) منهاج الصالحين للشيخ الوحيد الخراساني ج ١: ١٤٩ (بتصرف).
- (١٨) سورة الجن: ١.
- (١٩) نهج السعادة ج ١: ٣٨٠.
- (٢٠) سورة النساء: ٨٢.
- (٢١) علوم القرآن لشهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم عليه السلام: ٤٦.
- (٢٢) سورة البقرة: ٢.

- .٥٧) سورة يوئس: (٢٣)
- .٨٢) سورة الإسراء: (٢٤)
- .٩) سورة الإسراء: (٢٥)
- .١٦، ١٥) سورة المائدة: (٢٦)
- .١٢٢) سورة الأنعام: (٢٧)
- .١) سورة إبراهيم: (٢٨)
- .١٢٤) سورة طه: (٢٩)
- .١٩) سورة الأنعام: (٣٠)
- .٤٥) سورة الأنبياء: (٣١)
- .١) سورة الفرقان: (٣٢)
- .١٧٤) سورة النساء: (٣٣)
- .١١١) سورة البقرة: (٧٥)، سورة القصص: (٦٤)، سورة النحل: (٢٤). سورة الأنبياء: (٣٤)
- .٨٩) سورة النحل: (٣٥)
- .٣٨) سورة الأنعام: (٣٦)
- .٢٩) سورة ص: (٣٧)
- ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ \* وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ سورة الزخرف: (٤٣، ٤٤)
- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَلَمَّا أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ سورة الإسراء: (٨٩)، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ سورة الزمر: (٢٧)
- .١١) سورة الرعد: (٤٠)
- طبعاً ليس القرآن لوحده بل بعية عده متمثلاً في المعصوم عليه السلام.
- .٥٠) هذه تعرض لها في طي كلامه الشهيد السيد الحكيم في كتابه علوم القرآن: (٤٢)
- .١) سورة الإخلاص: (٤٣)
- .٨) سورة الزمرلة: (٤٤)
- .٤٠) سورة النساء: (٤٥)

وَكَذَّ وَسِعَ

(٤٦) سورة يونس: ٤٥.

(٤٧) القرآن في الإسلام: ٢٥.

(٤٨) رسائل ومقالات للشيخ جعفر السبحاني: ٢٤٢ (بتصرف).

(٤٩) الأمثل ج: ٨، ح: ٢٣.

(٥٠) الأimalي للشيخ المفید: ٤٦، ح: ٦.

(٥١) نهج البلاغة خطبة ١٧٦.

(٥٢) سورة فاطر: ٢٩.

(٥٣) سورة ص: ٢٩.



# إشارات أخلاقية من القرآن الكريم

## عيّن جاسم القفاص

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، ولـلـعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعـين إلى قـيـام يـوم الـدـين، هـذـه وـقـفـات أـخـلـاقـيـة مع بـعـض آـيـات سـوـرة الـبـقـرـة.

### الدرس الأول

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يشير القرآن الكريم في هذه الآية إلى القرآن بالضمير الذي يشار به إلى البعيد، وذلك لبيان عظمة القرآن الكريم، ويصفه بأنه لا شك فيه ولا ريب، بل هو حق صراح لا يشوبه الباطل، وأنه هدى للمتقين الذين

حفظوا فطرتهم من التلوث والدنس، ولنقف قليلاً مع الآية المباركة:

### تعظيم القرآن أول خطوة

كل شيء يجب أن يعطى حقه من التعظيم، وهذا أمر عقلائي أكدت عليه النصوص، لأنّه يوجب التعامل بالشكل الذي يتناسب مع مقدار العظمة، فلو أن إنساناً رأى الإمام الخميني قدّس سره ولم يكن يعرفه فلن يعظمه، وإذا لم يعظمه فلن يهتم به وبأفكاره ومنهجه وسلوكه، فالتعظيم والتقديس القلبي والفكري أول خطوة للإنسان لكي يقوم بالوظيفة المناسبة تجاه أي شيء، وبقدر ما يدرك الإنسان من العظمة في الشيء يعده ويحبه، والقرآن الكريم لا يمكن وصفه حق الوصف كالإمام علي عليه السلام، روي أنه «كان أمير المؤمنين يقول ما لله آية أكبر مني ولا الله من نبأ عظيم أعظم مني»<sup>(١)</sup> كذلك القرآن الكريم لأن كلاً منهما - الإمام والقرآن - مظهران لاسم الله الأعظم فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا يصرون»<sup>(٢)</sup> فالقرآن مظهر اسم الله الذي يشير إلى جميع الصفات الإلهية، وهذا هو الاسم الأعظم، فالقرآن هو النور الذي به يهتدى المهدون قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾<sup>(٤)</sup> فإذا عرف الإنسان مقام القرآن عظمه وبقدر تعظيمه يستفيد منه ويعتني به، وهذا ما ت يريد أن تربينا عليه الآية المباركة، فكم للقرآن من مكانة في نفوسنا؟ وكم نشتاق للجلوس بين يديه؟ وهل للقرآن مكانة في قلوبنا كما هي المكانة التي للدنيا؟ وهل نحمل هم القرآن وتجسيده كما نحمل هم الأموال والجاه والمنصب والوظيفة؟

### أيها الحبيب

القرآن كتاب من محب إليك ليعلّمك كيف تحبه، إنه رسالة من أجمل الجمال، فهل قبلت رسالته؟ في الواقع إن أكثرنا قد هجر القرآن الكريم كل المجر، أو

جعله لأوقات الفراغ، قال تعالى على لسان رسوله الأكرم عليه السلام: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(٥)</sup>.

## حب الحق

القرآن الكريم كتاب الحقائق، الحقائق السلوكية، التي توصل الإنسان إلى كماله وسعادته، كتاب الحقائق التربوية التي تحمل الإنسان بأجمل الصفات القلبية، كتاب الحقائق الفكرية التي تجعل معتقدات الإنسان مصيبة للواقع والحق، فيكون الإنسان باتباعه للقرآن من أهل الحق في سلوكه وصفاته وأفكاره، وهذا معنى قوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ي يريد تعالى أن يقول للإنسان أيها العبد الضعيف، إن طريق الحق صعب وشاق، ولن تجد كتابا فيه الحق المطلق سوى هذه الرسالة التي بعثتها إليك، فلا تشرق ولا تغرب عنها، والزمرة وخذها بقوة، الإنسان عندما يرى كتابا كثيرة فإنه ينشد إلى أكثرها احتواء على الحقائق والصواب، ولذا ترى الإنسان يبحث عن كتب العلماء الكبار ويهمتهم بكتابهم أكثر من غيرهم؛ ذلك لأنه يرى أن أفكارهم أقرب إلى الحق من أفكار غيرهم، فكيف بكتاب خطته يد الخالق جل وعلا؟ على الإنسان أن يعتبر نفسه ضالا لا يعرف الحق، والقرآن هو الحق المطلق الذي يمكن أن ينقذه من الضياع، فإن الإنسان مفطور على حب الحق، وكلما تعمق معنى كون القرآن حقاً وافتت الإنسان إلى هذه الحقيقة أحب القرآن أكثر وشعر بالحاجة إليه أكثر<sup>(٦)</sup>.

## لا تحرم نفسك من الهدى

عندما تكون النفس صافية تتفاعل مع الخير، فتأنس بالأوامر الإلهية، وترغب في ثوابها، وكلما صفت النفس أكثر تفاعلت أكثر مع الحق والأفكار الصادقة، وبعكس ذلك فإنه كلما تلوثت النفس قل تفاعಲها مع السلوك الظاهر والأفكار الحقيقية، القرآن الكريم هدى للمتقين، أي الذين حافظوا على طهارة

نفوسهم ولم يلوثوا فطرتهم الصافية التي أهداهم الله إياها، ويريد أن يعلمنا ربنا عَزَّوَجَلَّ من هذه الآية هذا الدرس، وهو أنك أيها العبد المسكين، أعطيتك نفساً طاهرة، إذا ما حافظت عليها سوف ترى أنك تنجدب نحو كل دعوة صادقة من سلوك وخلق وفكر، وكلما لوثت هذه الأرض الطاهرة فسوف ترى نفسك مدبراً عن الحق، وهذه الحالة مراتب، فربما يكون لوث النفس إلى درجة لا يطيق الإنسان معها الصلاة الواجبة، وربما يكون بمستوى أقل بحيث لا يطيق الصلاة المستحبة، وربما يكون بمستوى لا يطيق دوام ذكر الله وهكذا، فلكي نستفيد من القرآن الكريم علينا أن نظهر أنفسنا من لوث المعاصي ونتوب إلى الله من كل ذنب لكي تصفووا النفس وتقبل الحق، ولذا فإن الإنسان كلما طهرت نفسه أكثر كان أقدر على درك معاني القرآن الحقيقة، حتى يصل الأمر إلى ﴿لَا يَمْسُّ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>(٧)</sup> كثير منا يشكو من إدباره عن العمل الصالح، والسلوك الطيب، والفكر الصادق، والسبب الأساس -لو فتش جيداً- هو تلوث نفسه بالذنوب، فإن الحب هو الجذب نحو الملائمة، فإذا ما تلوثت النفس لا يلائمها العمل والتفكير الصالحين، بل تكون متلائمة ومنجذبة نحو الفساد، القرآن الكريم كما يصفه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتِينُ، وَهُوَ الْمُرْصَدُ الْمُسْتَقِيمُ... فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَىِ، وَمَنَارُ الْحَكْمَةِ، وَدَالُ عَلَى الْحِجَةِ»<sup>(٨)</sup> والملوث ما لم يتتب لا ينفعه شيء.

جاء في تفسير الإمام العسكري: «هدي للمتقيين. الذين يتقوون الموبقات، ويتقون تسليط السفة على أنفسهم حتى إذا علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضا ربهم»<sup>(٩)</sup> هذه الرواية لا تتنافي مع ما ذكرناه من معنى للتقوى، فقد قلنا أن التقوى في الآية هي تقوى الإنسان عن تلويث فطرته، وهذا لا يتحقق إلا من خلال العمل الفاسد والأفكار الضالة، فترك الذنوب والتوبة منها هو الموجب لصفاء الفطرة، وفي هذه الرواية إشارتان مهمتان الإشارة الأولى أن الموبقات وهي

الذنوب الكبيرة لها التأثير الأكبر في تلويث الفطرة وفساد تقوتها، والإشارة الثانية أن الإمام سلام الله عليه عرف تسلیط السفة على النفس بتعريف دقيق جداً، وهو عدم العمل بالعلم، فمن لم يعمل بما علم فقد سلط على نفسه السفة وصار سفيها، وهذا ما يبيّنه القرآن بشكل واضح في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾<sup>(١٠)</sup> والسفه هو الحماقة وعدم تمييز النافع من الضار سواء في أمور الدين أو الدنيا، فمن يرغب عن ملة إبراهيم فقد سفه نفسه، أي أن الإعراض والرغبة عن ملة إبراهيم من حماقة النفس، والمراد من الملة ملة التوحيد، فمن يرغب عن خط التوحيد فهو سفيه، وهذا مراتب كثيرة، فالذى يكفر بالله أو الأنبياء أو الأئمة عليهما السلام فقد سفه نفسه، ومن عمل الكبائر فقد سفه نفسه؛ لأن العصيان رغبة عن ملة التوحيد وعدول عنها، ومن يعمل الصغار كذلك، ومن فعل المكره فهو بمستوى يكون قد رغب عن الطاعة التي هي التوحيد، ومن انشغل بغير الله فهو أيضاً يكون قد سفه نفسه بمرتبة ولو كان مطيناً لا يعصي، وقد أشار الإمام الصادق ع إلى هذه الحقيقة في قوله: «العقل ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان»<sup>(١١)</sup> فكل لحظة لا يكون فيها الإنسان مشغولاً بكسب الجنان فهو في تلك الحالة سيكون سفيها، عن أبي عبد الله ع قال: «من استوى يوماً فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيراً مما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهاً فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة»<sup>(١٢)</sup>.

## الدرس الثاني

### الذين يؤمّنون بالغيب

بعد أن ذكر الله عز وجل المهدى من خلق الإنسان، وهو المداية وذكر أن المهتدى هم المتكونون الذين حافظوا على سلامه فطرتهم، بدأ يعرفهم بأوصافهم، وأول

وصف يبدأ به سبحانه وصف الإيمان بالغيب، ويعني الإيمان القناعة القلبية والشعور النفسي تجاه الحقائق، والاطمئنان بالمعرفة بما يجب ترتيب الآثار عليها، والعمل بقتضها، الإيمان بالغيب يعني الإيمان بالحقائق غير المحسوسة بالحواس الخمس، فالإنسان يؤمن بكل ما يحس به إيماناً راسخاً يرتب عليه كل الآثار، فإذا رأى أو سمع بإذنه أن هناك بضاعة جيدة وبثمن بخس لا يتزدّد في الذهاب لشرائها، وإذا رأى أحداً همّ بأذنيه فإنه يسعى لدرء الضرر عن نفسه وهكذا، ولكن الإيمان بالغيب أصعب، فكثير منا يعلم أن الله ناظر في كل آن وزمان، لكنه ربما لا يكون مؤمناً، والعلامة هي ترتيب الآثار، فالمؤمن بأن الله ناظر لا يعصي الله وهو ذاكر، والمؤمن بأن الصلاة وقوف بين يدي الله لا ينشغل عنها بإرادته، إذن الإيمان بالغيب يعني القناعة القلبية والاطمئنان النفسي بالحقائق، وليس هو العلم حتى لو كان علماً يقينياً.

### الإيمان أساس كل خير

الإيمان أساس كل خير، وضعف الإيمان أساس كل شر، فما ورد عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيْكُمْ وَحْبُ الدِّينِ فَإِنَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَبَابُ كُلِّ بُلْيَةٍ وَقَرْآنٌ كُلُّ فَتْنَةٍ وَدَاعِيٌّ كُلُّ رِزْيَةٍ»<sup>(١٣)</sup> يرجع إلى ضعف الإيمان، فإن الإنسان لو اطمأنَت نفسه بالإيمان بالله والمعاد والجنة والنار لا يمكن أن يتعلّق بالدنيا الزائلة، ومصيّبتنا في ضعف إيماننا، فكثير منا يعلم ولكنه لا يؤمن، والفرق بين العلم والإيمان واضح، فإن العلم عبارة عن المعرفة العقلية، والإيمان عبارة عن المعرفة القلبية والشعور النفسي والاطمئنان الذي يحرك الإنسان، فكثير منا يعلم أن عذاب القبر شديد، ولكن القليل منا من يؤمن بذلك، المؤمن بشدة عذاب القبر ترى عليه آثار الخوف والوجل، فكلما همّ بعصية ردعه خوفه عن الاقتحام فيها، نحن لسنا مطالبين بالعلم إلا لأنّه مقدمة للإيمان، يقول تعالى في وصف المؤمنين:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ  
 مَعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعْلَوْنَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا  
 عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ  
 صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾<sup>(١٤)</sup> المؤمن يخشى في صلاته لأنّه يشعر بأنه يقف بين يدي الله ﷺ، ويعرض عن اللغو لأنّه مطمئن بأن اللغو يلوث النفس ويقصي القلب، ويقوم بكل الواجبات التي عليه ويترك كل المحرمات لأنّه يؤمن بأن هناك يوم حساب وعقاب، وربما يكون من هو عالم بكل هذه الحقائق لكنه لا يخشى في صلاته ولا يترك اللغو وما إن يفتح له باب الحرام لا يتورع عن دخوله، وذلك لأنّه لم يدخل ما علم به إلى قلبه، وهذه هي المشكلة الأهم في حياتنا.

### غير المؤمن ليس بعالم

ركزت النصوص الدينية على أن العالم مهما بلغ من المراتب العالية في علمه، إذا لم يدخل هذا العلم إلى قلبه فإنه ليس بعالم بل هو جاهل من الجهلة؛ لأن ميزان الإسلام في التفضيل هو القرب من الله ﷺ والتقوى، والعلم الذي لا يدخل إلى القلب لا يوجب قربا ولا يحقق تقوى، عن أبي عبد الله عائشة في قول الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يَحْشِي اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال: «يعني بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم»<sup>(١٥)</sup> ولا يصدق الفعل القول إلا بالإيان، لأن العلم من دون إيمان لا يحرك الإنسان، بل ربما سبب له غرورا، إذن علينا أن نترك المقاييس الدنيوية، فربما يكون عبد مسكين فقير يملأ من الإيمان الذي يردعه عن معاصي الله، ويكون آخر عالما لكنه أحوج للجهال، عن الصادق عائشة: «الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالما وإن شق الشعر بمشابهات العلم كما قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَنْشِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»<sup>(١٦)</sup>،

نحن للأسف ابتلينا في حياتنا بالمقاييس الدنيوية فصارت هي التي تقدم وهي التي تؤخر، صار المعيار الجاه والمكانة الاجتماعية والمال والشهرة والنسب<sup>(١٧)</sup>.

### الإيمان يشتد ويضعف ويزول

كما أن للإيام قابلية الاشتداد إلى درجة يشاهد فيها الإنسان ربه ويكون مصداقاً لقول الصادق عليه السلام لإسحاق بن عمار: «يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم بزرت له بالعصبية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك»<sup>(١٨)</sup> وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: « جاء حير إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبادته؟ قال: فقل: ويلك ما كنت أعبد ربا لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأ بصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»<sup>(١٩)</sup>، كذلك فإنه يضعف، وسبب ضعف الإيمان أمور، السبب الأول منها هو التشكيك في العقيدة، فعندما ترد على المؤمن شبهات في دينه ولم يكن متحصناً منها فإن ذلك يوجب له الشك والريب، من هنا أشير إلى مسألة مهمة على المبلغين أن يلتفتوا إليها، وهي أن وظيفة المبلغ تثبت يقين الناس سيمما الضعف منهم، فعليه أن يطرح المعارف طرحاً يوجب زيادة يقين الناس، ويتجنب الطرح الذي يؤدي إلى التشكيك في العقيدة، للأسف بعض المبلغين عنده شهوة طرح الإشكالات وبتفنن، وكان هدف المبلغ هو هذا، هل هذا هو منهج أهل البيت عليهما السلام؟ هل هذا هو منهج القرآن الكريم، نعم أحياناً يطرح المبلغ إشكالاً ليرد له تحصيناً للمجتمع من الإشكالات التي ربما ترد عليه، هذا أمر مطلوب جداً، ولكن في حدوده الخاصة.

والسبب الثاني الذي يسبب ضعف اليقين الذنب فعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحى،

وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً<sup>(٢٠)</sup> فكلما أذنب العبد ذنباً-كبيراً كان الذنب أو صغيراً- فقد مرتبة من مراتب الإيمان، والسبب الثالث عدم المداومة على الذكر والعبادة، وربما ضعف الإيمان حتى زال، كما رأينا بعض النماذج في زمن أهل البيت عليهما السلام وزماننا هذا، فاسمع ماذا يقول زياد بن أبيه لعنهما إلى حجر بن عدي رضوان الله عليه فقد "كانت بينه وبين حجر بن عدي مودة، فوجه إليه فأحضره، ثم قال له: يا حجر! أرأيت ما كنت عليه من المحبة والموالاة علي؟ قال: نعم! قال: فإن الله<sup>(٢١)</sup> قد حول ذلك بغضبة وعداوة، أو رأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم! قال: فإن الله قد حول ذلك محبة وموالاة، فلا أعلمك ما ذكرت علياً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر"<sup>(٢٢)</sup> وهل يأمن أحدنا من الانحراف وضعف أو فقدان الإيمان؟! سيما أنه ذو مراتب، فربما يحب أحدنا أهل البيت عليهما السلام ويجد الشوق والهيام، ثم يبرد هذا الحب ويضعف، وليس هذا إلا لضعف الإيمان الذي من أهم أسبابه ممارسة الذنب.

### الدرس الثالث

#### ويقيمون الصلاة

إقامة الصلاة تبدأ بالمحافظة على أدائها في أوقاتها مع مراعاة الأحكام الشرعية، وهذه هي أول مراتب المحافظة على الصلاة، ثم يتدرج الإنسان في إقامتها للصلاة بأن يحافظ على قلبه من التشتت في الصلاة، وهذا مرتب لا تتمكن من الحديث عنها، وكما أن معرفة الله أساس المعارف والمعتقدات فإن الصلاة أساس العبادات وركنها، فهي بالنسبة للعبادات الأخرى بمنزلة التوحيد بالنسبة للنبوة والإمامية وغيرهما من المعتقدات، لأنها ثناء على الله باسمه الأعظم، فهي أعظم ذكر لله تعالى، روي عن الصادق عليهما السلام لما سئل عن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله أنه قال: «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن

مريم قال: (أوصاني بالصلاحة)<sup>(٢٣)</sup>، والمحافظة على الصلاة بشروطها يحتاج إلى توفيق إلهي، سيما بالنسبة لشروطها الباطنية، فلا بد من الدعاء والتسلل بأهل البيت عليهما السلام لكي يوفق الإنسان لأداء حق العبادة<sup>(٢٤)</sup>، يقول تعالى على لسان إبراهيم عليهما السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾<sup>(٢٥)</sup> ولا يمكن أن يتمكن الإنسان من الاستقامة على طريق الله من دون المحافظة على الصلاة، فالإنسان الملترم إذا أراد أن يصحح من أخلاقه وسلوكه الظاهري والباطني فعليه أن يبدأ بالمحافظة على الصلوات الواجبة، فهي محور السير والسلوك إلى الله تعالى، عن النبي عليهما السلام: «ليكن أكثر همك الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين»<sup>(٢٦)</sup>.

فهل نهتم بصلاتنا كما نهتم بأمورنا الدنيوية؟ هل يشغل بألنا مسألة كيف نخشى في صلاتنا ونتأدب بين يدي الله تعالى؟ وهل بذلنا جهدا في ذلك؟ هل حاسينا أنفسنا على تقديرنا في الصلاة والتوجه فيها؟ ما أجهلنا بالحقائق وأغفلنا عن الغيب! هذه الصلاة التي هي بتصريح الروايات عمود الدين، وقبوها شرط قبول الأفعال، نتعامل معها بهذا التعامل، فكيف بغير الصلاة؟ على كل واحد منا أن يراجع نفسه جيدا ليري كيف هو والصلاة، ويتوسل إلى الله من تقديره، ويجدد عهده بالصلاحة والمحافظة عليها.

### ومما رزقناهم ينفقون

الرزق إما مادي كالأموال وأعضاء الجسم والمأكل والملابس والنساء، وإما معنوي كالتوقيق للإيان والصلة والجهاد وطلب العلم، وإنفاق الرزق المادي ببذل كبذل المال والنفس، أما إنفاق الرزق المعنوي فأما يكون بإفاده الآخرين به، كتعليم الدين والتنمية، وقد ورد الحديث في الروايات على كلا النوعين من الإنفاق، فعن الصادق عليهما السلام: «لكل شيء زكاة وزكاة العلم أن يعلمه أهله»<sup>(٢٧)</sup> هذا فيما يرتبط

بالإنفاق المعنوي أما الإنفاق المادي فالأمر فيه واضح جداً، ومن المدبر بالذكر أن الإنفاق إذا كان لوجه الله فإنه يتعارض وحب النفس والأنانية والانطواء عليها، نعم إذا كان الإنفاق للشهرة والمصب والمال فإنه يتلاءم وحب النفس والأنانية، والإنفاق في الأمور الصغيرة يهبي النفس للإنفاق فيما هو أكبر، فالإنفاق في المال يهبي النفس لبذل الروح في سبيل الله تعالى، والجهاد في سبيله سبحانه، على المؤمن أن يربى نفسه على البذل والعطاء في كل شيء، في المال والوقت والراحة لخدمة دين الله والمؤمنين، يقول تعالى على لسان عيسى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دَمَتُ حَيًّا﴾<sup>(٢٨)</sup> ففي الرواية عنهم عليهما السلام مباركا أي نفاعاً<sup>(٢٩)</sup>، أي كثير النفع، المؤمن لا بد أن يكون مباركا أينما حل، يسعى هداية الناس والحفاظ على دينهم، ورفع الظلم عنهم، ومن الصفات الديمية في المؤمن والتي تتنافى مع إيمانه أن ينطوي على نفسه ومصالحه، فإن هذه الصفة توجب أن يخذل المؤمن الحق إذا ما تطلب منه نصر الحق، وأن يضحي براحته أو سمعته أو أمواله، وهذا ما حصل مع بعض المسلمين في زمن أهل البيت عليهما السلام، وأوضح مثال على ذلك موقف أهل الكوفة مع الإمام الحسين عليهما السلام و المسلمين بن عقيل.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣٠)</sup>. هذه الآية تتحدث عن إحدى موالفات اليهود الخبيثة، وهي لبس الحق بالباطل، وكتمان الباطل، يقول الشيخ ناصر مكارم في تفسيره لهذه الآية: "كمان الحق، مثل خلط الحق بالباطل ذنب وجريمة، والأية تقول لهم: قولوا الحق ولو على أنفسكم، ولا تشوهدوا وجه الحقيقة بخلطها بالباطل وإن تعرضت مصالحكم الآتية للخطر"<sup>(٣١)</sup>. قول الحق وبيان الحق من أهم موالفات المؤمن، وهي من الصفات التي تحتاج النفس الترويض عليها، خصوصاً إذا كان قول الحق يتعارض مع مصالح الإنسان، فقول الحق عندما يتلاءم ومصالح الإنسان لا يكون صعباً، لكنه عندما يكون موجباً



للعناء والتعب والمشقة، وربما يكون موجباً لزوال الشهرة أو ذهاب المال، يكون صعباً على النفس جداً، ولذا ورد التأكيد على قول الحق على النفس؛ لأن قول الحق على النفس من أشق الأمور؛ لأنه يتعارض وحب النفس المذموم الذي يمثل المرض الأخطر والأكبر في حياتنا.

على المؤمن أن يعود نفسه قول الحق، وأن يقبل قول الحق، وأن يكون دائم البحث عن الحق، عن الإمام علي عليه السلام قال: «الحق كله ثقيل، وقد ينفعه الله على أقوام طلبو العاقبة فصبروا نفوسهم، ووثقوا بصدق موعد الله لمن صبر واحتسب، فكن منهم واستعن بالله»<sup>(٣٢)</sup> في الغالب يكون قول الحق مكلفاً، فلا بد من توطين النفس على قول الحق والاستعانة بالله تعالى، عندما يرى المؤمن باطلاً عليه أن يقول الحق مهما كلف الشمن، إلا أن تكون مصلحة الدين في الكتمان، فإذا ما رأى الناس تنسب إلى الدين ما ليس فيه كان تقول بأن حديث الأجنبي مع المرأة الأجنبية -من غير ضرورة- لا غضاضة فيه في الإسلام ولا كراهة، عليه أن يبين ويقول أن هذه الفكرة ليست صائبة وأن الحق هو كذا... دونما تردد أو خوف<sup>(٣٣)</sup>، كما أن عليه أن يعود نفسه على قبول الحق، فعندما يبدأ نقاش بين الأستاذ والتلميذ مثلاً عليهمما أن يوطنوا أنفسها على قبول الحق، فعلى الأستاذ مثلاً أن يقبل فكرة التلميذ إذا ما رآها حقاً ويفصح عن قبوله بذلك من دون تردد أو كبراء، وربما يجد في نفسه ثقلاناً نابعاً من حب النفس وخوف السقوط من أعين الناس، ولكن عليه أن يحارب هذه الشجرة الخبيثة شجرة حب النفس والدنيا، وعندما تقول الزوجة الأمية أو قليلة الثقافة لزوجها المثقف صاحب المكانة في المجتمع أمراً محقاً عليه أن يقبل قوله دون تكبر، فإن الإنسان لا بد أن يتواضع دائماً للحق، وإذا قال الزوج لزوجته عن خطأ ترتكبه فإنه عليها أن تقبل قوله وتتخضع للحق دونما تكبر، عن رسول الله عليه السلام: «أتقى الناس من قال الحق فيما له وعليه»<sup>(٣٤)</sup>.

كثير منا يكتم قول الحق خوفا على السمعة والجاه أو المال أو طلبا لراحة البال، فربما يرى رئيس العمل الفلافي الديني نفسه أنه غير قادر على إدارة العمل الملقى عليه، لكن يأبى عن الاعتراف بذلك خوفا على سمعته، وربما يرى المؤمن ظاهرة فاسدة في منطقته لكنه يسكت عن قول الحق طلبا لراحة البال وابتعادا عن المشاكل، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**قُلِ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ فِيهِ هَلَاكٌ، فَإِنْ فِي نَجَاتِكَ... وَدُعِ الْبَاطِلُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ نَجَاتٍ فَإِنْ فِي هَلَاكٍ**»<sup>(٣٥)</sup> وكثيرا ما تحكمنا الجاملات والرسوم الباطلة، فإذا كان المبطل صاحب مكانة وجاه ديني أو دنيوي سكتنا عن الحق، أما إذا كان المبطل فقيرا مسكونا دسنا عليه بأقدامنا، علينا أن نتعود قول الحق حتى عندما يكون المبطل سلطانا عاتيا، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَلَا لَا يَمْنَعُ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلْمَةُ حَقٍّ عَنْ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»<sup>(٣٦)</sup> وهذا لا يتنافى مع مداراة الناس المأمور به في الروايات. كما أن كثيرا منا لا يقبل قول الحق لنفس الأسباب، ولا يبحث عن الحق كذلك، وربما يسعى الإنسان تهربا من الحق ومتطلباته لأن يلبس الحق بالباطل.

#### الدرس الرابع

**﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَسُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَئْتُمْ تَتَلَوَّنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾**<sup>(٣٧)</sup>.

ورد في الروايات أن أمر الناس بالعمل الصالح والسلوك الطيب ربما كان باللسان وربما كان بالعمل، وهو أبلغ في التأثير، فعن أبيأسامة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**عَلَيْكَ بِتَقْوِيَ اللَّهِ وَالْوَرْعِ وَالاجْتِهَادِ وَصَدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَحُسْنِ الْخَلُقِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَكُونُوا دُعَاءَ إِلَى أَنْفُسِكُمْ بِغَيْرِ أَسْتِكْمِ وَكُونُوا زِينَةً لَا تَكُونُوا شَيْئاً، وَعَلَيْكُمْ بِطُولِ الرَّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَإِنْ أَحْدَكُمْ إِذَا أَطَالَ الرَّكُوعَ وَالسُّجُودَ هُتِفَ إِبْلِيسُ مِنْ خَلْفِهِ وَقَالَ: يَا وَيْلَهُ أَطَاعَ وَعَصَيَ وَسَجَدَ وَأَبَيَتْ**»<sup>(٣٨)</sup>.

ولكن المراد بالأمر في الآية المباركة هو الأمر باللسان طبعا دون الأمر بالسلوك لأن الآية بصدق لوم التارك لما يأمر به، فنفس الإنسان عادة ما تلتفت إلى عيوب الآخرين وتغفل عن عيوبها، أو يزين لها الشيطان عيوبها، فيرى غضبه لله وغضب غيره لحب النفس، ويرى سوء خلقه مع الزوجة تأديبا وسوء خلق غيره مع زوجته تعديا، لذا فإنك تراه ينصح غيره ويقع في نفس ما نهى عنه، فعلى الإنسان أن يحاسب نفسه بدقة ولا يغفل عنها، وعليه أن ينظر إلى نفسه بعين التهمة دائما وأن لا يبرئ نفسه من الأخطاء.

والحججة على العالم أبلغ وأخذه أشد، ولذا تقول الآية: ﴿وَأَتْتُمْ تَثْلُونَ الْكِتَابَ﴾، أيها المؤمن يا من قرأت القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام وفهمتها عندما تأمر غيرك بما فيهما لا تنسى نفسك، فإن من عجز عن تهذيب نفسه فإنه عن تهذيب غيره أعجز، ولا ينفذ قول غير العامل بعلمه إلى قلوب الناس، بل إن الناس عندما ترى المثقف العالم بعالم الدين لا يطبق ما يقول تزهد في طلب العلم الذي هو الوسيلة الأساسية للسير والسلوك إلى الله تعالى، وتقول إن هذا الرجل عنده علم كثير وقضى زمنا طويلا في الحوزة العلمية لكن لم تتغير أخلاقه وسلوكته، فلماذا أتعب نفسي لأدرس! عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا زَهَدَ النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ كُثُرَةً مَا يَرَوْنَ مِنْ قَلْةِ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ»<sup>(٣٩)</sup> وعن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدث عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال في كلام له: «العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وإن أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة وأدخل الداعي النار بتزكيه علمه واتباعه الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيقصد عن الحق وطول الأمل ينسى الآخرة»<sup>(٤٠)</sup> ومن الجدير بالذكر هنا أن المراد بالعالم هنا هو كل من يعلم حتى لو كان علما قليلا وليس المراد بالعالم هنا خصوص العلماء العظام بحسب

المتعارف عندنا في أزمنتنا، فمن علم أن تأخير الصلاة من دون مسوغ استخفاف  
حرم، فهو عالم لو ترك العمل بعلمه لكان مصداقاً للحديث.

﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاحْاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٤١)</sup>.

السيئة تكون بفعل العمل المحرم، أو ترك الواجب، وتؤثر السيئة في النفس  
ظلمة وحالة نفسية سلبية توجب صدور أعمال سيئة أخرى، فكلما أذن  
الإنسان أسود قلبه أكثر إلى أن ينقلب فلا يبقى فيه خير؛ فيفقد بعد ذلك حتى  
الإيمان الذي هو رأس ماله، فيستحق العذاب الخالد المؤبد، فمن يستغرق في  
كسب السيئات حتى تحيط بقلبه ينقلب ويكره بالله تعالى، عن أبي بصير قال:  
سمعت أبو عبد الله عاشور يقول: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب  
انمحى، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»<sup>(٤٢)</sup> والنكتة السوداء  
هي الحالة النفسية التي تحيط شيئاً فشيئاً حتى تغلب عليه، وهذا من أخطر آثار  
الذنوب.

ورد عن أبي حمزة، عن أحد همatics<sup>(٤٣)</sup> في قول الله عزوجل: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ  
سَيِّئَةً وَاحْاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال: «إذا جحد إمامه أمير المؤمنين عاشور فأولئك  
 أصحاب النار هم فيها خالدون»<sup>(٤٤)</sup> وهذا من باب الجري وبيان المصدق، فإن  
الذنب ليس محصوراً بالذنب العملي فحسب فهناك ذنوب عقائدية، وهو  
الجحود<sup>(٤٥)</sup> لكل عقيدة صادقة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ﴾<sup>(٤٦)</sup>.

هناك علاقة وثيقة لا تنفك بين الإيمان والعمل الصالح، ولا بد من التأمل فإننا  
نقول أن هناك علاقة بين الإيمان والعمل الصالح ولم نقل بين العلم والعمل الصالح،

نعم هناك علاقة بين العلم المُحْقِقِي الذي يساوِي الإيمان والعمل الصالح، وكذلك قلنا العمل الصالح ولم نقل العمل فقط، فإن العامل رباعاً عمل غير وجه الله ﷺ فلا يكون عمله صالحاً، فما هي هذه العلاقة.

يُكَفَّرُ بِأَنَّ الْعَلَاقَةَ وَجْدَانِيَّةً بَدِيهِيَّةً يَشْعُرُ بِهَا كُلُّ إِنْسَانٍ، وَلَكِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مِّنَ التَّحْلِيلِ، فَإِنْ ذَلِكَ يَنْفَعُ فِي إِدْرَاكِ أَهْمَيَّةِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الْلَّذَانِ يَرْكِزُ عَلَيْهِمَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، بَلْ يَجْعَلُهُمَا الْهُدْفَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ،<sup>(٤٧)</sup> إِنَّ الإِيمَانَ الَّذِي هُوَ عَبَارَةٌ عَنِ التَّصْدِيقِ الْقَلْبِيِّ لَا يَنْفَكُ عَنِ الْعَمَلِ، فَلَا بُدُّ أَنْ يَتَبَعَّهُ عَمَلٌ، فَالْمُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ حَاضِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ تَرَاهُ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَتَجْنِبُ الْمُعْصِيَّةَ مَهْمَا أَمْكَنَهُ، وَكَلِّمَا زَادَ إِيمَانَهُ زَادَ تَقوَاهُ، هَذَا مِنْ جَهَّةٍ، وَمِنْ جَهَّةَ أُخْرَى فَإِنَّهُ كَلِّمَا عَمِلَ بِنِيَّةَ خَالِصَةِ ازْدَادَ إِيمَانِهِ أَيْضًا، فَالْعَلَاقَةُ تَبَادِلِيَّةٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَكَلِّمَا قَسَرَ الْعَبْدُ فِي عِبَادَتِهِ وَعَمَلَهِ الصَّالِحِ<sup>(٤٨)</sup> أَثْرَ ذَلِكَ سَلْبِيًّا عَلَى إِيمَانِهِ، وَكَلِّمَا تَأْثِيرَ إِيمَانِهِ سَلْبِيًّا قَلَ عِلْمُهُ كَيْفَا وَكَمَا، وَلَشَدَّةِ الْعَلْقَةِ بَيْنِ الإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«الإِيمَانُ مَعْرِفَةُ الْقَلْبِ وَإِقْرَارُ الْلِّسَانِ وَعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ»<sup>(٤٩)</sup> وَمَعْرِفَةُ الْعِقْلِ شَيْءٌ وَمَعْرِفَةُ الْقَلْبِ شَيْءٌ آخَرُ، وَمَا لَمْ يَسْتَتِّبْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ عَمَلٌ جَوَارِحِيٌّ فَإِنْ ذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ ضَعْفِ الإِيمَانِ أَوْ زُوالِهِ.

فَلَا يُكَفَّرُ بِأَنَّ يَكُونَ إِنْسَانٌ مُؤْمِنًا وَلَا يَعْمَلُ عَمَلاً صَالِحًا، نَعَمْ يَتَفَاءَلُ الْعَمَلُ بِحَسْبِ تَفَاءُلِ الإِيمَانِ شَدَّةُ وَضَعْفُهُ، فَعِنْدَمَا نَقُولُ أَنَّهُ لَا يَكْفِيُ الإِيمَانُ مِنْ دُونِ عَمَلٍ يَعْنِي أَنَا نَقُولُ أَنَّهُ لَا يَكْفِيُ بِمُجْرِدِ الْعِلْمِ دُونَ الإِيمَانِ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا يَنْفَكُ عَنِ الإِيمَانِ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا إِيمَانٌ حَقِيقِيٌّ مِنْ دُونِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

## الدرس الخامس

﴿وَتَجْدَنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمًا أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمِّرُ الْفَ سَنَةً وَمَا هُوَ بِمُرَجِّحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمِّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا

## يَعْمَلُونَ<sup>(٥٠)</sup>.

عن أبي عبد الله عَلِيهِ الْكَلَامُ قال: «رَأَسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ حُبُ الدُّنْيَا»<sup>(٥١)</sup> حُبُ الدُّنْيَا يُعْنِي التَّعْلُقُ الْقَلْبِيُّ بِزَخارفِ الدُّنْيَا وَشَهْوَاتِهَا، مِنْ مَالٍ وَنِسَاءٍ وَجَاهٍ وَمَنْصَبٍ وَشَهْرَةٍ، عَنْ حَمَادَ بْنَ بَشِيرٍ قَالَ: سَعَتْ أُبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلِيهِ الْكَلَامُ يَقُولُ: «مَا ذَبَانَ ضَارِيَانَ فِي غَنِمٍ قَدْ فَارَقَهَا رَعَاوَهَا، أَحْدَهُمَا فِي أُوهَهَا وَالْآخَرُ فِي آخِرَهَا بِأَفْسَدِ فِيهَا مِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالْشَّرْفِ فِي دِينِ الْمُسْلِمِ»<sup>(٥٢)</sup> وَسَبِيلُ حُبِ الدُّنْيَا يَرْجِعُ إِلَى حُبِ النَّفْسِ وَالْجَهَلِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا الَّذِي يُحْسِبُهَا كَمَالَهُ الْمُنْشُودُ يَتَعَلَّقُ بِهَا، لَذَا تَجْدِهُ حَرِيصًا أَشَدَّ الْمُرْصَدِ عَلَى الدُّنْيَا ﴿وَلَتَجِدُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ﴾ لَا يُطِيقُ أَنْ يَفْقَدْ شَيْئًا مِنْهَا، فَتَرَاهُ يَجْدِ الْجَدَ لِيَنَالَ الشَّهْرَةَ وَالْمَالَ وَالنِّسَاءِ وَ... وَيَسْهُرُ لِيَلِهِ لَوْ فَقَدْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

وَبِمَا أَنَّهُ لَا يَكُنْ أَنْ يَجْتَمِعُ حُبُ الدُّنْيَا مَعَ حُبِ الْآخِرَةِ وَحُبِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلِيهِ الْكَلَامُ: «إِنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عَدُوَانَ مُتَفَاقِوْتَانَ، وَسَيِّلَانٌ مُخْتَلِفَانَ، فَمَنْ أَحْبَبَ الدُّنْيَا وَتَوَلَّهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَعَادَهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا شِئْنَاهُمَا، كُلُّمَا قَرَبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعْدِ مِنَ الْآخِرَةِ، وَهُمَا بَعْدِ ضَرْبَتَانِ»<sup>(٥٣)</sup> فَتَرَاهُ يَزْهُدُ فِي كُلِّ مَا يَرْتَبِطُ بِاللَّهِ وَبِالْآخِرَةِ، فَلَا يُشْغِلُ قَلْبَهُ فَرَارُ خَيَالِهِ فِي الصَّلَاةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَا يَهْتَمُ لَوْ تَرَكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا يَحْزُنُ لَوْ فَاتَهُ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَ...

وَالْحُبُّ لِشَيْءٍ لَا يُطِيقُ فَرَاقَهُ، لَذَا إِنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ أَشَدَّ الْكَراْهِيَّةِ، وَيَرِى مَوْتَهُ فَرَاقًا لِحَبْوَبِهِ وَمَعْشُوقِهِ، فَيَتَمْنَى أَنْ يَعِيشَ إِلَى أَبْدِ الْأَبْدِينِ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمِّرُ أَلْفَ سَنَةً﴾ وَهَذِهِ الْمُشَكَّلَةُ الْأَسَاسِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، إِنَّهَا مُشَكَّلَةُ حُبِ الدُّنْيَا وَحُبِ النَّفْسِ، لِأَنَّهَا سَبِيلُ كُلِّ الْمُفَاسِدِ، الرِّيَاءِ وَالْحَسْدِ وَالْتَّكْبِرِ وَأَعْظَمِ الْمُهْلَكَاتِ إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنْ حُبِ النَّفْسِ وَالدُّنْيَا، وَهَذِهِ الْمُشَكَّلَةُ هِيَ الَّتِي جَعَلَتِ الْيَهُودَ بِهَا الْمُسْتَوْىَ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَالْخَسْنَةِ، حَتَّى أَنَّهُ لَمْ تَنْفَعْ مَعَهُمْ كُلُّ النَّذَرِ وَالْمَاعِزِ وَالْبَيْنَاتِ.

وَلَا سَبِيلٌ لِلتَّخلُصِ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعَضَالِ إِلَّا بِعِرْفَةِ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَحَقِيقَةِ

الآخرة، وأن هذه الدنيا زائلة لا محالة، وأن وراءها حياة لا موت فيها، وأنه عن قريب راحل إليها ملاق عمله، عن علي عليه السلام: «تجهزوا رحمة الله فقد نودي فيكم بالرحيل. وأقلوا العرجـة<sup>(٥٤)</sup> على الدنيا»<sup>(٥٥)</sup> وإن أثر الانشغال بلذات هذه الدنيا يورث الحسـرة والنـدـامة في تلك الدار، ثم إنـه ليس في هذه الدنيا لذـة دائـمة خالـصة من المـغـصـات، فـلـذـة المـال مشـوـبة بـجـنـوف زـوـالـهـ، ولـذـة المـنـصب والـشـهـرـة والـنسـاءـ كذلكـ، ولو تـأـملـ الإـنـسـانـ فيـ حـيـاتـهـ جـيـداـ لـوـجـدـ أـنـهـ لـاـ تـوـجـدـ لـذـةـ منـ لـذـاتـ الـدـنـيـاـ تستـحقـ تـوـجـهـ القـلـبـ إـلـيـهـ بـجـيـثـ يـعـصـيـ اللهـ مـنـ أـجـلـهـ، وـلـذـةـ الـبـاقـيـةـ الـقـيـمـةـ الـلـيـكـنـ لـلـإـنـسـانـ تـحـصـيلـهـ فـيـ هـذـهـ الـدـنـيـاـ هيـ لـذـةـ الـقـرـبـ مـنـ اللهـ تـعـالـىـ وـالـتـعـلـقـ بـهـ، وـعـبـادـتـهـ منـاجـاتـهـ، فـإـنـ الـلـذـةـ الـتـيـ يـجـدـهـ الـحـبـ لـرـبـهـ لـاـ يـجـدـهـ أـحـدـ مـهـماـ اـسـتـغـرـقـ فـيـ الـلـذـاتـ الـدـنـيـوـيـةـ ﴿فَأَيْنَ تَذَهَّبُونَ﴾<sup>(٥٦)</sup>

وفي الحقيقة إن الحب للدنيا ملأ فطرة الحب عنده بالدنيا الزائلة عوضاً عن حبه لله تعالى، فهو بذلك يجعله المتشوق المعبد الذي يشغل باله دائماً، فيكون نداء الله سبحانه وعبوداً سواه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾<sup>(٥٧)</sup> أما من أدرك حقيقة هذه الدنيا الزائلة والشهوات المشوبة، وأدرك جمال وكمال الله تعالى الذي لا يعادله ولا يداريه جمال، فإنه لا يستعيض عن حبه لله بأي شيء في الدنيا والآخرة، ولذلك فإن المحبين للدنيا عندما يفارقونها وتنكشف لهم الحقائق وأنه لا يوجد كمال إلا كماله تعالى، يدركون مدى الحمق الذي كان يسيطر على عقولهم وقلوبهم ﴿وَلَا حِينَ مَنَاصٍ﴾<sup>(٥٨)</sup>.

### الدنيا خير واعظ

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ

**بِرَبِّكَ**: «وَهُنَّا أَقُولُ مَا الدِّنِيَا غَرْتَكَ وَلَكَنْ بِهَا اغْتَرْتَ. وَلَقَدْ كَاشْفَتَكَ الْعَظَاتِ وَأَذْتَكَ عَلَى سَوَاءٍ. وَهِيَ بِمَا تَعْدُكَ مِنْ نَزْوَلِ الْبَلَاءِ بِجَسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قَوْتِكَ أَصْدِقُ وَأَوْفِي مِنْ أَنْ تَكَذِّبَكَ أَوْ تَغْرِيكَ. وَلِرَبِّ نَاصِحٍ لَهَا عَنْدَكَ مِنْهُمْ، وَصَادِقٌ مِنْ خَبْرِهَا مَكْذُوبٌ. وَلَئِنْ تَعْرَفْتَهَا فِي الْدِيَارِ الْخَارِجِيَّةِ وَالرَّبِيعِ الْخَالِيَّةِ لَتَجَدُنَّهَا مِنْ حَسْنٍ تَذَكِّرُكَ وَبَلَاغُ مَوْعِظَتِكَ بِمَحْلَةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيجِ بِكَ»<sup>(٥٩)</sup> عِنْدَمَا يَتَأْمِلُ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ جَيْداً يَجِدُ أَنَّ الدِّنِيَا تَعْظِيْهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بِالْمَرْضِ وَفَقْدِ الْأَحَبَّةِ وَالْهَمِّ وَالْحَزْنِ، بِفَقْدِ الْقُوَّةِ وَنَزْوَلِ الْعَذَابِ، بِشُوْبِ الْمَلَذَاتِ بِالْمَنْغَصَاتِ، بِالْمَصَائِبِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى غَيْرِهِ وَرَبِّهِ تَجْرِي عَلَيْهِ، بِالْقَبُورِ وَتَفْرِقِ أَوْصَالِ الْمَوْتَىِ، وَخَرَابِ الْبَيْوَاتِ وَزِوالِ الْجَمَالِ وَالنَّضَارَةِ، بِزِوالِ لَذَّةِ الْمَعَاصِيِّ، بِإِعْرَاضِ الْأَحَبَّةِ عَنْهُ وَبِخَذْلَانِ الْأَصْدِقَاءِ، فَفِي كُلِّ هَذَا مَوْاعِظٍ بِالْغَةِ مَنْ كَانَ عَاقِلاً، وَهِيَ كَفِيلَةٌ بِتَزْهِيدِ إِلَيْهِ إِنْسَانَ فِي الدِّنِيَا وَصَرْفِهِ عَنْهَا، يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَلَامِهِ فِي وَصْفِ الدِّنِيَا: «مَا أَصْفَ مِنْ دَارٍ أَوْهَا عَنَاءً، وَآخِرَهَا فَنَاءً، فِي حَلَامِهَا حِسَابٌ، وَفِي حِرَامِهَا عِقَابٌ مِنْ أَسْتَغْنَى فِيهَا فَتَنٌ، وَمِنْ افْتَرَ فِيهَا حَزْنٌ، وَمِنْ سَاعَاهَا فَاتَّهُ، وَمِنْ قَدَّ عَنْهَا وَاتَّهُ، وَمِنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ، وَمِنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ»<sup>(٦٠)</sup> فَنِعْمَ الْمَبْصُرُ بِالدِّنِيَا هِيَ الدِّنِيَا؛ لَأَنَّ الْمُؤْمِنَ لِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِيهَا مَوْعِظَةٌ، فَعِنْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنْ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةٌ وَعِرْبَةٌ لِنَوْيِ الْبَلْ وَالْأَعْتَارِ»<sup>(٦١)</sup>.

### الحسد

﴿مَا يَوْدُدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٦٢)</sup>،  
 ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرَدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَاصْفُحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٦٣)</sup>.

الحسد من أقبح الصفات النفسية النابعة من شجرة حب النفس والدنيا

الخبيثة، وهو من مصاديق الاعتراض القلبي على الله تعالى<sup>(٦٤)</sup>، والحسود دائمًا يتمتع بزوال النعمة عن غيره من الناس، ولا يتمتع لهم أي خير لا في الدنيا ولا الآخرة، ويتألم عندما يرزق الله أحداً من الناس ويجد العذاب في قلبه لذلك، عن الإمام علي عليه السلام: «الحسود يفرح بالشروع ويقمع بالسرور»، وعنه عليه السلام أيضاً «الحسود يرى أن زوال النعمة عن من يحسده نعمة عليه»<sup>(٦٥)</sup> ولذا فهو يعيش في عذاب دائم، فهو إما ساخط على نعمة موجودة أو خائف من نزول نعمة جديدة على الحسود، وهذه الصفة من صفات الكفار الذين لا يؤمنون بالله تعالى ﴿مَا يَوْدُ الظَّالِمُونَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، عن الإمام الصادق عليه السلام: «يقول إبليس لجنته: ألقوا بينهم الحسد والبغى فإنهما يعدلان عند الله الشرك»، وعنه عليه السلام: «إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً، فإن الكفر أصله الحسد»<sup>(٦٦)</sup> لكن الله يحب بجواب واضح للحسود ويقول له إن الحسد لن يرجع ضرره إلا عليك، ولن يؤثر حسدك في تغيير مجرى الإرادة الإلهية ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لأن الله كريم يحب الخير للجميع بخلاف الحسود فإنه لا يحب الخير إلا لنفسه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

على الإنسان أن يربى نفسه على حب الخير لجميع الناس، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله يحب المرء المسلم الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويناصحه الولاية»<sup>(٦٧)</sup> ويجب أن نتوقف طويلاً عند قول رسول الله عليه السلام: «لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>(٦٨)</sup> فهل نحن كذلك؟ هل أحاسينا تجاه بعضنا مطابقة لهذا الحديث الشريف؟ وهل وقفنا مع أنفسنا لندق في ذلك؟ وهل صرفاً وقتاً لنعرف سبب فقدان هذه الصفة من أنفسنا؟ وهل بذلنا جهداً لتحقيق بهذا الخلق العظيم الذي هو منبع أكثر الخيرات في حسن الخلق مع الناس؟

إن بعضنا إذا ما قال له صاحبه أني لا أوفق لصلاة الليل ربما يجد الفرحة في قلبه! أو عندما يقول له إني لا أستطيع إمساك عيني عن الحرام، فربما يأنس بذلك بدل أن يتالم ويحزن وكأنه هو الذي وقع في هذه المشكلة! هذه الحالة نابعة من شجرة الحسد القدرة التي تنشأ منها كثير من المفاسد كالغيبة وكتمان الحق وترك الثناء على المستحق.

### منطق البرهان والدليل

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيْهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٦٩)</sup>.

يؤكد القرآن الكريم على عدم قبول الحق من دون دليل وبرهان<sup>(٧٠)</sup>، كما أنه يؤكد على لزوم قبول الحق إذا ما دل البرهان عليه، فليس من حق أحد أن يرفض ما دل عليه البرهان، ولا يقبل القرآن الكريم الاعتماد على العواطف في تحديد الحق من الباطل، كما أنه لا يعتمد على ما عليه عوام الناس؛ لأن الناس ربما جروا على ما ليس بحق، كما أنه لا عبرة بالأعراف والمظاهر التي لا تستند إلى الحق-الشارع - لذا على المؤمن أن يربى نفسه على أن يكون معياره في القبول والرفض أو التوقف هو البرهان، دون أن يجعل العاطفة أو الأعراف والمظاهر أو ما عليه الناس معياراً للحق، يقول الإمام علي عليه السلام: «إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله»<sup>(٧١)</sup> نعم بالنسبة للمقصوم فإنه معيار للحق، وي يكن من خلاله معرفة الحق لكونه معصوماً.

في كثير من الأحيان يكون معيارنا لقبول الفكرة أو السلوك الشهرة والجاه والمنصب والمكانة الاجتماعية، فنقبل قول العالم الكبير حتى لو كان مدخولاً ونرفض ونستصغر قول الصغير الفقير حتى لو كان حقاً! وربما قبلنا قوله لأنه يوافق أهواءنا ومصالحنا ورفضنا آخر لكونه يتعارض مع مصالحنا وأهواننا! وقد

سمعت أيها الحبيب قصة الشيخ العالم ميثم البحرياني مع علماء الحلة والعرق عندما عاتبوه على العزلة والإنفراد فامتحنهم بما أظهر فساد مسلكهم وإليك محل الشاهد من القصة باختصار فقد عاتبوه على عزلته فذهب إليهم ليمتحنهم تقول القصة:

"ثم إنه بعد الوصول<sup>(٧٢)</sup> إلى تلك المشاهد العلية ليس ثيابا خشنة عتيقة وتزيى بهيئة رثة بالاطراح والاحتقار خلقة ودخل بعض مدارس العراق المشحون بالعلماء والحاذاق فسلم عليهم فرد بعضهم عليه السلام بالاستقال والانتفاع التام فجلس - عطر الله مرقده- في صف النعال ولم يلتفت إليه أحد منهم ولم يقضوا واجب حقه وفي أثناء المباحثة وقعت بينهم مسألة مشكلة دقيقة كلت منها أفهمهم وزلت فيها أقدامهم فأجاب -روح الله روحه وتابع فتوحه- بتسعة أجوبة في غاية الجودة والدقة فقال له بعضهم بطريق السخرية والتهكم: أخالك طالب علم؟! ثم بعد ذلك أحضر الطعام فلم يؤكلوه قائلين بل أفردوه بشيء قليل على حدة واجتمعوا هم على المائدة فلما انقضى ذلك المجلس قام قائلين ثم إنه عاد في اليوم الثاني إليهم وقد لبس ملابس فاخرة بهية بأكمام واسعة وعمامة كبيرة وهيئة رائعة فلما قرب وسلم عليهم قاموا له تعظيمًا واستقبلوه تكريما وبالغوا في ملاحظته ومطاييفه واجتهدوا في تكريمه وتقديره وأجلسوه في صدر ذلك المجلس المشحون بالأفضل والمحققين والأكابر المدققين وما شرعوا في المباحثة والمذاكرة تكلم معهم بكلمات عليمة لا وجه لها عقلا ولا شرعا فقابلوا كلماته العلية بالتحسين والتسليم والإذعان على وجه التعظيم فلما حضرت مائدة الطعام بادروا معه بأنواع الأدب فألقى الشيخ قائلين كمه في ذلك الطعام مستعينا على أولئك الأعلام وقال: كل يا كمي، فلما شاهدوا تلك الحالة العجيبة أخذوا في التعجب والاستغراب واستفسروه عن معنى ذلك الخطاب فأجاب - عطر الله مرقده- بأنكم إنما أتيتم بهذه الأطعمة النفيسة لأجل أكمامي الواسعة لا لنفسي القدسية اللامعة وإنما صاحبكم بالأمس وما رأيت تكريما مع أنني جئتكم بالأمس بهيئة القراء وسجية العلماء واليوم جئتكم بلباس الجبارين وتكلمت بكلام الجاهلين

**فقد رجحتم الجهالة على العلم والفنى على الفقر<sup>(٧٣)</sup>.**

إن هؤلاء العلماء لم يتعلموا من القرآن أن يقبلوا الحق على أساس البرهان، وإنما جعلوا معيار الجاه والمال والمكانة عوضا عنه، ولو فتش الإنسان في حياته جيداً لوجد أنه واقع في كثير من الأحيان في هذا المرض دون أن يشعر<sup>(٧٤)</sup>، فلماذا أحياناً يسمع الكلام الصحيح من زوجته المسكينة ولا يقبله؟ ولكنه عندما يسمعها من العالم الكبير يقبله ويصدق به؟ إن الميزان الذي اعتمدته أهل الدنيا هو ميزان الباطل، ويوم القيمة حيث تكشف الحقائق يكون كل شيء تحت ميزان الحق «وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ نَقَّلتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»<sup>(٧٥)</sup>.

### **المواهش:**

(١) البقرة: ٢.

(٢) بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار: ٩٧.

(٣) مشرق الشمسين: البهائي العاملی: ٤٠٤.

(٤) الحجر: ٧٨.

(٥) الفرقان: ٣٠.

(٦) وهنا توجد مسألة مهمة جدا، وهي أن القرآن الذي يمثل الحق المطلق والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو الميزان في تقييم الأفكار الدينية التي ترد من النصوص غير القطعية - سندًا أو متنًا أو كلامًا - وهذا أمر مهم في حياة المؤمن فإنه من المهم جداً أن يكون عنده ميزان يزن به كل ما يرد عليه من أفكار، لكي يكون دائمًا في حصن ومامن من كل فكر باطل، وهذا جاء الأمر بعرض الروايات -غير القطعية- على القرآن الكريم.

(٧) الواقعة: ٧٩.

(٨) كنز العمال: ٤٠٢٧، راجع البحار: ٩٢ / ٧٧، ١٧ / ١٣٤ / ١٣٥.

(٩) بحار الأنوار: ج ٣٤ / ٢.

(١٠) البقرة: ٣٠.

- (١١) نهج السعادة: الشيخ الحمودي: ج ١٩٠/٨.
- (١٢) وسائل الشيعة: باب انه يجب على الإنسان أن يتلافى في يومه ما فرط في أمسه، ولا يؤخر ذلك إلى غده.
- (١٣) تحف العقول: ٢١٥.
- (١٤) المؤمنون: ١ - ٩.
- (١٥) الكافي: ج ٢/باب صفة العلماء.
- (١٦) عدة الداعي: ابن فهد الحلي: ٦٧.
- (١٧) من المناسب هنا أن نذكر قصة جوبير، ولكن لطول الرواية أعرضت عن نقلها، فراجع الكافي ج ٣٤٠/٥.
- (١٨) الكافي: ج ٢/باب الخوف والرجاء.
- (١٩) الكافي: ج ١/باب إبطال الرؤية.
- (٢٠) الكافي: ج ٢/باب الذنوب.
- (٢١) ونسب هذا الانحراف إلى الله ﷺ بهذا الأسلوب يكشف عن العقيدة الفاسدة التي كان عليها زياد بن أبيه، ولعل هذا من تأثير معاوية لـ الله.
- (٢٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢٣٠/٢.
- (٢٣) ميزان الحكمة: الصلاة: الصلاة أفضل الأعمال بعد المعرفة.
- (٢٤) يوصي الشيخ بهجت بالتوسل بصاحب الزمان علـى اللهـ وـعـجل اللهـ لـهـ الفـرجـ قـبـلـ كـلـ عـبـادـةـ للـتـوـفـيقـ لـأـدـاءـ حـقـ الـعـبـادـةـ.
- (٢٥) إبراهيم: ٤٠.
- (٢٦) ميزان الحكمة: الصلاة (١): الصلاة.
- (٢٧) عدة الداعي: ابن فهد الحلي: ٦٣.
- (٢٨) مريم: ٣١.
- (٢٩) في الكافي والمعاني والقمي عن الصادق علـى اللهـ قالـ نـفـاعـاـ التـفـسـيرـ الصـافـيـ: الـفـيـضـ الكـاشـانـيـ: جـ ٢٨٠ـ/ـ٣ـ.
- (٣٠) البقرة: ٤٢.
- (٣١) تفسير الأمثل: ج ١٨٦/١.



- (٣٢) ميزان الحكمة: الحق: ثقل الحق.
- (٣٣) كما هو الحال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- (٣٤) ميزان الحكمة: الحق: وجوب قول الحق ولو على النفس.
- (٣٥) ميزان الحكمة: الحق: وجوب قول الحق ولو على النفس.
- (٣٦) ميزان الحكمة: الحق: كلمة حق عند إمام جائز.
- (٣٧) البقرة: ٤٤.
- (٣٨) الكافي: ج ٢: باب الاعتراف بالتنصير: ح ٩.
- (٣٩) ميزان الحكمة: العلم: الحث على العمل بالعلم.
- (٤٠) الكافي: ج ١: باب استعمال العلم.
- (٤١) البقرة: ٨١.
- (٤٢) الكافي: ج ٢/ باب الذنوب.
- (٤٣) الباقي أو الصادق عليهما.
- (٤٤) الكافي: ج ١ / ص ٤٢٩.
- (٤٥) والمحود غير عدم الاعتقاد بسبب عدم الدليل.
- (٤٦) البقرة: ٨٢.
- (٤٧) راجع ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.
- (٤٨) ومن ضمن الأعمال الصالحة مثل التفكير.
- (٤٩) نهج البلاغة: الكلمات القصار: ٢٢٧.
- (٥٠) البقرة: ٩٦.
- (٥١) الكافي: ج ٢/ باب حب الدنيا والحرص عليها.
- (٥٢) المصدر السابق.
- (٥٣) ميزان الحكمة: الدنيا: افتراق الدنيا عن الآخرة.
- (٥٤) العرجة - بالضم - اسم من التعرير بمعنى حبس المطية على المنزل أي اجعلوا ركونكم إليها قليلا.
- (٥٥) نهج البلاغة: ومن كلام له عليهما كان كثيراً ما ينادي به أصحابه: ٢٠٤.
- (٥٦) التكوير: ٢٦.

- (٥٧) البقرة: ١٦٥.
- (٥٨) ص: ٣.
- (٥٩) نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام: ٢٢٣.
- (٦٠) نهج البلاغة: كلام له في صفة الدنيا: ٨٢.
- (٦١) ميزان الحكمة: الموعظة: في كل شيء موعظة.
- (٦٢) البقرة: ١٠٥.
- (٦٣) البقرة: ١٠٩.
- (٦٤) من بيان ذلك في الحديث عن آية البسملة.
- (٦٥) ميزان الحكمة: الحسد: سخط الحاسد لنعم الله.
- (٦٦) ميزان الحكمة: الحسد: الحسد والكفر. وكون أصل الكفر هو الحسد إشارة إلى أن أول كافر وهو إبليس لعنة الله إما حمله على الكفر حسده.
- (٦٧) وسائل الشيعة: ج ١٢: باب وجوب أداء حق المؤمن.
- (٦٨) بحار الأنوار: ج ٦٩: ص ٢٥٠.
- (٦٩) البقرة: ١١١.
- (٧٠) وهذه مسألة بدائية.
- (٧١) ميزان الحكمة: الحق: ميزان معرفة الحق.
- (٧٢) أبي الشيخ ميثم البحرياني نقاش.
- (٧٣) شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين علیه السلام: ص ٥.
- (٧٤) راجع ما ذكر في الحديث عن قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْنِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.
- (٧٥) الأعراف: ٨.



## والعصر .. منهج حياة

اسيد مرتضى السيد مجید السندي

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ  
لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا<sup>(١)</sup>  
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ﴾.

سورة العصر من السور القصار في القرآن الكريم، وقد اختلف في كونها مكية أو مدنية إلا أن الظاهر أنها سورة مكية لقصر آياتها وتأكيدها على العقائد الرئيسية -التوحيد والنبوة والمعاد- فإن هذه الأمور تعد مؤشرًا على كونها مكية. وقد ذكر صاحب تفسير الأمثل في هذا الشأن: "المعروف أن هذه السورة مكية، واحتمل بعضهم أنها مدنية. ويشهد على مكيتها لحنها ومقاطعها القصيرة".



وقال المعدل وقتادة: مدنية...".

وذكر صاحب تفسير رغائب القرآن وغرائب الفرقان ما نصه: " وهي مكية

وقد حكى صاحب التبيان أنها مكية ونسب ذلك إلى ابن عباس والضحاك حيث قال: " مكية في قول ابن عباس والضحاك، وهي ثلاث آيات بلا خلاف في جملتها وإن اختلفوا في تفصيلها" <sup>(٣)</sup>. وقد ذكر صاحب تفسير الكاشف أنها مكية أيضا، وهذا ما عليه صاحب التفسير المبين وتفسير المعين وتفسير بيان السعادة بل أغلب المفسرين.

### فضلها

روي في فضل هذه السورة عدة روايات: ففي ثواب الأعمال عن الصادق ع: «من قرأ والعصر في نوافله، بعثه الله يوم القيمة مشرقا وجهه ضاحكا سنه، فريرا عينه، حتى يدخل الجنة».

أخبرنا كامل بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن مطر قال: حدثنا إبراهيم بن شريك قال: حدثنا أحمد بن يونس قال: حدثنا سلام بن سليم قال: حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن مسلم، عن أمّه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ع: «من قرأ سورة والعصر ختم الله له بالصبر، وكان مع أصحاب الحق يوم القيمة» <sup>(٤)</sup>.

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي مليكة الدارمي وكانت له صحبة قال: كان الرجال من أصحاب رسول ع إذا التقى لم يتفرقوا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة والعصر إنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر <sup>(٥)</sup>.

## المعنى العام للسورة

أما الحديث عن معناها فقد كتب المفسرون عنها الكلمات العجائب حيث قال صاحب تفسير في ظلال القرآن: "في هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام. وتبرز معلم التصور الإيماني بحقيقة الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صورة، إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار، وتصف الأمة المسلمة، حقيقتها ووظيفتها في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة.. وهذا هو الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله.. والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هي هذه: إنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار، وامتداد الإنسان في جميع الأدوار، ليس هناك إلا منهج واحد رابح، وطريق واحد ناجٍ. هو ذلك المنهج الذي ترسم السورة حدوده، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه. وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار.." <sup>(٦)</sup>.

وقد كتب صاحب تفسير الوسيط (زحيلي) تحت عنوان (أصول النجاة): "... ليست النجاة بين يدي الله تعالى بالمال أو الجاه، أو العلم، أو الابتكار، أو العمل الدنيوي المحسن، أو غير ذلك من زخارف الحياة، ومظاهر العيش التي يتناهى فيها الناس، ويحرصون عليها، وإنما النجاة بين يدي الله إما ب موقف كريم يعتمد على قاعدة الإيمان الصحيح والله ورسوله، وإما بأصول أربعة هي: جسر النجاة في الموازين الإلهية، ألا وهي الإيمان الثابت، والعمل الصالح، والتواصي بالتزام الحق والعدل والخير، والتواصي بالصبر على الطاعة وعلى مصالب الدنيا، وهذا ما حكم به الله سبحانه في سورة العصر المكية عند الأكثرين".

وقال بعد ذلك بسطور: "هذه سورة جامعة لأصول الخير والنجاة عند الله تعالى، قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس، لأنها شملت جميع علوم القرآن" <sup>(٧)</sup>.

"قال الألوسي: وهي على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت"<sup>(٨)</sup>.

وذكر صاحب تفسير الميزان: "تلخص السورة جميع المعارف القرآنية وتجمع شتات مقاصد القرآن في أوجز بيان"<sup>(٩)</sup>.

أما صاحب تفسير من وحي القرآن فقد كتب: "هذه السورة القصيرة في كلماتها، الكبيرة في معانيها، تلتفت إلى الزمن كله الحاوي للإنسان كله، ليمنحه الفرصة الواسعة التي تدفعه إلى الفلاح في الدنيا والآخرة. ثم توجه الإنسان إلى أن الخسارة سوف تحيط به من كل جانب، إذا لم يأخذ بأسباب الربح التي تؤكده له حركة إنسانيته في اتجاه بناء الحياة على الحق في عمق وحيه الفكري والعملي، في الانفتاح على الله في خط الإيمان والعمل الصالح، في ما يمكن للإنسان أن يأخذ به في حياته الفردية في ذاتية الروح الإيمانية، وفي خصوصية فكره وشعوره، وفي حرکية الإيمان في خطه العملي في ما يمثله العمل الصالح، وفي التعمق في المسؤولية الاجتماعية التي تلقي عند الحق عندما يضعف تأثيره في الواقع بفعل التيارات المت荡عة التي تملك القوة المادية، فتحيط بالحق لتضغط عليه بمختلف الضغوط وأقسامها لتضعف تأثيره في نفوس أصحابه، فيتوافقون بالحفظ على والالتزام به والإصرار عليه. وتلقي عند كل أوضاع الحرمان ومواقع الآلام التي قد تدفع المؤمنين إلى السقوط تحت تأثير ذلك كله. وربما ينفرد الطفاة بجماعة هنا ليسطروا عليها كل العذاب، وبجماعة هناك، ليطبقوا عليها بكل العرمان، ليسقطوا بفعل الضعف الفريزي الإنساني، فيتوافقون بالصبر ليشد بعضهم بعضاً، ويقوى بعضهم بعضاً، ليستمروا على الإيمان والعمل الصالح، فستمر الحياة على الخط المستقيم"<sup>(١٠)</sup>.

وقد أشار صاحب تفسير الأمثل إلى شمولية السورة بآياتها الفصار إلى مضامين القرآن حيث كتب: "شمولية هذه السورة تبلغ درجة حدت بعض المفسرين إلى أن يرى فيها خلاصة كل مفاهيم القرآن وأهدافه. بعبارة أخرى: هذه السورة -

رغم قصرها- تقدم المنهج الجامع والكامل لسعادة الإنسان. تبدأ السورة من قسم عميق المحتوى بالعصر. وسيأتي تفسيره. ثم تتحدث عن خسران كل أبناء البشر خسراناً قائماً في طبيعة حياتهم التدريجية. ثم تستثنى مجموعة واحدة من هذا الأصل العام، وهي التي لها منهج ذو أربع مواد: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهذه الأصول الأربع هي في الواقع المنهج العقائدي والعملي الفردي والاجتماعي للإسلام<sup>(11)</sup>.

هذا بعض ما ذكره المفسرون في بيان المعنى العام لسورة العصر. وأمّا الحديث عن المعنى التفصيلي لهذه السورة فيكون تحت عناوين:

#### أولاً: بيان معنى كلمة ﴿ والعصر﴾

كلمة (العصر) في الأصل الضغط، وإنما أطلق على وقت معين من النهار لأنّ الأعمال فيه مضغوطه. ثم أطلقت الكلمة على مطلق الزمان ومراحل تاريخ البشرية، أو مقطع زمني معين، كأن نقول عصر صدر الإسلام.

ولكن الكلام لماذا أقسم الله بالعصر وأيّ معنى يريد الله تعالى أن يقسم به لأنّ الله تعالى لا يقسم في القرآن الكريم إلا بشيء ذي أهمية، لذا كل من ذكر معنى من المعاني في تفسير سورة العصر تراه يبرر لهذا المعنى لكي ينسجم مع السياق من جهة، ويتنااسب مع القسم الإلهي من جهة أخرى، وعليه تم ذكر معاني متعددة وكثيرة لكلمة (العصر) نذكر بعضًا منها مع ما ذكر من استدلال على المعنى المذكور:

- 1- قيل: إنه وقت العصر من النهار، بقرينة وجود مواضع أخرى أقسام الله فيها بأول النهار كقوله تعالى: ﴿ والضُّحَى﴾ أو ﴿ والصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾. وإنما أقسام بالعصر لأهميته، إذ هو في وقت من النهار يحدث فيه تغيير في نظام المعيشة وحياة البشر، فالأعمال اليومية تنتهي، والطيور تعود إلى أوكارها،

وحرص الشمس يميل إلى الغروب، ويتجه الجو إلى أن يكون مظلماً بالتدريج.

٢ - وقيل: أنه كلّ الزمان وتاريخ البشرية المملوء بدروس العبرة، والأحداث الجسيمة. وهو لذلك عظيم يستحق القسم الإلهي.

٣ - وقيل: أنه فترة زمنية خاصة ومحددة وهي عصر النبي الأكرم عليه وآله لأن في عصره انتشار الإسلام على وجه البساطة وانطلق نور الإسلام إلى كلّ العالم؛ لذلك أقسم الله تعالى بهذه الفترة الزمنية الخاصة لما لها من تأثير وخير على البشرية.

٤ - وقيل: إنه فترة زمنية خاصة أيضاً، ولكن ليس كما ذهب إليه البعض من أنها فترة البعثة النبوية وعصر النبي الأكرم عليه وآله بل هي فترة ظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام؛ لأنّ في فترة ظهور الإمام سيعم السلام والعدل في كلّ أرجاء الأرض وسوف يتحقق هدف البعثة للأنبياء حيث إنهم بعثوا لإقامة العدل والقسط في الأرض، وهذا ما سيتحقق بظهوره عليه السلام. ولدينا في المقام حديث عن ابن بابويه عن أحمد بن هارون عن جعفر بن محمد بن مسعود عن علي بن الحسين بن شاذويه جميعاً عن محمد بن عبد الله بن جعفر بن جامع الحميري عن أبيه عن محمد بن الحسين بن زياد الزيارات عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر: قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله تعالى: **وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ؟** - قال: «العصير عصر خروج القائم عليه السلام وإن الإنسان لفي خسر أعداته»<sup>(١٢)</sup>.

٥ - وقيل: إن الكلمة يراد بها صلاة العصر؛ لأنّها (الصلاوة الوسطى) التي أمر الله أن يحافظ عليها خاصة. وأنه سبحانه أقسم بصلاة العصر لا بالعصر نفسه من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أما الغرض من القسم بصلاة العصر فهو التنبيه على فضلها كما في قوله تعالى: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾**<sup>(١٣)</sup>.

- ٦- وقيل: هو الليل والنهار، ويقال لهما العصران عن ابن كيسان.
- ٧- وبعضهم عاد إلى الأصل اللغوي للكلمة، وقال: إنّ القسم في الآية بأنواع الضغوط والمشاكل التي تواجه الإنسان في حياته، وتبعث فيه الصحوة وتوقظه من رقاده، وتذكره بالله سبحانه، وتربيّ فيه روح الاستقامة.
- ٨- وقيل: إنّها إشارة إلى «الإنسان الكامل» الذي هو في الواقع عصارة عالم الوجود وال الخليقة.
- ٩- وقيل: الشتاء والصيف، لأنّهما يسميان العصرتين<sup>(١٤)</sup>.
- ١٠- وقيل: الدهر، وهو الوقت والزمان؛ لما فيه من عجائب الحوادث الدالة على القدرة الربوبية وغير ذلك.
- ولكن الأنسب منها هو القسم بالزمان وتاريخ البشرية. وذلك لثلاثة أدلة:
- ١- لأنّ القسم القرآني يتنااسب مع الموضوع الذي أقسم الله من أجله، وأن خسران الإنسان الحياة ناتج عن تصرّم عمره الذي يمثل رأس ماله كما سيتضّح.
- ٢- السياق؛ فإنّ قوله تعالى بلا فاصل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يشعر بأنّ الإنسان الخاسر هو الذي لا يغتنم فرصة الوقت، ولا يبادر إلى عمل ينتفع به قبل فوات الأوان، وهذا يتنااسب مع الزمن والوقت والدهر؛ لأنّ الحديث في الآية الكريمة عن خسران الإنسان بسبب غفلته عن رأس ماله وهو الزمن -العمر-.
- ٣- رواية ابن عباس حين سُئل عن معنى العصر قال: هو الدهر. وهو قول الكلبي والجباري أيضاً.
- هذه أهم المعاني التي ذكرت في معنى كلمة (العصر).

ثانياً: في بيان معنى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

إن الآيات الكريمة فيها عدة تأكيدات على حقيقة حتمية، فبدأت بالقسم وهو تأكيد كبير جداً ويكفي، إلا أن الآية التي لحقتها اشتملت على عدة مؤكّدات

آخر لتأكد الحقيقة نفسها، الحقيقة الخطيرة وهي أن الإنسان في خسر، فـ(إنَّ وـ(اللام) التي تدخل على في -لفي - كلها تؤكد على نفس الحقيقة.

والمراد بالإنسان جنسه، والخسر والخسران والخسار والخسارة نقص رأس المال قال الراغب: "وينسب ذلك إلى الإنسان فيقال: خسر فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارتة" انتهى. والتوكير في ﴿خُسِر﴾ للتعظيم، ويحمل التنويع؛ أي في نوع من الخسر غير الخسارات المالية والجاهية قال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١٥)</sup>.

إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ قد وهب كلَّ إنسانٍ رأسَ مالٍ ليتاجر فيه معه ﷺ ويستثمره بالشكل الصحيح، حيث إنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْ بَنِي الْبَشَرِ فَتْرَةً مِّنَ الْزَّمْنِ يَعِيشُ فِيهَا عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ، فَإِمَّا أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الْلَّهَوَاتِ وَهَذَا الْعَمَرُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَإِلَّا فَهُوَ فِي خَسَارَةٍ وَمَا أَعْظَمُهَا مِنْ خَسَارَةٍ، إِنَّ إِلَيْنَا يَوْمَ الْحِسْبَارِ تَجَارَتُهُ بِالْأَمْوَالِ يُلْكِ خَيَارِينَ: إِمَّا أَنْ يَجْمَدَ أَمْوَالَهُ وَيَحْفَظَهَا فِي الْبَنْكِ أَوْ فِي أَيِّ مَكَانٍ آخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَتَاجِرْ فِيهَا فِي أَيِّ عَمَلٍ تَجَارِيِّ.

إِذَا هُوَ بِالْخَيَارِ بَيْنَ تَحْمِيدِ رَأْسِ مَالِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَتَاجِرْ بِهِ وَيَسْتَثْمِرْهُ.

ولكنَّ الْمَسْأَلَةُ مُخْتَلِفَةٌ جَدًا فِي رَأْسِ الْمَالِ الَّذِي يَعْطِيكَ إِيَّاهُ اللَّهُ يَعْلَمُ حِيثُ إِنَّ رَأْسَ الْمَالِ هَذَا فِي تَنَاقُصٍ دَائِمٍ وَبِدُونِ اخْتِيَارٍ مَنِّا.

"الإِنْسَانُ يَخْسِرُ ثُروَتَهُ الْوُجُودِيَّةَ شَاءَ أَمْ أَبَى، تَمُرُّ السَّاعَاتُ وَالْأَيَّامُ وَالْأَشْهُرُ وَالْأَعْوَامُ مِنْ عَمَرِ الإِنْسَانِ بِسُرْعَةٍ، تَضَعُفُ قُوَّاتُهُ الْمَادِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ، تَنَاقُصُ قَدْرَتِهِ بِاسْتِمْرَارٍ. نَعَمْ، إِنَّهُ كُشْحَنْدُ عَنْهُ ثُروَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهَذِهِ الثُّروَةُ يَؤْخُذُ مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ شَيْءٌ بِاسْتِمْرَارٍ رَغْمَ إِرَادَتِهِ، هَذِهِ طَبِيعَةُ الْحَيَاةِ الدِّينِيَّةِ... طَبِيعَةُ الْخُسْرَانِ الْمُسْتَمِرِ! الْقَلْبُ لَهُ قَدْرَةٌ مُعِينَةٌ عَلَى الضَّرِبَانِ، وَهِنَّ تَنَفَّذُ هَذِهِ الْقَدْرَةِ يَتَوقَّفُ الْقَلْبُ تَلَاقِيَا دونَ عَلَّةٍ مِنْ عَيْبٍ أَوْ مَرْضٍ. هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ تَوقَّفُ الضَّرِبَانِ نَتْيَاجَةً مَرْضٍ. وَهَذَا سَائِرُ

## الأجهزة الوجودية للإنسان، وثروات قدراته المختلفة<sup>(١٦)</sup>.

ينقل الفخر الرازي في تفسير هذه الآية عن أحد الصالحين ما ملخصه: أنه تعلم معنى هذه الآية الكريمة من بائع ثلج كان يصيح ويقول: ارحموا من يذوب رأس ماله، ارحموا من يذوب رأس ماله<sup>(١٧)</sup>.

إنّ هذا المعنى موجود في ضمن روایات أهل البيت ع فقد روى عن الإمام علي الهادي ع: «الدنيا سوقٌ، ربح فيها قومٌ، وخسر آخرون»<sup>(١٨)</sup>. وروي عن أمير المؤمنين ع: «نفس المرء خطأ إلى أجله»<sup>(١٩)</sup>. وروي عنه ع: «الدنيا مزرعة الآخرة».

فكلُّ هذه الروایات وغيرها تؤكد على هذه الحقيقة التي لا فرار منها وهي أن رأس مال الإنسان في تناقض دائم، وأنّ كلَّ نبضة ينبض بها قلب هذا الإنسان هي في حقيقتها خطوة منه نحو قبره، ونحو مصيره الحتمي.

فهذا الأمر يجعل الإنسان بين خيارين لا ثالث لهما: إما التجارة مع الله تعالى، وفق المنهج الذي رسمه لنا -وسياق بيانيه-، وإما الخسران المبين والكبير.

هذا الكلام ينطبق على من يقضي وقته في الترّهات والأمور التي لافائدة فيها، والتي لا قيمة لها فضلاً عن أولئك الذين يقضون أوقاتهم بعيدين عن الله تعالى، أو أولئك الذين يقضون أوقاتهم في معصية الله عزوجل، فإن الخسران بالنسبة إلى هؤلاء يكون أوضح وأجل.

”هناك من ينفق رأس مال عمره وحياته مقابل الحصول على مال قليل أو كثير، على بيت صغير أو فخم. هناك من ينفق كلَّ رأس المال هذا من أجل الوصول إلى منصب أو مقام. وهناك من ينفقه في سبيل أهوائه ولذاته.

ليس أيّ واحد من هذه الأمور -دون شك- يمكن أن يكون ثمناً لتلك الثروة العظيمة... ثروة العمر... ثمنها الوحيد رضا الله سبحانه ومقام قربه لا غير. قال

أمير المؤمنين علي عليه السلام: «إِنَّه لَيْسَ لِأَنفُسِكُمْ ثُمَّ إِنَّ الْجَنَّةَ فَلَا تَبِعُوهَا إِلَّا بِهَا». وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في دعاء شهر رجب: «خَابَ الْوَاقِدُونَ عَلَىٰ غَيْرِكَ وَخَسِرَ الْمُتَعْرِضُونَ إِلَّا لَكَ».

ومن هنا كان أحد أسماء يوم القيمة (يوم التغابن) كما جاء في قوله سبحانه: «ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ». أي ذلك اليوم الذي يظهر من هو المغبون والخاسر.

إِنَّه لِتَنْظِيمِ رَائِعٍ فِي عَلَاقَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ. فَهُوَ سُبْحَانُهُ مِنْ جَهَةِ يَشْتَرِي رَأْسَ مَالٍ وَجُودَ الْإِنْسَانِ: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...»، وَمِنْ جَهَةِ أُخْرَى يَشْتَرِي سُبْحَانَهُ رَأْسَ الْمَالِ الْقَلِيلِ: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ». وَمِنْ جَانِبِ آخَرٍ يَدْفَعُ مُقَابِلَ ذَلِكَ ثَمَنًا عَظِيمًا يَبْلُغُ أَحْيَانًا عَشْرَةَ أَضْعَافَ وَأَحْيَانًا سَبْعِمَائَةَ ضَعْفٍ، وَأَحْيَانًا أَكْثَرَ: «فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ». وَكَمَا وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ: «يَا مَنْ يَقْبِلُ الْيُسِيرَ وَيَعْفُو عَنِ الْكَثِيرِ».

وَمِنْ جَهَةِ رَابِعَةٍ، فَإِنَّ كُلَّ رَؤُوسِ أَمْوَالِ الْإِنْسَانِ وَثِروَاتِهِ قَدْ وَهَبَهَا اللَّهُ إِيَّاهُ... وَاللَّهُ بِفَضْلِهِ وَمِنْهُ وَلَطْفِهِ يَعُودُ لِيَشْتَرِي هَذِهِ الثَّرَوَاتِ نَفْسَهَا بِأَغْلِيِ الأَثْمَانِ!»<sup>(٢٠)</sup>.

” حينما يعي المؤمن هذه الحقيقة يبادر بالعمل الصالح حتى يستوعب كل لحظة وكل لمحه وكل سرعة حياتية من حياته بما يحول الخسارة فلاحاً وأملأ، فإن أتعبه الكفاح من أجل العيش استراح إلى الصلاة ليتزود منها الحيوية، وإذا أرهق عضلاته الجهد البدني شغل لسانه بالشكرا، وقلبه بالتفكير، ونفسه بالحب والشوق إلى لقاء ربّه، وقد ترى أعضاءه غارقة في جهد بدني يفلح الأرض، أو يسعى على مناكبها طلباً للرزق، أو يسخر ما فيها لتوفير العيش وفي ذات الوقت تجد قلبها في ذكر الله، والتذكرة في آياته، ولسانه يلهج بحب الله. إنه متعدد الأبعاد، واسع النشاط، عريض الطموح، سامي الهمة؛ لأنَّه قد وعى حقيقة الزمان، وتزود بسلاح تحديه عبر العمل الصالح ”<sup>(٢١)</sup>.

وهذا هو المعنى الذي تشير إليه الآية التي لحقت بها حيث استثنى من بني

البشر صنفاً واحداً لن يكون من الخاسرين، وهذا الصنف لن يخرج من دائرة الحسران إلا إذا اتصف بمنهج ذي أربع مواد وعناصر سيأتي بيانها في تفسير بقية الآيات.

### ثالثاً: بيان الأصل الأول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

العنصر الأول التي تذكره الآية الكريمة هو: (الإيمان) إنَّ الإيمان يمثل الأساس الذي يبني عليه كلُّ أفعال الإنسان؛ لأنَّ الإنسان ينطلق في حياته، وفي مواقفه من عقيدته التي تحرّكه، فالإنسان المجاهد الذي يتقدم إلى الموت بملء إرادته واختياره لولا عقيدته بأنَّ هناك جنة وفوزاً، وأنَّ هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة أفضل منها لما أقدم على المخاطرة والمحازفة بهذه الحياة. ومثال آخر أولئك الذين يتركون أفضل الحياة المليئة بكلٍّ أنواع الرفاهية في بلدان أوروبا ترى البعض منهم يذهب إلى الغابات الأفريقية التي لا يوجد فيها لا كهرباء ولا خدمات ولا أيّ نوع من الاحتياجات الرئيسية للحياة الكريمة.

ومثال آخر أولئك الذين يفجّرون أنفسهم في عمليات استشهادية أو انتشارية لا يقومون بهذه الأفعال إلا نتيجة عن إيمان وعقيدة - بعيداً عن كون هذه العقيدة صحيحة أو فاسدة - فـ «الإيمان» يمثل البناء التحتي لكل نشاطات الإنسان، لأنَّ فعاليات الإنسان العملية تتطلّق من أسس فكره واعتقاده، لا كالحيوانات المدفوعة في حركاتها بداعي غريزي. بعبارة أخرى، أعمال الإنسان بلورة لعقائده وأفكاره، ومن هنا فإنَّ جميع الأنبياء بدؤوا قبل كلٍّ شيء بإصلاح الأسس الاعتقادية للأمم والشعوب. وحاربوا الشرك بشكل خاص باعتباره أساس أنواع الرذائل والشقاوة والتمزق الاجتماعي<sup>(٢٢)</sup>.

نعم قد تقول إننا نرى أنَّ بعض المؤمنين يقومون ببعض المعاصي فلو كانت العقيدة هي أساس كل الأفعال لما حصلت المعاصي من المؤمنين، ولكن مع

الالتفات إلى بعض الروايات التي أشارت إلى أن المؤمن لا يعصي الله حين يعصي وهو مؤمن فقد روى عن الرسول الأكرم ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد».

وفي رواية أخرى عن زرارة: قلت لأبي عبد الله عائض: أرأيت قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني وهو مؤمن»، ينزع من روح الإيمان؟ قال: ينزع منه روح الإيمان، قلت: فحدثني بروح الإيمان. قال: هو شيء، ثم قال: هذا أجدره أن تفهمه، أما رأيت الإنسان يهم بالشيء فيعرض نفسه الشيء يزجره عن ذلك وينهاه؟ قلت: نعم، قال: هو ذاك»<sup>(٢٣)</sup>.

### ما المقصود من الإيمان؟

هل المقصود من الإيمان هو الميل القلبي، أو يكفي المرء أن يقول إني مؤمن، أو أن هناك شرطًا آخرًا ينبغي للمرء أن يتلزم بها لكي يصدق عليه أنه مؤمن؟ يظهر من روایات أهل البيت عـلیہم السلام أن الإيمان الذي لا يتعدى اللسان ليس إيمانًا حقيقاً فقد روى في الكافي الشريف عن علي بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبد الرحمن بن أبي نهران، عن حمادة بن عثمان، عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عـلیہم السلام أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب لي مع عبد الملك بن أعين: «سألت رحمك الله عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان، وعقد في القلب، وعمل بالأركان...»<sup>(٢٤)</sup>.

فالإيمان لا يمكن أن يكون إقراراً باللسان فحسب بل لا بد من أن يتبعه عقد وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان، وهذا المعنى الذي ورد عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن فضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عـلیہم السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عـلیہم السلام: من شهد أن لا

إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ كان مؤمناً؟ قال: فَأَيْنَ فِرَاقُ اللَّهِ؟ قال: وسمعته يقول: كان علي عليه السلام يقول: لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام، قال: وقلت لأبي جعفر ع: إن عندنا قوماً يقولون: إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن، قال: فلهم يضربون الحدود، ولم تقطع أيديهم؟ ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم من المؤمن؛ لأن الملائكة خدام المؤمنين، وإن جوار الله للمؤمنين، وإن الجنة للمؤمنين، وإن الحور العين للمؤمنين...<sup>(٢٥)</sup>.

وقد روي عن رسول الله ﷺ: «لِيْسَ الإِيمَانُ بِالْتَّحْلِيِّ وَلَا بِالتَّمْنِيِّ، وَلَكِنَّ الإِيمَانَ  
مَا خَلَصَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَ فِي الْأَعْمَالِ»<sup>(٢٦)</sup>.

”والآية الكريمة قالت: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فذكرت الإيمان بمعناه المطلق ليشمل الإيمان بكل المقدسات، ابتداءً من الإيمان بالله وصفاته، حتى الإيمان بالقيامة والحساب والجزاء والكتب السماوية وأنبياء الله وأوصيائهم”<sup>(٢٧)</sup>.

يقول الشيخ مغنية في تفسيره الكشاف: إنه لا بد من اقتران الإيمان القلبي مع العمل وإلا لا فائدة من الإيمان القلبي في حال انفصاله عن السلوك والعمل؛ حيث يقول في تفسير الآية الكريمة: ”معناه أن الذين لم يؤمنوا أو آمنوا ولم يعملوا هم الخائبون الخاسرون، أما الذين آمنوا وعملوا فهم الفائزون الرابحون”.

وقد كتب قبل ذلك بسطور: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. هذا جواب القسم، والمراد بالإنسان من كان موضوعاً للتکليف ومسؤولاً عن أقواله وأفعاله، وهذا الإنسان خائب خاسر بحكم القرآن وإن كان ثرياً يملك الملايين، وعانياً يكشف أسرار الطبيعة ويسخرها لصالحته، وقوياً يخضع الناس لسيطرته، وبليفاً يحسن صناعة الكلام والوعظ.. إنه خائب خاسر إلا إذا آمن بالله وحلله وحرامه وناره وجنته، وانعكس هذا الإيمان على أقواله وأفعاله، وإن فإن الإيمان بلا عمل مجرد فكرة ونظيرية.. ولقد قرأت فيما قرأت أن الطيارين الأمريكيان

الثلاثة الذين ألقوا القنبلة الذرية على هيروشيما في اليابان، ومات وتشوه بسببها مئات الألوف، كان كلّ واحد منهم يحمل معه نسخة من «الكتاب المقدس» إلى جانب قبّلة الفناء والدمار!!<sup>(٢٨)</sup>.

لذا نخلص إلى أن الإيمان والعمل الصالح توأمان لا يفترقان، وهما متلازمان دائماً، وحيث ترى إيماناً بلا عمل صالح فينبغي أن نشك في صدق هذا الإيمان. وهذا المعنى الذي أشار إليه بعض المفسرين حتى قال صاحب تفسير من وحي القرآن في تفسير هذه الآية ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: "وهذا هما العنصران اللذان يمثلان القيمتين الكبيرتين في الجانب الوجداني للإنسان في دائرة فكره وشعوره، وفي الجانب الحركي في دائرة حركته في الخط العملي من حياته. فالإيمان هو الحالة الفكرية المنطلقة من قناعات الإنسان في حقائق الكون، المنفتحة على الله من خلال حركة عقله الذي يتأمل في أسرار الكون، ليكتشف الله من خلالها باعتبار أنه خالق الكون ومدبره، ويتأمل في كيان الإنسان وحركته في الوجود، فيجد الله في كلّ خفقة من قلبه، وفي كلّ هزة من شعوره، وفي كلّ نبضة من حياته، وفي كلّ نعمة داخلية مما تختزنه ذاته، وفي كلّ نعمة خارجية مما تحيط بوجوده وتحرك فيه، وذلك باعتباره الخالق المنعم الذي لولاه لما كان الوجود ولما استمرت به حركة الإنسان فيه، أما العمل الصالح، فهو الإيمان المتجسد بكلّ معانيه وإيحاءاته وخطواته في الواقع، لأنّه ليس مجرد فكرة في العقل، أو خفقة في القلب، أو حركة في الشعور، بل هو موقف ينطلق من فكرة، وفعل يتحرك من إحساس، وحركة تتجسد في واقع.

وبذلك، لا ينفصل العمل عن الإيمان، ولذلك يأخذ منه ملامحه ومعناه، فالإيمان بالله لا يتمثل بكلّ عمل كيّفما كان، بل يتمثل بالعمل الصالح الذي يرضاه الله ويحبه، ليكون مظهراً للإخلاص له تعالى، في العبادة وفي الموقف، وفي الانتماء، لتكون الحياة كلّها لله في حركة الإنسان المؤمنة المسؤولة فيها.

العمل الصالح تجسيد للإيمان. وفي ضوء ذلك، فإنّ الإنسان لا يعيش الاثنينيّة في

الإيمان والعمل الصالح، بل يعيش الوحدة العميقه المتجسدة في معنى واحد، لأن الثاني نتيجة للأول، بل هو تجسيد له، إن الإيمان بالله يوحى للإنسان بالشمولية التي تتسع للكون كله، لأنَّه خلق الله الذي تمثل فيه قدرته وحكمته وتدبيره، وهو -بعد ذلك- المسئولية التي يحس بها بكل كيانه في إحساسه بعبوديته لربِّه، فيجد نفسه مسؤولاً عن أن يتبعده له في روحه وفي قلبه وفي عمله، فيعرف أنَّ الخلق كُلُّهم عباد الله، فيعمل على أن يجعل حياته بركة ومنفعة وخدمة لهم في كل أمورهم، ليحصل من خلال ذلك على أن ينال الدرجة العليا في محبة الله له، لأنَّ أحبابَهم إليه أنفعهم لعياله.

ثم يلتقي الإيمان والعمل الصالح في وحدة القيم الروحية والأخلاقية على صعيد السلوك الفردي الذاتي والسلوك الجماعي، في ما يمكن أن يكون أساساً للتعاون على بناء الحياة على البر والتقوى والابتعاد عنها عن الإثم والمدعوان، في ما يرضاه الله للإنسان من الأعمال التي تقوم على أساس عناوين الرحمة والمحبة والخير والصدق والأمانة والعفة والسخاء والتواضع، وغير ذلك مما يحقق للحياة توازنها ويحلق بالروح في آفاق الكمال، ويعنِّ الإنسانية صفاء الحق وإشراقة العدل وخط الاستقامة.

إن هاتين الكلمتين تختصران الرسائلات كُلُّها في ما انطلقت فيه من الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد، والاستقامة على هذا الخط التوحيدِي في الإخلاص لله بالعبادة والطاعة، والابتعاد عن الشرك كله، وعن الانحراف كله<sup>(٢٩)</sup>.

هذا وقد كتب صاحب تفسير الأمثل عن هذه العلاقة: "الإيمان ليس فكرة جامدة قابعة في زوايا الذهن، وليس اعتقاداً خالياً من التأثير. الإيمان يصوغ كُلَّ وجود الإنسان وفق منهج معين. الإيمان مثل مصباح منير مضيء في غرفة. فهو لا يضيء الغرفة فحسب، بل إن أشعته تسطع من كُلِّ نوافذ الغرفة إلى الخارج بحيث يرى كل مار نوره بوضوح."

وهكذا، حين يسطع مصباح الإيمان في قلب إنسان، فإنَّ نوره ينعكس من لسان الإنسان وعينيه وأذنه ويديه ورجليه. حركات كُلِّ واحدة من هذه الجوارح تشهد على

وجود نور في القلب تسقط أشعته إلى الخارج<sup>(٣٠)</sup>.

ويتحدث صاحب تفسير في ظلال القرآن عن العلاقة الوثيقة التي تربط الإيمان بالعمل الصالح في تفسير هذه الآية بقوله: "إن الإيمان هو أصل الحياة الكبير، الذي ينبع منه كلّ فرع من فروع الخير، وتعلق به كلّ ثمرة من ثماره، وإنما فهو فرع مقطوع من شجرته، صائر إلى ذبول وجفاف. وإنما هي ثمرة شيطانية، وليس لها امتداد أو دوام! وهو المحور الذي تشدّ إليه جميع خيوط الحياة الرفيعة. وإنما هي مفلترة لا تمسك بشيء، ذاهبة بذات مع الأهواء والنزوات.. وهو المنهج الذي يضم شتات الأعمال، ويردّها إلى نظام تناسق معه وتعاون، وتسلّك في طريق واحد، وفي حركة واحدة، لها دافع معلوم، ولها هدف مرسوم.."

ومن ثم يهدى القرآن قيمة كلّ عمل لا يرجع إلى هذا الأصل، ولا يشتدّ إلى هذا المحور، ولا ينبع من هذا المنهج. والنظرية الإسلامية صريحة في هذا كلّ الصراحة.. جاء في سورة إبراهيم: ﴿مَثُلُّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾.. وجاء في سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.. وهي نصوص صريحة في إهدران قيمة العمل كله، ما لم يستند إلى الإيمان، الذي يجعل له دافعاً موصولاً بمصدر الوجود، وهدفاً متناسقاً مع غاية الوجود. وهذه هي النظرة المنطقية لعقيدة تردّ الأمور كلّها إلى الله. فمن انقطع عنه فقد انقطع وقد حقيقة معناه.

إن الإيمان دليل على صحة الفطرة وسلامة التكوين الإنساني، وتناسقه مع فطرة الكون كله، ودليل التجاوب بين الإنسان والكون من حوله. فهو يعيش في هذا الكون، وحين يصبح كيانه لا بد أن يقع بينه وبين هذا الكون تجاوب. ولا بد أن ينتهي هذا التجاوب إلى الإيمان، بحكم ما في الكون ذاته من دلائل وإيحاءات عن القدرة المطلقة التي أبدعته على هذا النسق. فإذا فقد هذا التجاوب أو تعطل، كان هذا بذاته دليلاً

على خلل ونقص في الجهاز الذي يتلقى، وهو هذا الكيان الإنساني. وكان هذا دليل فساد لا يكون معه إلا الخسران. ولا يصح معه عمل ولو كان في ظاهره مسحة من الصلاح.

وإن عالم المؤمن من السعة والشمول والامتداد والارتفاع والجمال والسعادة بحيث تبدو إلى جانبه عوالم غير المؤمنين صغيرة ضئيلة هابطة هزيلة شائهة شقية.. خاسرة أيّ خسران! والعمل الصالح وهو الشرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب. فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة. ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح.. هذا هو الإيمان الإسلامي.. لا يمكن أن يظل خامداً لا يتحرك، كامناً لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن.. فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت.

شأنه شأن الزهرة لا تمسك أريجها. فهو ينبعث منها انبعاثاً طبيعياً. وإن فهو غير موجود! ومن هنا قيمة الإيمان.. إنه حركة وعمل وبناء وتممير.. يتجه إلى الله.. إنه ليس انكماشاً وسلبيةً وانزواءً في مكنونات الضمير. وليس مجرد التوابيا الطيبة التي لا تمثل في حركة، وهذه طبيعة الإسلام البارزة التي تجعل منه قوة بناء كبرى في صميم الحياة. وهذا مفهوم ما دام الإيمان هو الارتباط بالمنهج الرباني. وهذا المنهج حركة دائمة متصلة في صميم الوجود. صادرة عن تدبير، متوجهة إلى غاية. وقيادة الإيمان للبشرية هي قيادة لتحقيق منهج الحركة التي هي طبيعة الوجود.

الحركة الخيرة النظيفة البارية العمرة اللاقعة بمنهج يصدر عن الله<sup>(٣١)</sup>.

إذاً الإيمان الحقيقي لا يمكن أن ينفصل عن العمل الصالح لذلك قال تعالى:  
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إشارة إلى الإيمان الحقيقي، لا الإيمان الذي لا يتعدى أطراف اللسان.

#### رابعاً: بيان الأصل الثاني: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

بعد أن اتضحت العلاقة الوثيقة بين الإيمان والعمل الصالح ينبغي أن نعرف ما هي الأعمال الصالحة التي تشير إليها الآية الكريمة؟ يقول صاحب تفسير الأمثل للإجابة على هذا السؤال: «... وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» لا العبادات فحسب، ولا الإنفاق في سبيل الله وحده، ولا الجهاد في سبيل الله فقط، ولا الاكتفاء بطلب العلم... بل كل الصالحات التي من شأنها أن تدفع إلى تكامل النفوس وتربية الأخلاق والقرب من الله، وتقديم المجتمع الإنساني. هذا التعبير يشمل الأعمال الصغيرة، كرفع الحجر من طريق الناس والأعمال الجسمانية مثل إنقاذ ملايين الناس من الضلاله والانحراف ونشر الرسالة الحقة والعدالة في أرجاء العالم.

وما ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تفسير «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» بأنه المواساة والمساواة للأخوة في الله، إنما هو من قبيل بيان المصداق الواضح للآية. قد تصدر الأعمال الصالحة من أفراد غير مؤمنين، لكنها غير متوجذرة وغير ثابتة وغير واسعة؛ لأنها لا تتطلق من دافع إلهي عميق، ولا تحمل صفة الشمولية. القرآن ذكر «الصالحات» هنا بصيغة الجمع مقرونة بالألف واللام لتدل على معنى العموم والشمول. ولتبين أن طريق تقاضي الخسران الطبيعي الحتمي بعد الإيمان، هو أداء الأعمال الصالحة جميماً، وعدم الاكتفاء بعمل واحد أو بعض أعمال صالحة حقاً، لو رسم الإيمان في النفس، لظهرت على الفرد مثل هذه الآثار.

الإيمان ليس فكرة جامدة قابعة في زوايا الذهن، وليس اعتقاداً خالياً من التأثير. الإيمان يصوغ كل وجود الإنسان وفق منهج معين... ومن هنا اقتربنا ذكر الصالح في أغلب مواضع القرآن بذكر الإيمان باعتبارها لازماً وملزوماً، فقال سبحانه: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْبِطَنَّ حَيَاةَ طَيِّبَةٍ». ويقول تعالى عن أولئك الذين تركوا الدنيا دون عمل صالح، إنهم يصررون على العودة إلى الدنيا ويقولون: «رَبُّ

**أَرْجِمُونِ لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُهُ.**

ويقول سبحانه لرسله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيْبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، وما كان الإيمان والعمل الصالح لا يكتب لهما البقاء إلا في ظل حركة اجتماعية تستهدف الدعوة إلى الحق ومعرفته من جهة، والدعوة إلى الصبر والاستقامة على طريق النهوض بأعباء الرسالة، فإن هذين الأصلين تبعهما أصلاح آخران مما في الحقيقة ضمان لتنفيذ أصل الإيمان والعمل الصالح<sup>(٣٢)</sup>.

**خامساً: في بيان الأصل الثالث: ﴿وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ﴾**

أي الدعوة العامة إلى الحق، ليميز كل أفراد المجتمع الحق من الباطل، ويضعوه نصب أعينهم، ولا ينحرفون عنه في مسيرتهم الحياتية.

(تواصوا) كما يقول الراغب تعني أن يوصي بعضهم إلى بعض. يقول صاحب تفسير في ظلال القرآن في معنى التواصي معانٍ جميلة: " والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقربي في الهدف والغاية، والأخوة في العبء والأمانة. فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معاً فتضاعف. تضاعف بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله"<sup>(٣٣)</sup>.

#### **أهمية التواصي بين المؤمنين:**

إن طريق الرسالة تعترىه الكثير من الصعوبات والمشاق والمعاناة التي تعيق الحركة، وهذا التدافع الحالى لا محالة يدفع الكثير من الرساليين إلى التعب، والبعض منهم إلى اليأس، والبعض منهم إلى السقوط في وسط الطريق، فالإنسان لديه طاقة محدودة، ولا يستطيع أن يكمل المشوار في حال كثرة المشاكل والمصاعب والمعاناة والمحن التي عبر عنها الله في سورة الأنفال أنها طريق ذات الشوكة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ

## الكافرِينَ ﴿٣٤﴾

في خضم هذه التحديات أحوج ما يكون له المؤمن هو أن يشعر بأن هناك من يقف معه، ومن هو متفق معه في الهدف والمصير لكي يتماسك ويتجدد ويصبر نفسه على المعاناة التي قد تعيشه.

لذا قال تعالى: ﴿وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ...﴾ فالتوachi يbedo أنه عملية متبادلة بين طرفين أو أكثر، فأنا أوصي أخي المؤمن بالحق، وهو يوصي بالحق.

"التوachi بالحق ضرورة. فالنهوض بالحق عسير. والمعوقات عن الحق كثيرة: هو النفس، ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة. وطغيان الطغاة، وظلم الظلة، وجور الجائرين".

"﴿وَتَوَاصُوا بِالْحَقِّ﴾ وهذه هي الصفة الأولى التي تثبت الخط المستقيم في قيمة الفلاح الاجتماعي، عندما تهتز الأرض من تحت الحق، ويبداً الزلزال النفسي والفكري والشعوري ليدفع الناس إلى التساقط أمام الأهواء الجامحة والزخارف الخادعة، والأفكار الضالة، والعقائد المنحرفة، والسياسات الخائنة، لأن التهاون المخيف والأشباح المرعبة، والطرق المتلوية، والظلمات الدامسة، تطوق الواقع كلّه، حتى لا يكاد الإنسان يبصر طريقه، أو يتعرف على ملامح الحق في دائرة الوضع. ويبقى كلّ فرد مع نفسه حائراً خائفاً متزلزاً، وتحول الجماعات إلى مزرق متناثرة لا تركن إلى وحدة في الفكر وفي الموقف. وهنا تأتي هذه القيمة الاجتماعية التي يتحرك فيها المؤمنون العاملون بالصالحات للتواصل بالحق، ومن موقع الإيمان والصلاح للدعوة إلى الالتزام به، بعد أن عرروا فيه المصلحة الحقيقة للإنسان، كما عرروا فيه موقع رضى الله، سواء كان الحق حقاً في العقيدة أو في الشريعة، أو في العلاقات، أو في المناهج، أو في السياسة، أو في الاقتصاد والمجتمع، أو في السلم وال الحرب، ونحو ذلك، حتى يثبت الناس على الفكر الحق، وعلى وعي الحق، وعلى الانفتاح على كلّ موقعه على صعيد

النظرية والتطبيق، ليبقى الالتزام به السمة البارزة للمجتمع المؤمن، الذي يوحد الفكر والموقف والنظرة إلى الأشياء على أساس الحق، فلا يعيش المؤمنون الانحراف عنه باسم الاستقامة، ولا يختلط عليهم الحق بالباطل، ولا يتحركون في خط الازدواجية الفكرية عندما تتعرك الأفكار في خطين متوازيين أو متناقضين مما يؤدي إلى ازدواجية الشخصية، أو انفصامها. وهذا ما يقوّي أهل الحق في موقفهم، وفي إصرارهم على الثبات، وفي استمرارهم على الخط<sup>(٣٦)</sup>.

#### صور التواصي بالحق:

للتواصي بالحق صور يمكن ذكرها في المقام:

- ١- الإرشاد إلى طريق الحق بتعريف الحق وكشف اللبس عنه؛ لأن كثيراً ما يلتبس الحق بغيره ويشتبه على المؤمنين خصوصاً في الفتنة التي تنزل بساحة المؤمنين؛ لأن الفتنة تشبه على الإنسان ولا يكاد يراه واضحاً.
  - ٢- التواصي باتباع الحق؛ حيث أنَّ الكثير من الناس يعرف الحق إلا أنه يخشى أن يتبع الحق لأن طريق الحق مليء بالصعوبات والمعاناة، فيكون التواصي من أجل اتباع الحق وعدم خذلان الحق ركناً إلى الراحة وحب الدعة.
  - ٣- التواصي على الصبر في طريق الحق؛ فقد يعرف الإنسان الحق، وقد يتبعه إلا أنه يتعب في الطريق فيتراجع وهنا يبرز دور التواصي بالثبات على الحق وعدم التراجع عن الحق.  
الحق قد يكون موقفاً اجتماعياً، وقد يكون موقفاً سياسياً، وقد يكون موقفاً اقتصادياً، وقد يكون موقفاً عقائدياً أو شرعياً الخ.
- و(الحق) في الأصل الموافقة والمطابقة للواقع. وذكر للكلمة معانٍ قرآنية متعددة من ذلك، القرآن، والإسلام، والتوحيد، والعدل، والصدق، والوضوح، والوجوب وأمثالها من المعاني التي ترجع إلى نفس المعنى الأصلي الذي ذكرناه

وهو المطابقة للواقع.

عبارة **﴿تَوَاصُوا بِالْحَقِّ﴾** تحمل على أيّ حال معنى واسعاً يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشمل أيضاً تعليم الجاهل وإرشاده، وتنبيه الغافل، والدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح. واضح أن المتواصين بالحق يجب أن يكونوا بدورهم من العاملين به، والمدافعين عنه.

سادساً: في بيان الأصل الرابع: **﴿وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ﴾**

#### لماذا الصبر:

إن عملية التمسك بالحق تجلب المتاعب الكبيرة والكثيرة على الإنسان، إن الإنسان الذي يتخلّى عن المسؤولية ولا يتحمل أيّ نوع من أنواع المسؤولية لا يصيبه الضرر ولا يتعرض للمشاكل والمتاعب، ولكن الشخص الذي يتحمل المسؤولية الدينية أو الاجتماعية أو السياسية، فإنّ هذا الأمر يجعله عرضة للأذى والمتاعب والشقاء الدنيوي، وإن الإنسان الذي يتمسك بالحق يتعرض للمشاكل والمتاعب التي لا تعدّ ولا تحصى؛ ذلك أن طريق الحق مليء بالأشواك والصعوبات قال تعالى: **﴿وَإِذْ يَعْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾**<sup>(٣٧)</sup>.

لذا فإن أحوج ما يحتاجه الإنسان في طريق التمسك بالحق هو التسلح بسلاح الصبر، لكي لا يسقط في الطريق حيث أن الطريق طويل وشاق، قال تعالى: **﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَرًا قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعْدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّرْقَةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**<sup>(٣٨)</sup>. فطول الطريق والمشقة التي تعيّر طريق الحق كثيراً ما تحول بين الإنسان واتباع الحق فهو في هذه الحالة بحاجة إلى الصبر والاستقامة والنفس الطويل لكي يستطيع أن يثبت على طريق الحق.

يقول صاحب تفسير الأمثل في هذا الشأن: "التوachi بالصبر، والاستقامة، إذ بعد الإيمان والحركة في المسيرة الإيمانية تبرز في الطريق العوائق والموانع والسرور. وبدون الاستقامة والصبر لا يمكن المواصلة في إحقاق الحقّ والعمل الصالح والثبات على الإيمان. نعم، إحقاق الحقّ في المجتمع لا يمكن من دون حركة عامة وعزّم اجتماعي، ومن دون الاستقامة والوقوف بوجه أنواع التحديات.

«(الصبر) هنا يحمل مفهوماً واسعاً يشمل الصبر على الطاعة، والصبر على دوافع المعصية، والصبر إزاء المصائب والحوادث المرّة، وفقدان الإمكانيات والثروة والثمرات»<sup>(٣٩)</sup>.

ويقول صاحب تفسير من وحي القرآن: "والتوachi بالصبر، يمثل العنصر الثاني للفلاح للمجتمع المسلم الذي يواجه الضغوط الصعبة التي تضغط على حريته وعزّته وصلابته في موقعه، وذلك من خلال القوى الداخلية العاملة لمصلحة الكفر والاستكبار، والقوى الخارجية العاملة لاحتواء الأمة الإسلامية في دائرة مصالحها وتحويلها إلى أمة ضعيفة لا تملك أيّ موقع للثبات والتوازن في تأكيد شخصيتها المستقلة، لتكون مجرد هامش من هوماشها السياسية التي تحارب معها من أجل الحفاظ على مصالحها. وبذلك، تحاول كلّ هذه القوى أن تصادر كلّ وسائل القوّة وكلّ مواقعها، من أجل أن تمنع عملية صنع القوّة في خطط التكامل السياسي والثقافي والاقتصادي والأمني والعسكري؛ لأن المطلوب هو المنع من بناء القاعدة القوية الثابتة التي يرتكز عليها البناء الفوقي. وقد يكون من الطبيعي أن تشتد الضغوط، وتكثر المشاكل، وتهتز الأرض تحت أقدام العاملين في سبيل الدعوة إلى الله، والمجاهدين في سبيله، وتتعمق الآلام، وتضعف النفوس، ويصاب المؤمنون بالزلزال النفسي الذي قد يتأثر - بشكل سلبي - بالزلزال السياسي والعسكري والاقتصادي، فتطلق نقاط الضعف لتعمل عملها في إعداد المجتمع للسقوط تحت تأثير الروحية المنهارة في داخل عقلية الهزيمة.

وهنا، يأتي دور الصبر الذي هو من عزم الأمور، باعتبار أنه يمثل القوة الداخلية التي تتمرد على قساوة الضغوط ومرارة الآلام، وضراوة التحديات، فلا تصرخ ولا تهتز ولا تنهار، بل تبقى هادئة واعية لكل ما حولها ومن حولها، مطمئنة إلى مواقفها، منطلقة إلى أهدافها، عارفة بأنَّ هذه المعاناة هي جزء من الثمن الذي يجب أن يدفعه الدُّعاة والمجاهدون في سبيل الله، وهي نوع من البلاء الذي ينزله الله على عباده الصالحين، ليختبرهم، وليمتحنهم، حتى يؤكد صدقهم في التجربة، وإخلاصهم في حركة المعاناة. ولن يكون ذلك إلا بالصبر الجميل الذي يشد أعصاب الإنسان ومشاعره إلى الثبات على الموقف<sup>(٤٠)</sup>.

وهذا ما أشار إليه صاحب الظلال بقوله: "التوachi بالصبر كذلك ضرورة؛ فالقيام على الإيمان والعمل الصالح، وحراسة الحق والعدل، من أصعب ما يواجه الفرد والجماعة. ولا بدّ من الصبر. لا بدّ من الصبر على جهاد النفس، وجهاد الغير. والصبر على الأذى والمشقة. والصبر على تبعج الباطل وتتفجر الشر. والصبر على طول الطريق وبطء المراحل، وانطمام المعامل، وبعد النهاية"<sup>(٤١)</sup>.

### أثر التواصي بالصبر:

إن من الصعوبة جداً أن يشعر الإنسان المؤمن أنه يواجه التحديات والصعوبات لوحده، وقد يعرّض هذا الشعور الإنسان المؤمن إلى التراجع والسقوط في الطريق إلا أن التواصي بالصبر يثبت القدم ويجدد العزيمة لدى المؤمنين، ويرفع من همتهم، فهو يعش ضرورة لا يمكن التخلّي عنها في طريق الحق.

يقول صاحب تفسير في ظلال القرآن: "التوachi بالصبر يضعف المقدرة، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المتجه، وتساند الجميع، وتزودهم بالحبّ والعزم والإصرار.. إلى آخر ما يشيره من معاني الجماعة التي لا تعيش حقيقة الإسلام

إلا في جوّها، ولا تبرز إلا من خلالها.. وإنما فهو الخسران والضياع<sup>(٤٢)</sup>.

للحصان ثلاثة أقسام:

#### ١- الصبر على الطاعة:

إن كلّ عبادة وطاعة لله تعالى تحتاج إلى صبر حيث أنّ الجهاد فيه تعب وجراح ومعاناة ويحتاج إلى الصبر، والحجّ فيه من التعب الكبير ويحتاج إلى الصبر، والصلوة وخصوصاً صلاة الصبح حيث تستدعي الإنسان أن يتخلّى عن أحلى أوقات نومه ويستيقظ ليؤدي ركعتي صلاة الصبح تحتاج إلى صبر، والخمس والزكاة كلّها تحتاج إلى صبر لكي يستطيع الإنسان أن يؤدي هذه العبادات. هذا في الواجبات منها فضلاً عن من أراد أن يأتي بالمستحبات من العبادات.

#### ٢- الصبر عن المعصية:

إن للإنسان غرائز وشهوات ونفساً أمّارة بالسوء وشيطاناً يوسوس له وكلّ هذه الأمور تدفع الإنسان في اتجاه المعصية، وإمساك النفس عن الواقع في المعصية ولجمها من أن تقع في شباك أحد هذه الأمور يحتاج إلى صبر كبير جداً خصوصاً في عصرنا هذا الذي انتشرت فيه الرذيلة وأصبحت مظاهر الابتذال في كل بيت وكل موقع من موقع الحياة، وأصبح أسهل شيء هو الوصول إلى ما يغذى تلك النزعات الشيطانية وتغذية الغرائز الشهوية من خلال ضربة زر في الانترنت أو من خلال القنوات الفضائية في التلفاز، بل قد لا يحتاج الأمر إلى كل ذلك؛ فإن الرذيلة اليوم تحاصر الإنسان المؤمن حتى كاد لا يحصل على مكان خالي من مظاهر الابتذال والرذيلة.

فكل ذلك بحاجة إلى مجاهدة النفس وكبحها عن شهواتها وبجاجة إلى صبر كبير جداً لكي لا يقع المؤمن في المعصية.

### ٣- الصبر على البلاء:

إن الصبر على البلاء هو أن لا يجزع الإنسان في حال وقوع البلاء عليه، فقد يتعرض الإنسان إلى وفاة عزيز عليه، وقد يتعرض إلى السجن، أو المرض، أو الفقر، أو الملاحقة من قبل الظالمين... الخ من أنواع البلاء التي تحلّ بالإنسان.

وهذا التقسيم مذكور في عدة روايات عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام فقد روي في الكافي الشريف عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى قال: أخبرني يحيى بن سليم الطائي قال: أخبرني عمر بن شمر اليماني يرفع الحديث إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية...»<sup>(٤٣)</sup>.

يبقى في النهاية أن نشير إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن هناك فهمنا للصبر<sup>(٤٤)</sup>:

#### الأول:- فهم سلبي خاطئ:

وهو عبارة عن السكون والتحمل السلبي الذي يجعل الإنسان ساكناً لا تكون له أيّ ردة فعل تجاه ما يصيبه من ظلم وابتلاء، وهذا الفهم الخاطئ هو من أفضل المفاهيم التي تُسعد الطغاة والظالمين والمستبدين والمستكبرين والمستحوذين على خيرات الناس بغير حق.

#### الثاني:- فهم إيجابي صحيح:

يتمثل هذا الفهم في أن الصبر هو مقاومة وتحدي وثبتت على الموقف بل هو حركة متواصلة في طريق الحق، وسعى لرفع كل المعوقات التي تعترى طريق الإنسان لكي يصل إلى الحق وإلى أهدافه السامية، فهو بدلاً من أن يستسلم إلى الصعوبات والمعوقات التي تعترى طريقه تراه يسعى جاهداً لرفعها عن طريقه.

وهذا المعنى الثاني هو الذي تشير إليه الكثير من الآيات الكريمة مثل قوله

تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَعْلَمُوْا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةً يَعْلَمُوْا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(٤٥)</sup>. فهذه الآية تشير بوضوح إلى المعنى الثاني الإيجابي حيث أن الصبر هنا بمعنى الثبات والمقاومة في مواجهة العوامل الصعبة والشاقة التي تعتري المجاهد في ساحة الحرب والقتال لتشفيه عن الاستمرار. قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا إِلَيْهِمْ جَهَنَّمُ وَجْهُنَّمُ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرُغْ عَلَيْنَا صَبَرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَصْرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤٦)</sup>.

والخلاصة: أن هناك حقيقة ثابتة لا تتبدل وهي أن بني الإنسان في خسر إلا من تسلح بالعناصر الأربعة: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. والحمد لله رب العالمين.

## المواهش:

(١) سورة العصر: ١ - ٣.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٢٩.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٤٠٤.

(٤) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٤.

(٥) الدر المنثور في تفسير المأثور، ج ٦، ص ٣٩٢.

(٦) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٦٤.

(٧) تفسير الوسيط، زحيلي، ج ٣، ص ٢٩٢٨.

(٨) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج ١٥، ص ٤٩٩.

(٩) الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٥٥.

(١٠) من وحي القرآن، ج ٢٤، ص ٤٠٠.

(١١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٢٩.

(١٢) البرهان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٧٥٢.

(١٣) البقرة: ٢٣٨.

- (١٤) التبيان في تفسير غريب القرآن، ج ١، ص ٣٥٠.
- (١٥) الزمر: ١٥. الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٥٦.
- (١٦) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٣٣.
- (١٧) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٢، ص ٨٥.
- (١٨) تحف العقول، ص ٣٦١، كلمات الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- (١٩) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة ٧٤.
- (٢٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٢٥.
- (٢١) من هدي القرآن، ج ١٨، ص ٣٣٦.
- (٢٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٣٦.
- (٢٣) ميزان الحكمة، باب الإعيان تحت عنوان: دور الذنوب في زوال الإيمان.
- (٢٤) أصول الكافي، كتاب الإعيان والكفر، ص ٣٤٩.
- (٢٥) ن. م.
- (٢٦) ميزان الحكمة، باب الإعيان تحت عنوان: تأثر الإعيان والعمل.
- (٢٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٣٦.
- (٢٨) تفسير الكافش، ج ٧، ص ٦٠٦.
- (٢٩) من وحي القرآن، ج ٢٤، ص ٤٠٤.
- (٣٠) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٣٧.
- (٣١) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٦٧.
- (٣٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٣٦.
- (٣٣) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٦٨.
- (٣٤) الأنفال: ٧.
- (٣٥) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٦٨.
- (٣٦) من وحي القرآن، ج ٢٤، ص ٤٠٥.
- (٣٧) الأنفال: ٧.
- (٣٨) التوبة: ٤٢.
- (٣٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٤٣٩.



- (٤٠) من وحي القرآن، ج ٢٤، ص ٤٠٦.
- (٤١) في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٦٨.
- (٤٢) م ن.
- (٤٣) الكافي، الكليني، ٩١-٢ باب الصبر، ص ٨٧.
- (٤٤) لتفصيل أكثر في هذا الموضوع يمكن مراجعة: (بحث حول الصبر) للسيد الخامنئي ط.
- (٤٥) الأنفال: ٦٥.
- (٤٦) البقرة: ٢٥٠.



# ثوابُ السور من كتابٍ قديمٍ

## محمد علي العزبي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلاته على خير الأنبياء  
الأمين المبين وعلى زعيم الأوصياء أجمعين وألهموا الطاهرين  
المعصومين المنتجبين.

وبعد، فهذه مقالة حول أخبار كتاب عتيق وجدته  
ملحقاً بإحدى النسخ المخطوطة لتفسير القمي أثناء ملاحقي  
مواد التحقيق حول نسخ تفسير القمي ونسخ مختصراته<sup>(١)</sup>،  
مغفول عنها وغير مدرجة في فهارس المخطوطات بحسب  
اطلاعي، ونحن نتعرض لأنباءها ونقيم على معاني ألفاظها؛  
حفظاً للكتاب وشرحاً للمعاني والمرادات بإجمال، مع بيان نتف من النكات وطرفاً  
من التنبيهات.

وقد حاكمنا ألفاظ أخبارها وطرقها فوجدناها تدل على أنها كتاب مفرد وتنطق عن كونها متصلة بأخذها ومصدقة بشواهد عديدة وموافقات من المصادر الأخرى، مع انفرادها بطرق وألفاظ أخبار خلت عنها المصادر الحاضرة، ونبه على أنها ميزنا بين أخبار الكتاب وما نذكر بوضع الآخر بين معقوفين وإرسال أصل الكتاب عنهم.

وفي كل هذا نرجو رضا رب الخلائق المثنان ودعاء سيدي ومولاي الحاضر في الأزمان الغائب من الأعيان عليه من مواليه أفضل السلام.

### عرض إجمالي للمخطوط

النسخة من مخطوطات مجلس شورى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، تحت عنوان: **تفسير القمي**، برقم: ٥٧، لم يعلم ناسخها ولا تاريخ نسخها، ويظهر أنها من نسخ القرن العاشر أو بعده بقليل؛ نظراً لخطها وورقها وما ذكرناه من نقل الشيخ الحويزي (ت ١١٢ هـ) عنها، خطها واضح لكنه يشوبه التشويش وسقوط التنقيط وكثرة التصحيح.

الحق بالتفسير روایات مرتبة مسندة شبيهة بروايات الصدوق عن أبيه في ثواب الأعمال وثواب السور، لكنها بأسانيد مختلفة وتفاوت في بعض متوتها، وفيها زيادة على ما روی هناك، ولم نجدها في الكتب المطبوعة، ونحتمل قوياً أن مجموعها من كتاب إسماعيل بن مهران برواية علي بن محمد الكوفي وما اختاره منه. وهذا الملحق هو بنفس خط وورق الناسخ للتفسير، كما أنها اكتشفنا أن نسخة الشيخ الحويزي من تفسير القمي هي هذه النسخة؛ تفرد بنقل خبر عنها يأتي عرضه، ونسبة غفلة لتفسير القمي، وهو ليس منه.

وصور ورقاتها الثلاث بعد نهاية التفسير:



الاعات في كل شوكات يوم العقيم من الذئب لا يغفر لهم فلهم عزفون فان فرطهم في حبه كان سلاكته  
 يوم العقيم ثم قال ابو عبد الله امان فديا يصكم فلادفع في انتقاما من اذى الميتات بيا فاما ذهاب يوم العقيم  
 كل من فرطها عندهم - حسن عن ابي هريرة روى صريح بذلك عبارة وقال معنه يوم زفارة  
 والبراء في كل شوكات يوم العقيم ميرزا من بن سحنا واكل يوم العقيم من مواليه التي تبعه  
 محبين بغير سخا الناس **الرسول** **رسول** **رسول** **رسول** **رسول** **رسول** **رسول** **رسول**  
 معاذك فراسمه ويشتكي كل ثوابك والله لمحفات يكره على اهلين وكان يوم العقيم من المقرب  
 للرسول عليه عن ابي هريرة روى عبارة قال معنه يقول من قاتل يوم العقيم  
 يوم اول ذلك المبعث لدوره التيم والصلوة جمال وصفة واصفية يوم العقيم فعن كاسب الدين كان  
 حيائمنه بقاد اصحابه وامن باليه ابي بكر زادوا فلحتا قال ابو عبد الله موسى ويفعل  
 الوربة سكونه **الحسن**  
 صبيه الدرب من اصحابه اولى وكان ناصحا له يكتنفه من اصحابه واعمل فيه بخلافه فعن في حرم من شهر  
 مطلع شهر رمضان **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول**  
 من فراسمه ابرهم قال في ركتين حسنا فكل حميم لا رصبة فعن اصحابه واحبوبه في كثوبى  
 للرسول عن اصحابه لفظ ابرهم عن محمد بن سليمان بن الحسين فعن ابي الحسن والرازي وكوفي  
 المسزم في الميقات سبعين وثمانين افاعي للدعا منه الجذنم والبرس وكان سكانه في جند عدن  
 كان فرطها في هناك له صبيه في هناك كوفة واعطوه من حبه اليه واحبوبه من اصحابه واعطوه  
**الحسن**  
 من غلاماً بين اثنين اياه مثل ذلك وكان في هناك من الصغار فالذوقين يوم بيته من فرطها  
 في بلده ثلات أيام فكل من العتمة يحيط به من سلطان دعيم ثبات على ادقها شلت في يوم واحد  
 للذئب فحضرت عليه المزن **الحسن**  
 فعرف بن سعيد لعدم مذاقه ثم وفتح له في يوم بيته وافسوسه وافسوسه وفي يوم بيته  
 بين نور ساطع على اضداد السماء الى رصده لها وفاذ الخير ياده في ليلة مديدة لم يسمعه قرق  
 وتحبسه ويعضون في وجهه ويسكبون في فمه حبوبه وابالصرها والمردان ويجهرون على  
 سمعها لا يكون منها الا ملاكت المقربون وابنها الاس والمرادون وهو مع المقربين ولطفه  
 لا يحيطه مع مرجعه ولا يحيطه مع من اباه ولا يحيطه مع من يحيطه فتفوقت لطافتكم تبارك وفضلكم  
 بغير اسقف في جميع ما في الارض المفتوحة ويفتح في جميع الاصحاص وفي جميع الاصحاص  
 من يوقفه لا يقدر مع من ينزل ولا يكتفى بخطته ولا يدقق من وجله وعطيه كما ياسقوه امن عينه  
 حسنه الناس ياسعهم ما كان لهذا العرض عليه ولهمه وحكون من رضاها  
**الرسول**  
 بن سعيد طلاق من اصحابه قال من فراسمه العذابات في كل جمعة له  
 ولم يسم اسما في جمعه وكانت له سبعة وعشرين سلطان وحده لا يذكر اسم ما يكتون من اذى  
 بيته امساكها **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول**  
 قال من فراسمه من في الدار يجده على روز جمعي الدنبا وآخر في ليله يجده العذاب اناسا ملوك  
 سفري بالليلة وكل راحب من اهل بيته يحيى ما يكتون من اذى  
**الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول** **الرسول**

استرف الديار الأفعى وأعرج أسرى الديار إنما لفحة هنرى فما سرت الديار فإن لم يعين بذلك لجنة  
 بما يعنى بهم من اللحى لاجمعين لا الصغير ولا الكبير وإنما سرت الأفعى فان لم يعمر حدود على النار لا يعطيه  
 شباباً وشونه للهدى ما تذهب في كل رببيات فضلاً في كل ضلافت حدراً فلم يع هذى بستان هنرياد  
 وعيان صلطان وعذنان مدحفلان وعور عصتن لافت في المقام وذوا أناهان ومن كل فانقة  
 دفعان فليس الهدى ما تشجع فيه ولهم عنده قفال ضفر على بلدى فالهدى الحدوش حزم وتعزير  
 ادوات حجر والنبيين والشهداء حذاباً للملك المقربون تكون عليه من كل نار في عيافنة وعمرى  
 فوجهه وعنه كل يوم تتحول من ذهب المليار محمد وسلطت به قبكة مه هنا نارب من قلها في ذهب  
 قفائله للسن عليه ولحسن بن أبي العلاء جعفر حسنان وصبر  
 اوى ميداس قال حمه غول الرايم رياض العلات فاذ فلت لهم للرايم فاحروا السؤالك وكما انتكم  
 كثيرون احتطوا لوابن سامي قال ان الصيدلانيون بغراهم يخرجون من منه لطلب الملك الادف في العبر  
 وان اسلوبهم بالهداى من ياقوت حرم جلالة واصفه في معاذه وكل حهم او فربه وان ذرعه لفتحه  
 ليس فعله العزى ولكن حمه المقربون المحسنون يعنون عباد عن صدره بن حاتم عن أبي عيسى  
 قال من قال لهم في ذلك مثل بستانكم كان في دفع محمد روى الحميد ابراهيم والحمدوك كل فريله  
 سيد الرياح قال ابو عبد الله الرايم ثانية القبة اعنى لحسن التارىخى وأطبه معه الافتخار  
 حتى سفن بيده سفن لها الرب جلاله من الذي كان يقربون معمدوه فرندة مقعم طائفه من  
 اناس لا يعصم لا يصرف لهم في هذا احتمام وان الرايم امنه بباقي جوهر الديار وغزير وجعله  
 شالون الرايم بستانكم اباها ، لا اعطيكم ولو المئتين جميع حنانه جميع ما اعطيته مبادي الصلف  
 واصد نظم فباتون جميع ما ارادوا وسبأني بخطفهم جميع ما ارادوا وكم نائم يوم الباذن لهم  
 للحبه وفدا عليهم حواله خطط على اما لا يعنى ذلك فلما ذكرت سمعت  
 عن جويريه العلام ابا الصابح الكافي فلما سمعت بالحمره في لوز فراسون العون في كل ذلك غفرله  
 ما افتش عن سبأ ما انا ذر الى سهل الفرجي وصل الى اخر خبره من الديار فاخبره يوم العيد معلم العيف  
 سلك لنهاده  
 بـ اناس وعمرى وذمارى وذكرى فنقول للسورة التي يقرأها كيتكان معلم صدري وموصي  
 عليك منعنى لا يارد كان يعلمك ولا يمزعك اى ادب فلما سمعت بذلك واطهانت حلوه وابتدا موسعا  
 قلب فاعذر لمن اذمه فهو وعتره وحللى وارضا مني على كل فلادعكم على في جميع حنانه لاعطينه ذلك  
 تجعلك عبيده بقواعطبك من على ما تسبى لهذى الالكت ففضلة سوي عليك وعطاء من عبودي  
 مفقوده الحمد لله العظيم

## [متن الكتاب والتعليق عليه]

١- قال بن عباس: هذا ما نزل بعكة من القرآن:

[١] [٣] أول آية <sup>(٤)</sup> أنزلها الله: بسم الله الرحمن الرحيم، [٢] والثاني على ما أنزل:  
اقرأ باسم ربك الذي خلق [٣] ن والقلم [٤] المزمل [٥] المدثر [٦] تبت [٧] إذا  
الشمس كورت [٨] سبّح اسم ربك الأعلى [٩] والليل [١٠] والفجر [١١] الضحى  
[١٢] ألم نشرح [١٣] والعصر [١٤] العadiات [١٥] الكوثر [١٦] أهائم [١٧]  
أرأيت [١٨] الكافرون [١٩] الفيل [٢٠] الفلق [٢١] الناس [٢٢] الإخلاص [٢٣]  
الحجر [٢٤] عبس [٢٥] إنا أنزلناه [٢٦] والشمس [٢٧] البروج [٢٨] التين [٢٩]  
لإيلاف [٣٠] القارعة [٣١] لا أقسم بيوم القيمة [٣٢] ويل لكل همزة [٣٣]  
والمرسلات [٣٤] البلد [٣٥] الطارق [٣٦] القمر [٣٧] الأعراف [٣٨] الجن [٣٩]  
يس [٤٠] الفرقان [٤١] الملائكة [٤٢] مريم [٤٣] طه [٤٤] الواقعة [٤٥] الشعراة  
[٤٦] النمل [٤٧] القصص [٤٨] بني إسرائيل [٤٩] يونس [٥٠] هود [٥١] يوسف  
[٥٢] الحج [٥٣] الأنعام [٥٤] الصافات [٥٥] لقمان [٥٦] النساء <sup>(٥)</sup> [٥٧] الزمر  
[٥٨] المؤمن [٥٩] السجدة [٦٠] عسق [٦١] الزخرف [٦٢] الدخان [٦٣] الجاثية  
[٦٤] الأحقاف [٦٥] الذاريات [٦٦] الغاشية [٦٧] الكهف [٦٨] النحل [٦٩] نوح  
[٧٠] إبراهيم [٧١] الأنبياء [٧٢] مؤمنون <sup>(٦)</sup> [٧٣] السجدة [٧٤] الطور [٧٥] الملك  
[٧٦] الحاقة [٧٧] سأل سائل [٧٨] عم <sup>٧٩</sup> النازعات [٨٠] انططار [٨١] انشقاق  
[٨٢] الروم [٨٣] العنكبوت [٨٤] المطففين [٨٥] سباء [٨٦] النجم.

هذا ما نزل بعكة، وعدده خمسة وثمانون سورة <sup>(٧)</sup>.

وما نزل بعد هذا في بالمدينة وعدده ثمان وعشرون: [١] سورة البقرة [٢]  
الأنفال [٣] الأحزاب [٤] المتحنة [٥] الزلزلة [٦] محمد عليه السلام [٧] الرعد [٨]  
الرحمن [٩] هل أتى [١٠] الطلاق [١١] لم يكن [١٢] الحشر [١٣] النصر [١٤]

النور [١٥] فاتحة [١٦] الحجر <sup>(٤)</sup> [١٧] المنافقون [١٨] المجادلة [١٩] الحجرات [٢٠] التحرير [٢١] الجمعة [٢٢] التغابن [٢٣] الصف [٢٤] الفتح [٢٥] المائدة [٢٦] التوبة [٢٧] آل عمران [٢٨] الحديد.

قال ابن عباس: (آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾). وقال: (كل شيء في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ نزل بهكمة، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ﴾ نزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون والعذاب نزل بهكمة).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
فاتحة الكتاب

٢ - محمد بن علي قال: حدثنا إسماعيل بن مهران بن محمد عن أبي بصير أبو أحمد قال: حدثنا الحسن بن علي بن حمزة البطائني عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عاكشة: اسم الله الأعظم مقطع في أم الكتاب.

#### [نسبة أخبار الكتاب وأصلها]

[والظاهر أن أصل الرواية من كتاب فضائل القرآن للحسن بن علي البطائني، قال النجاشي في ترجمة الأخير: "الحسن بن علي بن أبي حمزة واسمه سالم البطائني قال أبو عمرو الكشي فيما أخبرنا به محمد عن جعفر بن محمد عنه قال: قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن فضال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني فطعن عليه<sup>(١٠)</sup>، وكان أبوه قائد أبي بصير يحيى بن القاسم. هو الحسن بن علي بن أبي حمزة مولى الأنصار كوفي ورأيت شيوخنا رحمهم الله يذكرون أنه كان من وجوه الواقفة. له كتاب الفتنة وهو كتاب الملائم أخبرنا أبو عبد الله بن شاذان عن علي بن أبي حاتم قال: حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال: حدثنا علي بن الحسين بن عمرو الخزاز عن الحسن به. وله كتاب فضائل القرآن

أخبرناه أحمد بن محمد بن هارون عن أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب بن حمزة زياد الجعفي القصباتي يعرف بابن الجلا (الحال) بعرزم قال: حدثنا إسماعيل بن مهران بن محمد بن أبي نصر عن الحسن به. وكتاب القائم الصغير وكتاب الدلائل وكتاب المتعة وكتاب الغيبة وكتاب الصلاة وكتاب الرجعة وكتاب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وكتاب الفرائض".

والراوي للكتاب هو إسماعيل بن مهران، أثبتتها في كتابه ثواب القرآن ثم أخذت منه، قال النجاشي: "إسماعيل بن مهران بن أبي نصر السكوني واسم أبي نصر زيد مولى كوفي يكنى أباً يعقوب ثقة معتمد عليه روى عن جماعة من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام ذكره أبو عمرو في أصحاب الرضا عليه السلام. صنف كتاباً منها الملحم. أخبرنا به محمد بن محمد قال: حدثنا أبو غالب أحمد بن محمد قال: حدثني عم أبي علي بن سليمان عن جد أبي محمد بن سليمان عن أبي جعفر أحمد بن الحسن عن إسماعيل به. وكتاب ثواب القرآن. أخبرنا الحسين بن عبد الله عن أحمد بن جعفر بن سفيان قال: حدثنا أحمد بن إدريس عن سلمه بن الخطاب عنه. وله كتاب الإهليجة. أخبرناه الحسين بن عبد الله قال: حدثنا علي بن محمد قال: حدثنا حمزة قال: حدثنا محمد بن أبي القاسم عن أبي سميحة عن إسماعيل. كتاب صفة المؤمن والفاجر كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام كتاب التوادر. أخبرنا بجميعها أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا علي بن محمد القرشي قال: حدثنا علي بن الحسن بن فضال عنه بها".<sup>(١١)</sup>

وكل الأخبار التالية مروية بهذا الطريق، أعني: (محمد بن علي عن إسماعيل بن مهران) عَمَّن يحدث عنه.

ومحمد بن علي هنا هو الصيرفي أبو سميحة، بحسب الظاهر من السند ونقل النجاشي السابق، وفي ترجمة محمد بن حسان الرازي قال النجاشي في الأخير: "له

كتب منها: كتاب ثواب القرآن. أخبرنا ابن أبي جيد عن محمد بن الحسن عن سعد بن عبد الله ومحمد بن يحيى وأحمد بن إدريس عن محمد بن حسان عن محمد بن علي الصيرفي عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي (بن أبي حمزة) البطائني<sup>(١٢)</sup>.

وقال الشيخ في فهرسته في محمد بن علي الصيرفي الكوفي: "يكنى أبو سميحة له كتب مثل كتاب الحسين بن سعيد. أخبرنا جماعة عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه ومحمد بن الحسن ومحمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الصيرفي إلا ما كان فيها من تخليط أو غلو أو تدليس أو ينفرد به ولا يعرف من غير طريقه".<sup>(١٣)</sup>

وفي الكشي: "قال حمدوه عن بعض مشيخته: محمد بن علي رمي بالغلو. قال نصر بن الصباح: محمد بن علي الطاحي هو أبو سميحة. وذكر علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن الفضل بن شاذان أنه قال: كدت أن أقت على أبي سميحة محمد بن علي الصيرفي قال: فقلت له: ولم استوجب القنوت من بين أمثاله؟ قال: إني لأعرف منه ما لا تعرفه. وذكر الفضل في بعض كتبه: الكذابون المشهورون أبو الخطاب ويونس بن طبيان ويزيد الصائغ ومحمد بن سنان وأبو سميحة أشهرهم".<sup>(١٤)</sup>

والفضل بن شاذان يعلم من طريقته الرمي بالكذب والتضليل للضعفاء في الحديث الذين يررون عن الضعاف، كمحمد بن سنان، وكذا من هو كذاب في نفسه، وهو إشراك بين الأمرين بغير داع إلا التشدد والتحرج، لكنه لا يساوic الكذب بأي حال.

وعن ابن الغضائري: "محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد الصيرفي: ابن أخت خلاد المكري أبو جعفر الملقب بأبي سميحة كوفي. كذاب غال. دخل قم واشتهر أمره بها ونفاه أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري عليه السلام عنها. وكان شهيرا في الارتفاع لا

يلقى إلينه ولا يكتب حديثه".

وقال النجاشي: "محمد بن علي بن إبراهيم بن موسى أبو جعفر القرشي: مولاهم صيرفي ابن أخت خلاد المقرئ وهو خلاد بن عيسى. وكان يلقب محمد بن علي أبي سميّة ضعيف جداً فاسد الاعتقاد لا يعتمد في شيء. وكان ورد قم وقد اشتهر بالكذب بالكوفة ونزل على أحمد بن محمد بن عيسى مدة ثم تشهر بالفلو فجفا وأخرجه أحمد بن محمد بن عيسى عن قم قوله قصة. له من الكتب: كتاب الدلائل وكتاب الوصايا وكتاب العتق. أخبرنا أبو الحسين علي بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن أبي القاسم ماجيلويه عنه بكتابه (بكتاب) الدلائل وأخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا جعفر بن عبد الله المحمدي عنه بكتبه. وكتاب تفسير عم يتساءلون وكتاب الآداب. أخبرنا ابن شاذان قال: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى قال: حدثنا أبي قال: حدثنا محمد بن أبي القاسم ماجيلويه عنه".

وأنت أعلم بحال أحمد بن محمد بن عيسى وكذا حال الغضائري رحمه الله في التسرع والرمي بتلك الأوصاف، وحالهما رغم جلالتهما أبين من الشمس، وما حملهما عليه إلا الغيرة على المذهب وسلوك الاحتياط الذي صوباه. نعم، الرجل لا يقاوم بكمار الحديثين من الثقات، فينظر في أخباره التي لم يتفرد بها أو أيدتها القرائن والأخبار فتقبل، وأما أخباره التي وصفت بالارتفاع والغلو -بظاهر تعريفه بالرجل وأعرضوا عن نقلها والتحدث بها كما نقلوا- فلا نجد لها عيناً ولا أثراً كروايات غيره ممن طعن فيه وفي أخباره، ولو فرض وكانت له أخبار غريبة فحالها حال غيرها من الأخبار، كلها مشمولة بالقاعدة التي ذكرناها.

وعلى أي حال، فالأخبار المنقوله هنا هي عن كتاب محمد بن علي الصيرفي عن ثواب القرآن لإسماعيل بن مهران عن كتاب فضائل القرآن للحسن بن علي

البطائي، وانتهاؤها للحسن بن فضّال مؤيد لكونها من كتبه، بل قد تكون بجموعها كتاباً واحداً، إلا أنّ تباعد العصور وتفرق أخبار الأصول يرجح كونها -بهذا الشكل والترتيب المجموع- ملخصاً تأخر عنه ومنهم من ذكرناهم، إلا محمد بن علي أبي سفيان؛ فإن احتمال أن تكون من كتاب له أو من حديثه المجموع بشكل كتاب قوي، قضية للتفاوت في متونها وطرق أكثرها عما رواه المشايخ عنه وعن غيره.

### [مصادر أخرى للرواية]

لفظ الحديث بعينه عن إسماعيل بن مهران هو المروي في ثواب الأعمال، قال الصدوق عليه السلام فيه: (أبي عليه السلام قال حدثني محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد عن محمد ابن حسان عن إسماعيل بن مهران قال حدثني الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائي عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام اسم الله الأعظم مقطع في أم الكتاب) <sup>(١٥)</sup>.

وهو المروي عن السيد علي بن طاووس في مهج الدعوات قال: (فمن الروايات فيه بإسنادنا إلى محمد بن الحسن الصفار من كتاب فضل الدّعاء بإسناده إلى معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام أتّه قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَسْمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ أو قَالَ الْأَعْظَمُ، ومن الروايات فيه بإسنادنا من الكتاب المشار إليه عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أَسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ مُقطّعٌ فِي أُمّ الْكِتَابِ) <sup>(١٦)</sup>.

وفي تفسير العياشي: (بأسانيد عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام اسم الله الأعظم مقطع في أم الكتاب) <sup>(١٧)</sup>.

٣- الحسن عن أبيه وحسين بن أبي العلاء <sup>(١٨)</sup> عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعناه يقول: من قرأ البقرة وأآل عمران جاء يوم القيمة يظلّنه

على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين.

[وهو المروي في ثواب الأعمال أيضاً عن الصدوق عن محمد بن الحسن قال حدثني محمد بن إدريس عن محمد بن أحمد بن محمد بن حسان عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي عن أبيه عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَنْهَا قَالَ: مَنْ قَرأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عُمَرَانَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَظَاهَرَنَّ عَلَىٰ رَأْسِهِ مِثْلُ الْغَمَامَتَيْنِ أَوْ مِثْلُ الْغَيَابَتَيْنِ<sup>(١٩)</sup>.]

٤- الحسن<sup>(٢٠)</sup> بن علي بن عابس<sup>(٢١)</sup> عن النهال بن عمر عن زر بن حبيش<sup>(٢٢)</sup> عن علي صلوات الله عليه قال: من قرأ سورة النساء في كل يوم جمعة أؤمن من ضغطة القبر<sup>(٢٣)</sup>.

[وهي المروية أيضاً في ثواب الأعمال عن الصدوق قال: حدثني محمد بن موسى بن المتوكل قال حدثنا محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن محمد بن حسان عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي عن علي بن عابس عن أبي مريم (عن) النهال عن عمرو بن زر بن حبيش عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَنْهَا قَالَ: مَنْ قَرأَ سورة النساء في كل جمعة أؤمن من ضغطة القبر<sup>(٢٤)</sup>.]

٥- حسن عن ابن مسعود عن أبي الجارود عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَنْهَا قَالَ: مَنْ قَرأَ سورة المائدة في يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولا بشرك أبداً.

[وهي المروية كذلك في ثواب الأعمال، قال الصدوق: أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَنْهَا قَالَ حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن حسان عن إسماعيل ابن مهران عن الحسن بن علي عن أبي مسعود المدايني عن أبي الجارود عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَنْهَا قَالَ: مَنْ قَرأَ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولم يشرك به أبداً<sup>(٢٥)</sup>.

وفي العياشي: عن أبي الجارود عن محمد بن علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ يَنْهَا قَالَ: مَنْ قَرأَ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولم يشرك به أبداً<sup>(٢٦)</sup>.

فما في السند (ابن مسعود) خطأ، والصواب (أبو مسعود)، روى عنه الخصيبي في الهداية الكبرى عن أبي الجارود عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام [٢٧].

**٦- الحسن عن أبيه والحسين بن محمد بن فرقد عن السدي عن أبي صالح**  
عن ابن عباس قال: من قرأ سورة الأنعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيمة، ولم ير النار بعينه أبداً.

[ورواها -بتفاوت في السند والمتن- الشيخ الصدوق عليهما السلام في ثواب الأعمال عن أبيه عليهما السلام قال: حدثني محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الكوفي عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي عن علي بن الحسين بن محمد بن فرقد عن الحكم بن ظهير عن أبي صالح عن ابن عباس قال: من قرأ سورة الأنعام في كل ليلة كان من الآمنين يوم القيمة ولم ير بعينه مقدم النار أبداً] .

والحكم بن ظهير هو صاحب التفسير عن السدي، وهو والد إبراهيم الفزاري، قال النجاشي في إبراهيم بن الحكم بن ظهير: "أبو إسحاق، ابن صاحب التفسير عن السدي" .

وفي سند ما نقلناه من رواية عن الأصل تشويش؛ فإن الرواية عن أبي صالح عن ابن عباس هو الكلبي صاحب التفسير، ويروي السدي عن الكلبي تفسيره، والسدّي هذا هو محمد بن مروان، ونستقرب أن يكون السند هكذا: الحسن عن أبيه والحسين بن محمد بن فرقد الأستدي عن الحكم بن ظهير عن محمد بن مروان السدي عن محمد بن السائب الكلبي عن باذان أبي صالح مولى أم هانئ ابنة أبي طالب عن ابن عباس].

**٧- حسن** <sup>(٣٠)</sup> عن أبيه عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول: إن سورة الأنعام نزلت من القرآن جملة واحدة، شيعها يوم نزلت سبعون ألف ملك، وساير القرآن نزل منقطع الآيات، آية وآيتان وأكثر، غير سورة الأنعام؛ فإنها

نزلت جملة، وهو <sup>(٣١)</sup> يأتي يوم القيمة ولها دوي على رأس تاليها كدوى <sup>(٣٢)</sup> النحل، يشفع <sup>(٣٣)</sup> تاليها يوم القيمة مثل ربيعة ومضر، يغبطه النبيون والملائكة المقربون.

-٨- حسن عن أبيه عن أبي بصير، وأبي المغراء <sup>(٣٤)</sup> وحسين بن العلاء عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: [...] <sup>(٣٥)</sup> سورة الأنعام نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك حتى أُنذلت على محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، فعظموها وبجلوها؛ فإن اسم الله فيها سبعين موضعًا، ولو يعلم الناس ما في ثوابها من الفضل ما تركوها. [وهي كالرواية السادسة، رواها الصدوق عطفاً على سابق ما نقله، قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: نزلت سورة الأنعام جملة واحدة، شيعها سبعون ألف ملك حتى نزلت على محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، فعظموها وبجلوها فان اسم الله فيها في سبعين موضعًا، ولو علم الناس ما فيها ما تركوها.]

وعلة التفاوت - بهذه الصورة - هي النقل بالمعنى، سواء باللفظ أو بالكتابة، وهو لا ينافي أخذها من كتاب أو أصل واحد؛ فإن أكثر أخبارنا أخذت من الأصول ثم نقلت من الصدور بمعانيها إلى مصنفات الأصحاب.]

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: من كانت له إلى الله حاجة يريد قضاها فليصل أربع ركعات بالحمد والأنعام، وليقل في صلاته إذا فرغ من القرآن: يا كريم يا كريم، يا عظيم يا عظيم من كل عظيم، يا سميع الدعاء، يا من لا تغيره الليالي والأيام، صل على محمد وآل محمد، وارحم ضعفي وفقرني وفاقتي ومسكنتي وتضريعي، فإنك أعلم بها مني، وأنت أعلم بمحاجتي، يا من رحم يعقوب حتى رد عليه يوسف قرة عينه، يا من رحم أويوب بعد طول بلائه، يا من رحم محمداً صلوات الله عليه وآله وسلامه من اليتم وآواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيها وأمكنته منهم، يا مغيث يا مغيث يا مغيث، حتى يقولها مرارا، فو الذي نفسي بيده، لو دعيت بها بعدهما تصلي هذه السورة ثم سألت جميع حواتجك وما يحل عليك إلا أعطاك الله

ذلك إن شاء الله تعالى.

[روى قريبا منه السيد ابن طاووس في المختبى والكفعمي رحمه الله في البلد الأمين من كتاب الوسائل إلى المسائل تأليف المعين أحمد بن علي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن القاسم قال: إن الصادق عليه السلام قال: عليكم بسورة الأنعام فإن فيها اسم الله تعالى في سبعين موضعًا، فمن كانت له إلى الله تعالى حاجة فليصل أربع ركعات بالحمد والأنعام، وليقن إذا سلم: يا كريم، يا عظيم، يا أعظم من كل عظيم، يا سميع الدعاء، يا من لا تغيره الأيام والليالي، صل على محمد وآل محمد وارحم ضعيفي وفقري وفاقتني ومسكتني، فإنك أعلم بحاجتي، يا من رحم الشيخ الكبير يعقوب حتى رد عليه يوسف وأقر عينه، يا من رحم أويوب بعد طول بلاته، يا من رحم محمد عليه السلام وفي اليتم آواه ونصره على جباررة قريش وطواجيتها وأمكنته منهم، يا مغيث يا مغيث، فو الذي نفسي بيده لو دعوت بها بعد ما تصلي هذه الصلاة على جميع حواتنك لقضها الله تعالى <sup>(٣٦)</sup>.]

- ٨ - حسن عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: منقرأ سورة الأعراف في كل شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرأها في جمعة كان <sup>(٣٧)</sup> مما لا يحاسب يوم القيمة. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إن فيها آية محكم <sup>(٣٨)</sup>، فلا تدع قراءتها وتلاوتها والقيام بها؛ فإنها تشهد يوم القيمة لكل من قرأها عند ربه.

[رواها -بتفاوت في اللفظ قليل- الصدوق عن أبيه قال: حدثني محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الكوفي عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: منقرأ سورة الأعراف في كل شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرأها في كل جمعة كان من لا يحاسب يوم القيمة، أما إن فيها محكمًا فلا تدعوا قراءتها فإنها تشهد يوم القيمة من قرأها <sup>(٣٩)</sup>.

لكن رواها العيashi في تفسيره بنفسه قال: عن أبي بصير عن أبي عبد الله علّي عليهما السلام قال: من قرأ سورة الأعراف في كل شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا يحزنون، فإن قرأها في كل جمعة كان من لا يحاسب يوم القيمة، ثم قال أبو عبد الله علّي عليهما السلام: أما إنّ فيها آياً حكمة [آيات ومحكم]، فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها؛ فإنها تشهد يوم القيمة لمن قرأها عند ربه<sup>(٤٠)</sup>.

٩- حسن عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله علّي عليهما السلام قال: سمعته يوم<sup>(٤١)</sup> من قرأ الأنفال والبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين علّي عليهما السلام حقاً، وأكل يوم القيمة من موائد الجنة [مع شيعة]<sup>(٤٢)</sup> علي حين<sup>(٤٣)</sup> يفرغ من حساب الناس.

[روى العيashi بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله علّي عليهما السلام قال: من قرأ الأنفال وبراءة، في كل شهر، لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين علّي عليهما السلام حقاً، ويأكل يوم القيمة من موائد الجنة معهم، حتى يفرغ الناس من الحساب<sup>(٤٤)</sup>.

وأرسلها الطبرسي في جوامع الجامع عن الصادق علّي عليهما السلام قال: من قرأهما في كل شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين علّي عليهما السلام حقاً، ويأكل يوم القيمة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب<sup>(٤٥)</sup>.

وروى قطعة منها ببعض التفاوت الصدوق بالإسناد الذي قدمناه عن الحسن عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله علّي عليهما السلام قال: من قرأ سورة الأنفال وسورة براءة في كل شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين علّي عليهما السلام<sup>(٤٦)</sup>.

وأشبه من الكل ما رواه السيد ابن طاووس في الدروع الواقية، قال: فيما نذكره من فضل قراءة سورة الأنفال وبراءة في كل شهر: من كتاب تفسير القرآن عن الأئمة علّي عليهما السلام، ما هذا لفظه: الحسن، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله علّي عليهما السلام، قال: سمعته يقول: من قرأ سورة براءة والأنفال من كل شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه حقاً، ويأكل يوم القيمة من موائد

الجنة مع شيعة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه حتى يفرغ من الحساب بين الناس<sup>(٤٧)</sup>.

وكتاب تفسير القرآن هذا غير تفسير القرآن للطبرسي الذي يذكره السيد وينقل عنه؛ فإنما وجدنا الرواية في مجمع البيان - وهو ما ينقل عنه السيد في العادة - أو جوامع الجامع للطبرسي أيضاً.

ولا أعرف على نحو اليقين نسبة الكتاب الذي نقل عنه، لكنه مطابق بالنص والطريق للرواية التي نقلناها عن المخطوط، وسوف يتكرر النقل منه في فضل سورة يونس عليه السلام.

ويحتمل أن يكون التفسير هو ما ذكره ونقل عنه في سعد السعوذ، قال: "فصل فيما نذكره من تفسير أهل البيت عليهم السلام، قد سقط أوله وأخره، مجلدا واحدا خطاه عتيق دقيق، قالبه الطالبي، نحو عشرين كراسا أو أكثر، فيه روايات غريبة"<sup>(٤٨)</sup>، نذكر من الوجهة الأولى من القائمة الحادية عشرة ما هذا لفظه: (وفي حديث علي بن إبراهيم بن هاشم عن رجاله يرفعه إلى الصادق عليه السلام أنه لما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم بقمصه ملطخاً بالدم) إلى آخر الحديث<sup>(٤٩)</sup>.

وأما جمع سورتي الأنفال وبراءة في الفضل فلعلهما بحكم السورة الواحدة في جملة من الروايات].

١٠- الحسن عن الحسين بن محمد بن فرقان عن فضيل عن أبي عبد الله عليه السلام  
قال: من قرأ سورة يونس في كل شهرين أو ثلاثة لم يخف أن يكون من الجاهلين،  
وكان يوم القيمة من المقربين.

[رواهما بلفظها الشيخ الصدوق بإسناده الذي ذكرناه إلا أنه قال: (لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين)<sup>(٥٠)</sup>. والعياشي عن فضيل الرسان مثله.

وكذا السيد ابن طاووس في الدروع الواقية، قال: ومن كتاب تفسير القرآن

لأئمة عليه السلام، ما هذا لفظه: بسم الله الرحمن الرحيم، حدثنا الحسن، عن الحسين بن محمد بن فرقد، عن فضيل الرسان، عن أبي عبد الله عليه السلام...، وساق الحديث<sup>(٥١)</sup>.

١١- الحسن عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو في كل ليلة بعث الله يوم القيمة وجاله على جمال يوسف، ولا يصيبه يوم القيمة فزع كما يصيب الناس، وكان حياته<sup>(٥٢)</sup> من عباد الله الصالحين، وأمن في الدنيا أن يكون زانياً أو فاحشاً. وقال أبو عبد الله عليه السلام: سورة يوسف في التوراة مكتوبة.

[في ثواب الأعمال: بهذا الإسناد، عن الحسن عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة يوسف عليه السلام في كل يوم أو في كل ليلة بعثه الله تعالى يوم القيمة وجاله مثل جمال يوسف عليه السلام ولا يصيبه فزع يوم القيمة وكان من خيار عباد الله الصالحين، وقال: إنها كانت في التوراة مكتوبة<sup>(٥٣)</sup>.]

وفي العياشي: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: من قرأ سورة يوسف عليه السلام [في كل يوم أو]<sup>(٥٤)</sup> في كل ليلة بعثه الله يوم القيمة وجاله على جمال يوسف عليه السلام، ولا يصيبه يوم القيمة ما يصيب الناس من الفزع، وكان جيرانه من عباد الله الصالحين، - ثم قال: إن يوسف كان من عباد الله الصالحين - وأؤمن في الدنيا أن يكون زانياً أو فاحشاً.<sup>(٥٥)</sup>

ولم نجد ما يطابقه نصاً فيما بين أيدينا من مصادر حاضرة، مع أن التفاوت بين النقولات غير عزيز، والفائدة تظهر عند المقارنة بينها].

١٢- الحسن عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة أبداً ولو كان ناصبياً، ولا يكون شيء أشر من الناصب، وإن كان مؤمناً<sup>(٥٦)</sup> أدخل الجنة بلا حساب، وشفع في جميع من يعرف من أهل بيته وإخوانه.

[وفيها زيادة عما رواه الشيخ الصدوق في ثواب الأعمال، قال: عن الحسن عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليهما السلام أنه قال: من أكثر قراءة سورة الرعد لم يصبه الله بصاعقة أبداً ولو كان ناصبياً، وإذا كان مؤمناً أدخل الجنة بلا حساب، ويشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته وإخوانه].<sup>(٥٨)</sup>

ورواها العياشي في تفسيره بطريق آخر، قال: عن عثمان بن عيسى عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: من أكثر قراءة سورة الرعد لم تصبه صاعقة أبداً وإن كان ناصبياً، فإنه لا يكون أشر من الناصب وإن كان مؤمناً أدخله الله الجنة بغير حساب ويشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته وإخوانه من المؤمنين].<sup>(٥٩)</sup>

ورواها باتفاق الشیخ الطبرسی مرسلة في الجموع، قال: قال أبو عبد الله عليهما السلام: من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة أبداً، وإن كان مؤمناً أدخل الجنة بغير حساب، وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته وإخوانه].<sup>(٦٠)</sup>

١٣ - الحسن<sup>(٦١)</sup> عن أبي المغرا<sup>(٦٢)</sup> عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: من قرأ سورة إبراهيم والحجر في ركعتين جيئاً في كل جمعة لم يصبه فقر أبداً وجنون ولا بلوى.

[رواها بعينها الشيخ الصدوق عن أبيه عن الحسين وساق باقي السنن والحديث المذكور بعينه<sup>(٦٣)</sup>، وكذا العياشي في تفسيره].<sup>(٦٤)</sup>

رواها الشيخ في التهذيب عن عنبسة بن مصعب عن أبي عبد الله عليهما السلام إلا أنه قال: «في ركعتين جيئاً في يوم الجمعة».<sup>(٦٥)</sup>

١٤ - الحسن<sup>(٦٦)</sup> عن عاصم المخاط عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليهما السلام قال: من قرأ سورة النحل في كل شهر كفى المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجذام والبرص، وكان مسكنه في جنة عدن وسطاً، فإن قرأها في نهاره لم يصبه في نهاره مكروره، وأعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يخطر على قلبه.

[رواہ الصدوق هكذا: عن الحسن عن عاصم الخیاط عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر علیه السلام قال: من قرأ سورة النحل في كل شهر كفى المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص، وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان].<sup>(٦٧)</sup>

وفي العیاشی: عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر علیه السلام قال: من قرأ سورة النحل في كل شهر دفع الله عنه المرة في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص، وكان مسكنه في جنة عدن. وقال أبو عبد الله علیه السلام: وجنة عدن هي وسط الجنان].<sup>(٦٨)</sup>

١٥ - الحسن عن أبيه وحسين بن العلاء عن أبي عبد الله علیه السلام قال: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، من قرأها قبل أن ينام أو في نهاره قبل أن يسيّ كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حين يسي، ومن قرأها في ليله قبل أن ينام وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة، وإن مات في يومه أدخله الجنة، ويحظر في غسله ثلاثون ملكاً كلهم يستغفرون له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار، فإذا أدخل لحده [كانوا] في جوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له، وفتح له في قبره مد بصره، وأمن من ضغطة القبر، ولم يزل في قبره نور ساطعاً إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من قبره، فإذا أخرجه الله من قبره لم تزل ملائكة الله تشيعه من قبره ويحدثونه ويحضكون في وجهه ويستبشرون له في كل خير، حتى يجوزوا به الصراط والميزان، ويوقفون من الله موقفاً لا يكون عند الله إلا ملائكة الله المقربون وأنبياء الله والرسلون، وهو مع النبيين واقف بين يدي الله، لا يحزن مع من يحزن، ولا يهتم مع من يهتم، ولا يحزن مع من يحزن، ثم يقول له الرب تبارك وتعالى: اشفع عبدي أشفعك في جميع ما تسأل، فيسأل فيعطي ويشفع، ولا يحاسبه فيمن يحاسبه، ولا يوقف مع

من يوقف، ولا يذل مع من يذل، ولا تكتب خطئته ولا شيء من سوء عملهن ويعطي كتاباً منشوراً من عند الله، حتى يقول الناس بأجمعهم: ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد ﷺ.

[الصحيح أن الرواية عن العلاء عن أبي بصير، كما تقدم في الرواية الثالثة، ورواهما ببعض التفاوت وبضبط أكثر الصدوق عن أبيه عن الحسن عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي نصر عن أبي عبد الله عٰلِيٰهِ (٧٢)، وال الصحيح عن أبي بصير، والخطأ من النسّاخ.]

وفي متنها عن الصدوق: (يحضر غسله ثلاثون ألف ملك)، وهو الأوفق؛ لأن المبالغة تقتضي التأليف فيما كثر وشرف في موضع التفضل الإلهي، وهذا معهود معلوم في تصريحات المعصومين عٰلِيٰهِ، وطريقة العرب في أداء المعاني الجليلة، وسياق كل خبر بالخصوص].

١٦ - الحسن عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عٰلِيٰهِ قال: من قرأ سورة الصافات في كل جمعة لم يزل محفوظاً من كل آفة مدفوعاً عنه كل بلية في حياة الدنيا مربوحاً في الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق، ولم يصبه الله في بدنه ولا ولده بسوء من شيطان رجيم ولا من جبار عنيد، وإن مات في يومه أو ليلته بعثه الله شهيداً.

[رواية الصدوق في ثواب الأعمال عن أبيه قال: حدثني أحمد بن إدريس قال: حدثني محمد بن أحمد عن محمد بن حسان عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عٰلِيٰهِ (٧٣)، وال الصحيح عن الحسن بن علي البطائني عن الحسين بن أبي العلاء، وهو المؤيد بما نقله عن ثواب الأعمال الشيخ الحر في وسائله (٧٤) والمجلسى في بخاره (٧٥).]

وزاد في آخرها: (وأماته شهيداً وأدخله الجنة مع الشهداء في درجة من الجنة).

١٧ - الحسن عن عمر بن جبیر العزرمي عن أبيه عن أبي جعفر ع قال:  
من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة أعطى من خير الدنيا والآخرة وما لم يعط أحد  
من الناس إلا [نبي]<sup>(٧٦)</sup> مرسل أو ملك مقرب، وأدخله الجنة وكل من أحب من  
أهل بيته حتى خادمه الذي كان يخدمه.

[رواهَا بِتَفَاوُتٍ بِسَيِطٍ بِسِنْدِهِ الْمُتَقْدِمِ الشِّيخُ الصَّدُوقُ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ، وَزَادَ  
فِي آخِرِهَا: (وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَدِّ عِبَالِهِ وَلَا فِي حَدِّ مَنْ يَشْفَعُ فِيهِ)<sup>(٧٧)</sup>.  
وَمَا فِي السِّنْدِ (عُمَرُ بْنُ جَبِيرٍ الْعَزْرَمِي) فَخَطَأَهُ، وَالصَّحِيحُ هُوَ (عُمَرُ بْنُ جَبِيرٍ  
الْعَزْرَمِي) بِالرَّاءِ الْمُهَمَّلَةِ ثُمَّ الْمُعْجَمَةِ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلْفَظِ الصَّدُوقِ].

١٨ - الحسن عن صندل عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله ع قال:  
من قرأ سورة الزمر استحقها على لسانه أعطاه الله شرف الدنيا والآخرة، وأعزه  
الله في الدنيا بلا مال ولا عشيرة، فأما شرف الدنيا فإن الله يعزه بلا مال حتى يهابه  
من يراه من الخلق أجمعين والصغير والكبير، وأما شرف الآخرة فإن الله يحرم  
جسمه على النار ولا يطعم منه شيئاً أبداً، وبني له في الجنة ألف مدينة، في كل  
مدينة ألف قصر، في كل قصر ألف حوراء، وله مع هذا عينان تجريان وعينان  
تضاحتان وجنتان مدهامتان وحور مقصورات في الخيام وذواتاً أفنان ومن كل  
فاكة زوجان، وله من الجنة ما تشتهي نفسه وتلذ عينه وما لم يخطر على قلبه،  
والولدان المخلدون خدمه، وحور العين أزواجه، والنبيون والمرسلون [جبيرانه]<sup>(٧٨)</sup>،  
والملائكة المقربون يسلمون عليه من كل باب ويصافحونه ويضحكون في وجهه،  
وعنه كل يوم رسول من رب العالمين يتحفه ويتطاير به ويكرمه، هذا ثواب من  
قرأها في فرائضه ونواقله.

[رواهَا بِتَفَاوُتٍ الصَّدُوقُ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ بِإِسْنَادِهِ السَّابِقِ عَنِ السِّنْدِ الْمُذَكُورِ  
هُنَا، وَاقْتَصَرَ فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ (وَمِنْ كُلِّ فَاكِهةِ زَوْجَانِ)<sup>(٧٩)</sup>، بَلْ لَمْ نَقْفُ عَلَى مَصْدَرٍ

يذكر ما بعد هذه العبارة إلا ما تفردت به هذه المخطوطة].

**١٩ - الحسن عن أبيه والحسين بن أبي العلاء وأبو المغراة**<sup>(٨٠)</sup> جمعاً عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمَرْغُوبُ قال سمعته يقول: **الحواميم** ريحان القرآن، فإذا قرأتم **الحواميم** فاحمدو الله واسكروه كما أنعم عليكم كثيراً بحفظها وتلاوتها. ثم قال: إن العبد ليقوم يقرأ **الحواميم** يخرج من فمه أطيب من المسك الأذفر والعنبر، وإن الله ليرحم تاليها وقارئها، ويرحم جيرانه وأصدقائه وعارفه وكل حميم أو قريب له، وإنه يوم القيمة يستغفر له العرش والكرسي والملائكة المقربون.

[رواه بتفاوت وبسنته السابق الصدوق في ثواب الأعمال<sup>(٨١)</sup>.]

**٢٠ - الحسن عن سيف بن عميرة عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمَرْغُوبُ** قال: من قرأ **الحواميم** في ليله قبل أن ينام كان في درجة محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ وآل محمد وإبراهيم وآل محمد<sup>(٨٢)</sup> وكل قريب له أو بسيط إليه. ثم قال أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمَرْغُوبُ: **الحواميم** تأتي يوم القيمة أنشى من أحسن الناس وجهها وأطبيبه، معها ألف ألف ملك، حتى تتفق بين يدي الله فيقول لها رب جل جلاله: من الذي كان يقرؤك فيقضي قراءتك، فتقوم طائفة من الناس لا يخصهم إلا الله، فيقول لهم: لعمري لقد أحسنتم تلاوة **الحواميم** [أَمْنَتْمَ] <sup>(٨٣)</sup> بها في حياتكم الدنيا، وعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً كائناً ما كان إلا أعطيتكم، ولو سألتموني في جميع جناتي أو جميع ما أعطيتكم عبادي الصالحين وأعدتكم لهم، فيسألونه جميع ما أرادوا وتنوا، فيعطيهم جميع ما أرادوا وتنوا، ثم يؤمر بهم إلى منازلهم في الجنة وقد أعد لهم مما لم يخطر على بالٍ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

[وهذه الرواية ليس لها وجود في مصادرنا الأولية الموجودة اليوم، لكن الشيخ الحويزي في تفسيره نور الثقلين نقلها -منفرداً- في تفسيره ناسباً إليها لتفسير

القمي، وليس في تفسير القمي المتداول الآن، ومن خلال مراجعتنا السابقة للنسخ وجدنا أن نسخته من التفسير هي النسخة المتداولة، فالذى يظهر لنا أن نسخة تفسير القمي التي كانت عنده هي هذه النسخة التي وقفنا عليها ضمن مخطوطات مجلس الشورى وقد ألحقت بها هذه المجموعة الروائية.

وأما فقه الرواية: فليس المقصود من وجوده في درجة النبي ﷺ هو مساواته له في الأجر والثواب، لما يقطع به من عدل الله وكرامته وفضيلته لسيد رسله ﷺ، ولكنها إحدى درجات الجنة العالية، وكل درجاتها العالية تحت يده البيضاء هو والله صلى الله عليه وعليهم.

وأما التفضل على قارئها بما سمعت، فإنه يوافق أن فضل الله وكرمه لا يحده وصف ولو حاول البشر استحضاره، فإن أعطاهم الله كل ما أعطى غيرهم لم يعجزه أن يعود على الآخرين بأضعاف ما تفضل وتكرم جلّ وعلاً].

٢١ - عن جويرية بن العلاء عن أبي الصباح الكناني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام قال: منقرأ سورة المؤمن في كل [ليلة]<sup>(٨٤)</sup> غفر له لم ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وألزمته كلمة التقوى، وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا، وأخرجه يوم القيمة معه ألف ألف ملك يشهدون له شهادة الحق، حتى يجوزون به الصراط والميزان، ويوقفونه من الله موقفاً كريماً، ويقول: عبدي أنت في أمانى وجواري وذمامتي وكرامتى، ثم يقول للسورة التي يقرأ فيها: كيف كان قيام عبدي ومواضيته عليك؟، فتقول: يا رب كان يعمل بي ولا يفطر في، يا رب قد أسررت ليه وأظلمت<sup>(٨٥)</sup> هواجره و[..] دموعه، يا رب فأنجز له ما وعدته، فيقول: وعزتي وجلاي وارتفاعي في علو مكاني، لو حكم علي في جميع جناني لأعطيته ذلك، ثم يقول: عبدي سلني أعطيتك بن علي ما منيت أنفذ ذلك لك تفضيلاً<sup>(٨٦)</sup> مني عليك وعطاء غير محدود ولا منقوص. [و]<sup>(٨٧)</sup> الحمد لله رب العالمين.



تم

[رواها الصدوق بسنده إلى قوله: «وَجَعَلَ الْآخِرَةَ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا»<sup>(٨٩)</sup>، ولم نجد  
مصدراً آخر ينقل باقي الرواية].

[انتهت أخبار الكتاب إلى هنا]

[فوائد من أخبار فضائل السور]

- فائدة: الآثار المذكورة كلها تفضليّة منها: دنيوية، وهي إما تكوينية:  
تشمل المؤمن وغيره، كالنجاة من الصواعق، أو معنوية: تخص المؤمن، كعدم الزنا  
الذي يحترز منه الأتقياء وأمثاله مما ذكر في سورة يوسف عليه السلام. وأخروية: تبدأ  
من الموت إلى دخول الجنة، كالأنس بالموت وعدم الفزع وصحبة الملائكة، وكأن  
لا تمسه النار ودخوله الجنة بغير حساب وشفاعته لغيره، وهي التي جمعها المجلس  
في بخاره في فصل سماه (الحصول التي توجب التخلص من شدائ드 القيمة  
وأهواها)<sup>(٩٠)</sup>.

- حكم: من أغراض الشارع الواضحة من هذه الأخبار الحث الأكيد على  
قراءة القرآن وتدرسه، وكل غرض يناسبه مثيله من الجزاء والجزاء، وتكتُر  
الأخبار في فضائل السور وجوائزها الدنيوية والأخروية التي تفوق كثيراً من  
المستحبات قد يستفاد منه الحكم بحرمة التهاون في قراءته وعلى القادرین حرمة  
التهاون في تدرسه بما يحفظ حقه وعزه، وهو من الوجوب برمى حجر.

- دفع توهّم: ليس كل من قرأ أعطى، فإن المعنى -من ثواب القراءة-  
منصرف لمن يأتي بحق القراءة فتصح عقيدته أولاً ويؤمن شروطها وكماها ثانياً،  
ومنها التوحيد والولائية للمصطفى وآلـه عليهم الصلاة السلام، إذ لا يستقيم أن  
يختص قوماً يقرؤون الكتاب بقوله «كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه» ثم يطلق  
الأجر للكل قارئ، كلام، بل الثواب في أخبار القراءة مخصوص بنـ ذكرناهم من

شيعة علي عليه السلام، وأما الغافلين والمستضعفين فلا يتصور شمول الشواب المبين لهم مع قصور عقيدتهم ولو من غير تقصير منهم - الذي لا يتأتى معه قضاء حق التلاوة، وبيان أمرهم موكول لأخبار مختصة بهم.

- إرشاد: من فقه هذه الأخبار الشريفة وأمثالها - بعد الفراغ عن دلالتها على الاستحباب - أنه ينبغي الاسترشاد بها في انتظام المؤمن في قراءة السور، مرتبًا إليها ليلاً ونهاراً، أسبوعاً وشهراً، فريضةً ونافلةً، بحسب مواردتها المنصوصة. والحمد لله رب العالمين وصلاته على نبيه الأمين وأهل بيته الميمين الظاهرين.

### المواهش:

- (١) انظر موقع مدونتنا (مدونة تحقیقات): [WWW.TAHKEKAT.COM](http://WWW.TAHKEKAT.COM) للحصول على نسخة من التحقيق الكامل، وأما ما نشر سابقاً في رسالة القلم فهو موجز له، وفي التحقيق الأخير زيادات كثيرة وتنظر في أمور ذكرناها وأخرى جديدة.
- (٢) ترقیم الأحادیث منا.
- (٣) الترقیم منا.
- (٤) المراد آية فاتحة الكتاب.
- (٥) احتسابها من السور المکیة اشتباہ ظاهر، جعل عدد السور ستاً وثمانين، مع أن السور المکیة خمس وثمانون، وبعدها صرح آخر حصرها.
- (٦) هكذا في المخطوط.
- (٧) وهو مخالف لما عدناه، إذ هي ست وثمانون سورة، فالاشتباه من الرواوى أو المروي عنه أو غيرهما كالناسخ.
- (٨) عدّها من السور المدنية فيه تأمل.
- (٩) سبق وأن عدّها ضمن السور المکیة تحت رقم .٢٣
- (١٠) في الكشي: ٥٥٢ (في ما روى في الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني): (محمد بن مسعود قال سألت علي بن الحسن بن فضال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني؟ فقال: كذاب

ملعون رویت عنه أحادیث كثیرة وکتبت عنه تفسیر القرآن کله من أوله إلى آخره إلا أنی لا  
أستحل أن أروي عنه حديثا واحدا.

وحكى لي أبو الحسن حمدویه بن نصیر عن بعض أشیاخيه أنه قال: الحسن بن علي بن أبي  
حمزة رجل سوء).

(١١) النجاشی: ٢٨ / رقم ٤٩.

(١٢) النجاشی: ٤١٤ / رقم ٦٢٩.

(١٣) الفهرست: ٤١٢ / رقم ٦٢٥.

(١٤) الكشي: ٥٤٦-٥٤٥: في أبي سمينة محمد بن علي الصيرفي.

(١٥) ثواب الأعمال: ١٠٤.

(١٦) مهج الدعوات: ٣١٦

(١٧) العياشي ١: ١٩.

(١٨) في المخطوط: العلي، وال الصحيح العلاء.

(١٩) ثواب الأعمال: ١٠٤.

(٢٠) في المخطوط: (الحسين)، وال الصحيح (الحسن).

(٢١) في المخطوط: العباس.

(٢٢) في المخطوط: حبس.

(٢٣) جاء بعدها جملة (دخل في قبره)، وليس لها محل مناسب.

(٢٤) ثواب الأعمال: ١٠٥.

(٢٥) ثواب الأعمال: ١٠٥.

(٢٦) تفسير العياشي ١: ٢٨٨.

(٢٧) الهدایة الكبرى: ٤٣.

(٢٨) ثواب الأعمال: ١٠٥.

(٢٩) النجاشی: ١٥ / رقم ١٥.

(٣٠) في المخطوط: حسين، والصواب حسن.

(٣١) هكذا في المخطوط، ولعله من سهو الناسخ وأنها بالتأنيث (وهي).

(٣٢) في المخطوط: لدوي، الصحيح ما أثبتناه.



- (٣٣) في المخطوط: (نفع)، وهي خطأ في النسخ.
- (٣٤) في المخطوط: (المعرى)، وهو تصحيف، وال الصحيح في النظر: (أبي المغرا)، حميد بن المثنى العجلي الكوفي الثقة، الذي يروي عن أبي بصير، ويوري عنه الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني كثيرا.
- (٣٥) كلمة غير مفهومة، ولعله زحف غير مقصود.
- (٣٦) البلد الأمين: ١٥٦.
- (٣٧) هكذا في المخطوط.
- (٣٨) هكذا غير منصوبة في المخطوط.
- (٣٩) ثواب الأعمال: ١٠٥.
- (٤٠) تفسير العياشي ٢: ٢.
- (٤١) هكذا في المخطوط.
- (٤٢) هنا كلمة غير واضحة، وأظن أنها بالصورة التي أثبتناها.
- (٤٣) الظاهر أنها (حتى)، مقارنة برواية ابن طاووس.
- (٤٤) تفسير العياشي ٢: ٤٦ في سورة الأنفال، وكذلك في ٢: ٧٣ أول سورة براءة.
- (٤٥) جوامع الجامع ٢: ٣.
- (٤٦) ثواب الأعمال: ١٠٦.
- (٤٧) الدروع الواقية: ٧٠.
- (٤٨) الغرابة أعم من غرابة المضامين، ونعم غرابة السند لجهة انفراده وندرته، وزيادة ألفاظ حديثه أو أخباره مع عدم اشتهرارها، كما هو الحال في هذه الروايات التي نعرضها لك.
- (٤٩) سعد السعود: ١٢٠.
- (٥٠) ثواب الأعمال: ١٠٦.
- (٥١) الدروع الواقية: ٧١.
- (٥٢) هكذا خالية عن الضمير.
- (٥٣) هكذا في المخطوط، ولعله تصحيف (غير أنه).
- (٥٤) ثواب الأعمال: ١٠٦.
- (٥٥) زيادة تلفيقية من الحق للتفسير.

- (٥٦) تفسير العياشي ٢: ١٦٦.
- (٥٧) هنا سقط في المخطوط لا بد من إقامه من تفسير العياشي أو غيره من المصادر التي نقلنا عنها.
- (٥٨) ثواب الأعمال ١٠٦.
- (٥٩) العياشي ٢: ٢٠٢.
- (٦٠) مجمع البيان ٦: ٥.
- (٦١) في المخطوط: (الحسين)، وال الصحيح الحسن.
- (٦٢) في المخطوط: (المعرى)، وال الصحيح ما أثبناه قطعا.
- (٦٣) ثواب الأعمال: ١٠٧.
- (٦٤) تفسير العياشي ٢: ٢٢٢.
- (٦٥) مصباح المتهجد: ٣١٩.
- (٦٦) في المخطوط: (الحسين)، وال الصحيح ما أثبناه.
- (٦٧) ثواب الأعمال: ١٠٧.
- (٦٨) تفسير العياشي ٢: ٢٥٤.
- (٦٩) هكذا في المخطوط، ولا بد من تقدير (أدخله الله)، لعدم عود الضمير على مذكور بدونها، وي يكن أن يقال أنه عائد على لفظ الجلالة المذكور في الروايات السابقة.
- (٧٠) في المخطوط: (كان)، وال التصحیح منقویا للمعنی.
- (٧١) هكذا في المخطوط منصوبة.
- (٧٢) ثواب الأعمال: ١١٠.
- (٧٣) ثواب الأعمال: ١١٢.
- (٧٤) وسائل الشيعة ٧: ٤١٢.
- (٧٥) بحار الأنوار ٨٩: ٢٩٦.
- (٧٦) في المخطوط: (نبيا)، وال التصحیح منا.
- (٧٧) ثواب الأعمال: ١١٢.
- (٧٨) كلمة غير واضحة في المخطوط، والظاهر بقرینة بعض الأخبار كونها (غير انه).
- (٧٩) ثواب الأعمال: ١١٢.

(٨٠) في المخطوط: (العرى)، وتقدم أنه اشتباه، وال الصحيح (الغراء) بالهمز كما عليه المشهور أو (الغرا) بالمد.

. ١١٤) ثواب الأعمال:

(٨٢) هكذا في المخطوط، ولعله خطأ من النسخ، وال الصحيح: (وآل إبراهيم).

(٨٣) ليست بواضحة و خالية عن التنقيط في المخطوط، وما أثبتناه استظهاراً منا.

(٨٤) في المخطوط: (نلت)، وفي ثواب الأعمال: (ليلة).

(٨٥) في المخطوط: (واطمأنت)، وال الصحيح ما أثبتتها؛ لشيوع التعبير وجوده في الأخبار.

(٨٦) كلمة غير مفهومة صورتها: (اقتبت) بإهمال التاء، والأوفق أنها (أسلت).

(٨٧) هكذا في المخطوط، وال الصحيح: تفضلاً مني.

. ٨٨) محورة من المخطوط.

. ١١٣) ثواب الأعمال:

. ٢٩٠) البحار ٧:





# ملامح الإبداع في التجربة التفسيرية للشهيد الصدر

(قدس سره)

## صادق سليمان المبارك

### مدخل

قدم السيد الشهيد الصدر تجربة جديدة في التفسير تتميز بخصائص فريدة من نوعها. في هذه التجربة طرح الشهيد الصدر مجموعة من الأفكار تكشف عن عقلية جباره وعن إبداع متميّز وفريد. ولا يبالغ إذا قلنا بأن السيد الشهيد من خلال تفسيره الموضوعي لامس كثير من الأسئلة الجديدة والإشارات المعاصرة المطروحة على الساحة، في الوقت نفسه عرض السيد الشهيد مجموعة من الأفكار التي لا تتفق مع ما هو موجود في التجارب التفسيرية الأخرى، ومن هذا المنطلق سنحاول عرض أفكار

السيد الشهيد في التجربة التفسيرية له، وملامحها العامة، ووجه الإبداع فيها، وكيفية ملامستها للتساؤلات المعاصرة المطروحة على الساحة، مع طرح بعض الإشكالات حول هذه التجربة ومحاولة الإجابة عنها.

طرح السيد الشهيد الصدر مفهوماً خاصاً له عن التفسير مغايراً لما هو سائد من مفهوم التفسير وهو ما سماه بـ تفسير المعنى، بخلاف التفسير السائد الذي يقصد منه إجلاء اللفظ لا المعنى، ولكي نعرف ما الفرق بين تفسير المعنى واللفظ نعرف كلاً منها:

تفسير اللفظ: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مدليلها لغة، وتفسير المعنى: هو تحديد مصداقه الخارجي الذي ينطبق عليه ذلك المعنى<sup>(١)</sup>. فحين نسمع شخصاً يقول: إن دول الاستكبار الكافر تملك أسلحة ضخمة، تارة نتساءل: ما هو معنى الأسلحة؟ ونجيب عن السؤال: إن الأسلحة هي الأشياء التي يستعين بها صاحبها في قهر عدوه، وأخرى نتساءل ما هي نوعية السلاح الذي تملكه تلك الدول؟ ونجيب: إن سلاحها القنابل الذرية. ففي المرة الأولى فسّرنا اللفظ إذ ذكرنا معناه لغة، وفي المرة الثانية فسّرنا المعنى إذ حددنا المصدق الذي ينطبق عليه معنى الجملة ويشير إليه، فتسمى المرحلة الأولى بمرحلة تفسير اللفظ أو التفسير اللغوي وهي مرحلة تحديد المفاهيم، والمرحلة الثانية: مرحلة تفسير المعنى وهي مرحلة تجسيد المفاهيم في صور معينة محددة<sup>(٢)</sup>.

والمرحلة الثانية وهي التي سماها السيد الشهيد الصدر تفسير المعنى - وهي مرحلة تحديد المصدق الخارجي - هي الدائرة الأهم التي يشتغل عليها السيد الشهيد في تفسيره الموضوعي، فلم يقتصر جهد السيد الشهيد في تفسيره الموضوعي ببيان معنى اللفظ، بل حاول من خلال تجربته التفسيرية تحديد ما يؤول إليه المعنى أو المصدق الخارجي الذي ينطبق عليه، وهذا المعنى من التفسير

هو ما يطلق عليه (التأويل) في الاصطلاح القرآني والروائي؛ فعن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا وها ظهر وبطن... ما يعني بقوله ها ظهر وبطن، قال: «ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد يجري كما يجري الشمس والقمر كلما جاء منه شيء وقع»، قال الله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} نحن نعلمه<sup>(٣)</sup>. والذي يستظهر من الرواية أن التأويل هو بطن القرآن، واستخدام التأويل هنا يعني اسم المفعول لا المصدر، وهذا البطن منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد -بناء على إرجاع الضمير في (منه) على البطن- وهذا يدل بوضوح أن البطن متجدد يجري مجرى الشمس والقمر وهذا لا يتنااسب مع حمل البطن على مدلول اللفظ؛ لأن مدلول اللفظ بحسب نظام اللغة وقواعدها ثابت غير متجدد، محدود لا غير متناه.

يقول السيد الشهيد: "المسألة هنا ليست مسألة تقسيم لفظ فإن طاقات التقسيم اللغوي ليست طاقات لا متناهية، بينما القرآن الكريم دلت الروايات على أنه لا ينفد، وصرح القرآن الكريم بأن كلمات الله لا تنفد، القرآن الكريم عطاء لا ينفد بينما التقسيم اللغوي ينفد لأن اللغة لها طاقات محدودة، وليس هناك تجدد في المدلول اللغوي، ولو وجد لغة أخرى بعد القرآن لا معنى لأن يفهم القرآن من خلال لغة جديدة أو مصطلحات جديدة أو ألفاظ تحمل مدلولات وضعية استهدفت بعد القرآن"<sup>(٤)</sup>.

ولكن ما هي الآلية التي استخدمها السيد الشهيد في الوصول إلى تفسير المعنى؟ طرح السيد الشهيد الصدر مفهوم التفسير الموضوعي كأداة وآلية نتوصل بها إلى تفسير معاني القرآن اللامتناهية وعلى هذا سنحاول أن نتعرف على مفهوم التفسير الموضوعي من خلال كلمات السيد الشهيد نفسه.



## تجربة التفسير الموضوعي (التوحيدي) عند الشهيد الصدر

التفسير الموضوعي: هذا الاتجاه لا يتناول تفسير القرآن آية فـآية بالطريقة التي يمارسها التفسير التجزئي، بل يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية... ويستهدف التفسير التوحيدي الموضوعي من القيام بهذه الدراسات تحديد موقف نظري للقرآن الكريم وبالتالي للرسالة الإسلامية من ذلك الموضوع من موضوعات الحياة أو الكون<sup>(٥)</sup>.

وي يكن لنا أن نبرز ملامح هذا الاتجاه في التفسير ووجه الاختلاف بينه وبين الاتجاه التجزئي في أمرين اثنين:

- ١- المفسّر التجزئي دوره في التفسير على الأغلب سلبي فهو يبدأ أولاً بتناول النص القرآني المحدّ آية مثلاً، أو مقطعاً قرآنياً دون أي افتراضات أو أطروحات مسبقة، ويحاول أن يحدد المدلول القرآني على ضوء ما يسعفه به اللفظ مع ما يتاح له من القرائن المتصلة والمنفصلة، العملية في طابعها العام، عملية تفسير نص معين وكأنَّ دور النص فيها دور المتحدث ودور المفسّر هو الإصغاء والتّفهُم وهذا ما نسميه بالدور السلبي.... وخلافاً لذلك المفسّر التوحيدي والموضوعي فإنه لا يبدأ عمله من النص بل من واقع الحياة، يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني حول ذلك الموضوع من مشاكل وما قدّمه الفكر الإنساني من حلول، وما طرّحه التطبيق التاريخي من أسئلة، ومن نقاط فراغ ثم يأخذ النص القرآني، لا ليتّخذ من نفسه بالنسبة إلى النص دور المستمع والمسجل فحسب، بل ليطرح بين يدي النص موضوعاً جاهزاً مشرباً بعده كبير من الأفكار والمواقف البشرية ويبدأ مع النص القرآني حواراً، سؤالاً وجواباً، المفسّر يسأل،

والقرآن يجيب، المفسّر على ضوء الحصيلة التي استطاع أن يجمعها من خلال التجارب البشرية الناقصة من خلال أعمال الخطأ والصواب التي مارسها المفكرون على الأرض لا بد وأن يكون قد جمع حصيلة ترتبط بذلك الموضوع، ثم ينفصل عن هذه الحصيلة ليأتي ويجلس بين يدي القرآن الكريم، لا يجلس ساكتاً ليستمع فقط بل يجلس محاوراً، يجلس سائلاً ومستفهماً ومتذمراً، فيبدأ مع النص القرآني حواراً حول هذا الموضوع، وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح والنظرية التي بإمكانه أن يستلهمها من النص، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من أفكار واتجاهات. ومن هنا كانت نتائج التفسير الموضوعي نتائج مرتبطة دائماً بتيار التجربة البشرية؛ لأنها تمثل المعلم والاتجاهات القرآنية لتحديد النظرية الإسلامية بشأن موضوع من مواضيع الحياة<sup>(٦)</sup>.

فهنا يلتّحم القرآن مع الواقع، يلتّحم القرآن مع الحياة؛ لأنَّ التفسير يبدأ من الواقع وينتهي إلى القرآن، لا أنه يبدأ من القرآن وينتهي بالقرآن فتكون عملية منعزلة عن الواقع، منفصلة عن تراث التجربة البشرية، بل هذه العملية تبدأ من الواقع وتنتهي بالقرآن بوصفه القيم والمصدر الذي يحدد على ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلى ذلك الواقع<sup>(٧)</sup>.

٢- إن التفسير الموضوعي يتتجاوز التفسير التجزيئي خطوة؛ لأنَّ التفسير التجزيئي يكتفي بإبراز المدلولات التفصيلية للآيات القرآنية الكريمة، بينما التفسير الموضوعي يطمح إلى أكثر من ذلك، يتطلع إلى ما هو أوسع من ذلك، يحاول أن يستحصل أوجه الارتباط بين هذه المدلولات التفصيلية يحاول أن يصل إلى مركب نظري قرآني، وهذا المركب النظري القرآني يحتل في إطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب، وهذا ما نسميه بلغة اليوم بالنظرية،

يصل إلى نظرية قرآنية عن النبوة، نظرية قرآنية عن المذهب الاقتصادي، نظرية قرآنية عن سنن التاريخ، وهكذا عن السماوات والأرض، فهنا التفسير الموضوعي يتقدم خطوة على التفسير التجزئي بقصد الحصول على هذا المركب النظري الذي لا بد أن يكون معبراً عن موقف قرآنی تجاه موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية. هذان فارقان رئيسيان بين التفسير والاتجاه التجزئي في التفسير، ونحن ذكرنا بأن البحث الفقهي اتجه اتجاههاً موضوعياً بينما التفسير لم يتجه على الأكثر اتجاههاً موضوعياً بل كان اتجاههاً تجزئياً.

وي يكن أن نخلص إلى أن "اصطلاح الموضوعية هنا على ضوء الأمر الأول، بمعنى أنه يبدأ من الموضوع، من الواقع الخارجي، من الشيء الخارجي ويعود إلى القرآن الكريم، ويعبر عن التفسير بأنه موضوعي على ضوء الأمر الأول باعتبار أنه يبدأ من الموضوع الخارجي وينتهي إلى القرآن الكريم. وتوحيد ي باعتبار أنه يوحد بين التجربة البشرية وبين القرآن الكريم لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن، ولا بمعنى أنه يُخضع القرآن للتجربة البشرية، بل بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق بحث واحد، لكي يستخرج نتيجة هذا السياق الموحد من البحث، يستخرج المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقوله الفكرية التي أدخلها في سياق بحثه"<sup>(٨)</sup>.

وي يكن أن نخلص إلى أن اصطلاح الموضوعية والتوحيدية على ضوء الأمر الثاني " باعتبار أنه يختار مجموعة من الآيات تشتراك في موضوع واحد. وهو توحيد ي باعتبار أنه يوحد بين هذه الآيات، يوحد بين مدلولات هذه الآيات ضمن مركب نظري واحد، إذن اصطلاح الموضوعية واصطلاح التوحيدية في التفسير ينسجم مع كل من هذين الفارقين بما بيناه"<sup>(٩)</sup>.

## ملاحظات حول أطروحة التفسير الموضوعي لدى الشهيد الصدر:

طرح السيد الشهيد مفهوم الرجوع إلى الخارج قبل الولوج في التفسير وهذا الطرح قد يراه البعض مناف لما يصرح به القرآن من أنه مصدر الهداية؛ فإنْ كان المفسّر يستعين بالتجربة الإنسانية هداية البشر فهذا يعني أن القرآن لوحده غير كاف للهداية، بل لا بد من الاستعانة بشيء آخر وهي التجربة الإنسانية -مظهر من مظاهر العقل- ومن هنا كان هذا الأسلوب المقترن من السيد الشهيد الصدر محل تساؤل.

علق العلامة الطباطبائي على هذا المنهج بقوله: "فرق بين أن يقول الباحث عن معنى آية من الآيات: ماذا يقول القرآن؟ أو يقول: ماذا يجب أن نحمل عليه الآية؟ فإن القول الأول يوجب أن ينسى كل أمر نظري عند البحث، وإن يتکئ على ما ليس بنظري، والثاني يوجب وضع النظريات في المسألة وتسليمها وبناء البحث عليها، ومن المعلوم أن هذا النحو من البحث في الكلام ليس بحثاً عن معناه في نفسه"<sup>(١٠)</sup> وعلق على من يفسر القرآن وهو محمل بالأفكار الفلسفية والعلمية وغيرها "لأنه وعلق على من يفسر القرآن وهو محمل بالأفكار الفلسفية والعلمية وغيرها" وذلك (كما أؤمننا إليه في أوائل الكلام) أن يكون القرآن الذي يعرف نفسه (بأنه هدى للعالمين ونور مبين وتبيان لكل شيء) مهدياً إليه بغيره ومستثيراً بغيره وبانياً بغيره، فما هذا الغير! وما شأنه! وبماذا يهدي إليه! وما هو المرجع والمراجعاً إذا اختلف فيه! وقد اختلف واشتد الخلاف<sup>(١١)</sup>. ومن ثم ذكر المناهج في تفسير القرآن فقال: "وذلك على أحد وجهين، أحدهما: أن نبحث بحثاً علمياً أو فلسفياً أو غير ذلك عن مسألة من المسائل التي تتعرض له الآية حتى نقف على الحق في المسألة، ثم نأتي بالآية ونحملها عليه، وهذه طريقة يرتضيها البحث النظري، غير أن القرآن لا يرتضيها كما عرفت، وثانيهما: أن نفسّر القرآن بالقرآن ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المتذوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصادر ونறّعها بالخواص التي تعطيها

الآيات، كما قال تعالى: (إنا نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء الآية). وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه، وقال تعالى: (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان الآية). وقال تعالى: (إنا أنزلنا إليكم نوراً مبيناً الآية). وكيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقاناً ونوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون ولا يكفيهم في احتياجهم إليه وهو أشد الاحتياج! وقال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الآية). وأي جهاد أعظم من بذل الجهد في فهم كتابه! وأي سبيل أهدي إليه من القرآن<sup>(١٢)</sup>.

وكلماته إن لم تكن صريحة في المطلوب فلا أقل من ظهورها في ذلك وإن أمكن المناقشة في بعض الجوانب.

وي يكن أن يلاحظ على هذا الكلام بأن كون القرآن كتاب هداية بنفسه لا ينافي أن قبيليات المفسر تؤثر في فهمه إلى النص، فالكل يتفق تقريباً بأن الآيات التي أشارت إلى بعض الموضوعات الطبيعية التي اكتشفت مؤخراً لم تكن لفهم إلا من خلال النتائج العلمية الحديثة، لكن هذا لم يصيّر هذه الاكتشافات شريكاً للهداية بنظر المفسرين، ولم نر أحداً يقول بأن القرآن غير كاف وحده للهداية لأنّه يحتاج إلى العقل الفطري أو البديهي كما صرّح العلامة نفسه، ولم يقل أحدٌ بأن احتياج فهم القرآن لعلوم العربية من معجم وبلاعنة وصرف وغيرها يصيّر هذه العلوم شريكاً للقرآن في الهداية. فلم يتبدّل في ذهن أي أحد بأن هذه العلوم صارت شريكاً مع القرآن في الهداية لكون المفسر احتاجها لتفسير وفهم الآيات!!.

ثانياً: تؤكد الدراسات العلمية في مجال الألسنيات وعلم النفس المعرفي أن المفسر لا يمكن أن يتخلص من قبيلاته المعرفية والنفسية في قراءته للواقع الذي جزء منه هو النص، فلا يمكن للمفسر أن يعزل تجربته النفسية والاجتماعية والمعرفية والخبرات الانفعالية والنزوات العاطفية التي مر بها على مدى فترة

حياته عن فهمه للنص أو لأي رمز أو دال آخر لا أقل على مستوى اللاشعور، وينبغي هنا التأكيد بأن هذا لا يعني بأن النص يفقد دوره كدال أو يكون فارغ المعنى إلا مما يحمله المفسّر على النص كما هي بعض نظريات الهرمنيوطيقا، فالنص لا يعطيك إلا ما بداخلك. هذا غير مقبول لكن ما نريد أن نؤكّد عليه بأن الخبرات المعرفية والنفسية وغيرها للمفسّر تؤثر على فهمه للنص ولا يمكن عزّها عزلاً تماماً. وهذا بنحو من الأنحاء يلتقي مع نظرية العرفاء من أن صفاء النفس ينعكس على فهم القرآن ويصير قلب الإنسان محلاً لتجلي المعارف القرآنية، وهذا الكلام في حقيقته توضيح لأثر التجربة الروحية للإنسان على فهمه للنص.

وهناك نقطة مهمة أخرى لا وهي أن تفسير السيد الشهيد قدّم تفسير للمعنى (تأويل)، ومن الواضح أن معرفة المصادر وتحديدها لا يمكن إلا من خلال دراسة الواقع الخارجي. وهذا ما يشير إليه المنسوب إلى ابن عباس أن (القرآن يفسره الزمان)؛ فللقرآن أبعاد أخرى تنجمي بمرور الزمان وتعاقب التجارب البشرية ونمو الكفاءات الفكرية. أضعف إلى ذلك أن (القرآن يفسر بعضه ببعض)، وهذا لا يتنافي مع كونه نوراً وكلاماً مبيناً، لأنه كل لا يتجزأ، وجميع لا تفرد، يشكل بمجموعه النور والكلام المبين<sup>(١٣)</sup>.

#### ملاحظات حول مبررات التفسير الموضوعي لدى السيد الشهيد:

**رأي الشهيد الحكيم**: سجّل الشهيد السيد محمد باقر الحكيم بعض الملاحظات على المبررات التي ساقها السيد الشهيد قدّم لتفضيل المنهج الموضوعي على التجزئي. فعلق على المبرر الأول وهو كون المفسر في التفسير الموضوعي ينطلق من الواقع الخارجي لكي يصل إلى القرآن:

”أما المرجح الأول: فإننا لا يمكن أن نعتبر خصوصية ملاحظة الواقع الموضوعي

القائم والإثارات التي يشيرها هذا الواقع وتساؤلاته ومحاولة الحصول على الإجابة والمعالجة لهذا الواقع من خلال القرآن، لا يمكننا أن نعتبر هذه الخصوصية ميزة ومرجع لمنهج التفسير الموضوعي على المنهج التجزئي، وذلك لأن هذا المرجع موجود في منهج التفسير التجزئي أيضاً. وبمراجعة كتب التفسير لمختلف العصور، تجد أن هذه المعالجة للواقع الموضوعي الخارجي في التفسير قائمة وموجودة غاية ما في الأمر أن مستوى هذه المعالجة قد يختلف باختلاف المفسر والإثارات التي يشيرها الواقع الموضوعي. فعندما وقع الاختلاف والصراع في تفسير العقيدة الإسلامية بين (المعتزلة) و(الأشاعرة) وهو صراع قائم في الواقع الموضوعي لذلك المصر، فإن ذلك الصراع قد انعكس على كتب التفسير في زمانه، وكان المسلمون والباحثون يرجعون إلى القرآن الكريم للحصول على أجوبة للمسائل والمشاكل التي تفترضهم.

ومن الواضح أن المنهج الذي كانوا يبتلونه آنذاك كان هو (المنهج التجزئي) إذ كانوا يأخذون من القرآن الكريم مقطعاً ويحاولون في كل مقطع منه أن يجيبوا عن التساؤلات المرتبطة به، أو يحلوا المشكلات التي يعيشها الواقع الموضوعي في ضوء ما يقرره ذلك المقطع... وعلى هذا، فإننا نرى أن هذا المرجع أمر مشترك ومميزة مشتركة يمكن أن تتعكس على كلا المنهجين. ولا ينبغي للفظة (الموضوع) هنا أن تحدد ارتباط مسألة التفاعل مع الواقع الخارج ومحاولة الإجابة عن التساؤلات والإثارات التي يطرحها هذا الواقع من خلال القرآن، بمنهج التفسير (الموضوعي) وحده دون التفسير التجزئي<sup>(١٤)</sup>.

لكن يمكن أن يلاحظ على هذا الكلام:

أولاً: كون المفسّر ينطلق من الخارج ليتحول بعد ذلك إلى القرآن هذا بنفسه كافٍ في صدق عنوان الموضوعي عليه بالنحو الأول، فعلة تسميته بالموضوعي هو انطلاقه من الموضوع الخارجي، فإن صدق هذا العنوان على المنهج المتبّع في تفسير الآيات على النحو التجزئي كان ذاك تفسيراً موضوعياً بهذا النحو؛ فالعلاقة بين

التفسير الموضوعي والتفسير التجزئي ليست علاقة التباين لكي يقال ما يصدق عليه التجزئي لا يصدق عليه الموضوعي بل التفسير الموضوعي يلتقي مع التفسير التجزئي، لكنه يتقدمه خطوة كما أشار السيد الشهيد الصدر قىش، أضف إلى ذلك أن الشهيد الصدر قىش قد صرخ بأن لا تباين حدى بين التجربتين حيث قال: "وينبغي أن يكون واضحًا أن الفصل بين الاتجاهين المذكورين ليس حدياً على مستوى الواقع العملي والممارسة التاريخية لعملية التفسير... ولكن الاتجاهين على أي حال يظلان على الرغم من ذلك مختلفين في ملامحهما وأهدافهما وحصيلتهما الفكرية" (١٥).

ثانياً: إن الانطلاق من الموضوع الخارجي لا كما صوره قىش من أن المفسّر يعيش مشكلات عصره وتساؤلاته لكي يعرضها بعد ذلك على القرآن، فهذا في حقيقته هو الدور السلبي الذي أشار إليه السيد الشهيد الصدر قىش وإن لم تكن سلبيته مطلقة، بل المقصود منه أن المفسّر يتسبّب بالآراء والإشكالات والتساؤلات والنظريات المطروحة والتصورات والتصديقات التي توصل إليها الذهن البشري لكي يعرضها على القرآن فالفرق بين الأول والثاني أن الأول يذهب إلى القرآن خالي الذهن إلا من الأسئلة والمشكلات الموجودة في عصره، بينما الثاني يكون ذهنه مشبع بالتصورات والتصديقات والأفكار والاتجاهات، فيعرضها على القرآن ليرى ماذا يقول القرآن في هذه البضاعة. طبعاً هذا لا يعني أن المفسّر يفرض تصوراته وتصديقاته على القرآن، بل هو يطلب من القرآن رأيه في هذه الأفكار ويكون هنا دور التجربة البشرية متفاعلاً مع القرآن بنحو من أنحاء العلاقة الجدلية، فالتجربة البشرية تقدّم المفسّر بأدوات لقراءة القرآن، والقرآن يمد التجربة البشرية بتصورات، وتصحيحات لمسارها.

ثالثاً: كلامه قىش من أن المنهج المتبّع من قبل بعض المفسّرين التجزئيين هو

الانطلاق من الموضوع الخارجي للوصول بعد ذلك للقرآن وضرب مثال لذلك صاحب النار والميزان ومن ظلال القرآن<sup>(١٦)</sup>، هذا الكلام ينافيه تصريح بعضهم كصاحب الميزان قىٰئش وقد نقلنا كلامه سابقاً.

فيما يخص حالة العمق والسطحية في المنهجين:

"فقد ذكر السيد الشهيد الصدر<sup>ق</sup>: أن التفسير التجزيئي تقسير لفظي سطحي نسبياً، بينما التفسير الموضوعي تقسير عميق وتقسير للمعنى يتم من خلاله تعرف مصاديق المفاهيم وتطبيقاتها الخارجية، الواقع: أن هذا الأمر غير واضح، إذ يمكن أن يكون كلا التفسيرين عميقين، ولا داعي لافتراض افتصار التفسير التجزيئي على المعنى اللغوي السطحي واستخلاص المفهوم للأية القرآنية أو المقطع القرآني وحده، وإنما يمكن التعمق والتعرف على كل م DETAILS تلك الآية حتى المرتبط منها بالمصاديق والتجسيدات الخارجية. ولذا لا يمكن أن تكون هذه الملاحظة -حسب رأينا- ميزة التفسير الموضوعي على التفسير التجزيئي"<sup>(١٧)</sup>.

وقد يلاحظ على هذا الكلام بأن التفسير التجزيئي إن كان يهدف فقط لتفسير آية دون التوصل إلى النظرية القرآنية، دون الاستعانة بالتجربة البشرية فلا شك بأن هذا التفسير سيكون تفسيراً لفظياً لا محالة، وإن كان يهدف إلى التوصل إلى نظرية قرآنية بالاستعانة بالتجربة البشرية فهو عينه التفسير الموضوعي. وأما الوصول إلى المصاديق الخارجية من خلال تفسير الآيات المنتشرة من دون التوصل إلى جامع ومركب نظري يجمع هذا الشتات متذرع لما ذكره السيد الشهيد من أن المفسر في هذا العصر لا يعيش الارتكاز الذي كان يعيشه المسلمون عصر صدور النص والذي يكنته من فهم النص وتطبيقاته.

#### التجربة التفسيرية للشهيد الصدر والإثارات المعاصرة

طرحت في الآونة الأخيرة مجموعة من التساؤلات والإشكاليات تجاه الفكر

والعطاء الديني الإسلامي، وهذه التساؤلات والإشكاليات نتيجة مشاكل متنوعة واجهت الفكر الديني، وأعاقت حركته نحو الإبداع والإنتاج. وهذه المشاكل ليست وليدة الساعة بل هي عبارة عن تراكم تاريخي مرت بها الأمة الإسلامية في سياق نشوئها التاريخي. وما يهمنا فعلاً هنا هو كيف عالجت أو لامست تجربة السيد الشهيد الصدر هذه التساؤلات والإشكاليات؟

الإشكاليات المعاصرة كثيرة والأسئلة متعددة ومتنوعة لكن سنحاول هنا عرضها بسيطاً إلى بعض النماذج من هذه التساؤلات والإشكاليات:

**١- السلفية (التفكير السلفي)**<sup>(١٨)</sup>: نقصد بالتفكير السلفي هو التفكير الذي يعيش زماناً غير زمانه، يعيش الماضي، ولكن بلباس الحاضر فهو دائم الاجترار لموضوعات الماضي، لمشاكل الماضي وقضاياها، لكي ينطلق منها لمعالجة قضايا الحاضر ومشاكله. والاجترار هذا لا يقتصر على المادة والموضوع بل يتجاوزه إلى المنهج والأسلوب؛ فهو يحاول معالجة مشاكله الحاضرة عن طريق تراثي اتبّعه السلف في التعاطي مع الموضوعات المختلفة التي عايشوها وقضاياها التي واجهوها.

يقول شحرور: "السلفية كما نفهمها هي دعوة إلى اتباع خطى السلف بغض النظر عن مفهوم الزمان والمكان، أي أن هناك فترة تاريخية مزدهرة مرت على العرب استطاعوا فيها أن يحلوا مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، استطاعوا أن يبنوا دولة قوية منيعة استطاعت تحقيق العدالة بمفهومها الأنسب التاريخي، وبالتالي هؤلاء السلف هم النموذج، ويجب علينا أن نتبع خطاهم ونقلدهم ولا نخرج عن نمطهم. فالسلفي إنسان مقلد، إضافة إلى أنه قد أهمل الزمان والمكان واغتال التاريخ وأسقط العقل"<sup>(١٩)</sup>. يشير شحرور هنا إلى الاجترار السلفي على مستوى المنهج والأسلوب في التعاطي مع الموضوعات وقضايا المعاصرة، فالتفكير السلفي يجعل من الماضي نموذجاً للاقتداء له في التعاطي مع قضايا الحاضر وحل

مشاكله.

ويكن الإطلالة على السلفية من جهة أخرى كما ذكرنا في البداية، وهي الاجترار على مستوى القضايا والمواضيعات حيث تعني "انغلاق العقل داخل دائرة أطروحات وقضايا تبلورت في وضع وحقيقة معينين، فأصبحت هي التي تحكم برأة العقل للواقع، وتنفعه من تحديد أدواته وطرائقه بالاحتراك مع التجربة المتغيرة واللحظة المباشرة، وتجعله لا يعيش الواقع إلا على مستوى القضايا والأفكار المصادقة سابقاً".<sup>(٢٠)</sup>

يصف الدكتور غليون هذه الحالة بأنها: "معاناة من الدرجة الثانية، أو من وراء حجاب (ويكون خطؤها في نظره) أنها تخضع الواقع إلى تحليل الأنظمة الشكلية والصورية للفكر، وتنتهي إلى قياس الواقع العملي على الواقع النظري".<sup>(٢١)</sup>

**٢- إشكالية الزمكان وثبات وحركة النص**<sup>(٢٢)</sup> : إن الحياة الإنسانية في تطور دائم وفو مستمر، وهذا يقتضي على الدوام تجدد الأفكار والقضايا والمشاكل والواقع وغيرها، فما دام الزمن في حركة فالإنسان ومشاكله و العلاقات الحبيطة به وقضاياها في تغير دائم ومستمر. كل هذا يفرض على الإنسان المسلم التعامل مع هذه الصيغ المتحركة بعقلية مرنّة تستوعب المستجدات والتطورات. ويعلم الجميع أن النص يمثل حالة ثابتة نسبياً وغير متغيرة، وهذا يثير تساؤلاً وهو كيفية استيعاب المتغيرات والمستجدات بهذا النص الثابت وما هي الصيغة المثلثى للجمع بين المستجدات والمتغيرات وبين ثبات النص. في الوقت الذي اعنى بهذه الإثارة مجموعة من طليعة الفقهاء المسلمين<sup>(٢٣)</sup>، لم يعن مجموعة من الفقهاء الإسلاميين بهذه المشكلة وإنما تجاوزوها وأغمضوا العين عنها وقد يكون ذلك لاعتقادهم بعدم وجود مشكلة.

يقول الدكتور الترابي: "إن الفقه (التقليدي)... مهمما تقنن حملته بالاستنتاجات

والاستخراجات، ومهما دققوا في الأنابيشه والمرجعات لن يكون كافياً لاحتاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها. ذلك أن قطاعات واسعة من الحياة قد نشأت من جراء التطور المادي، وهي تطرح قضايا جديدة تماماً في طبيعتها لم يتطرق إليها الفقه التقليدي، ولأن علاقات الحياة الاجتماعية وأوضاعها تبدلت تماماً، ولم تعد بعض صور الأحكام التي كانت تمثل الحق في معيار الدين منذ ألف عام تحقق مقتضى الدين اليوم ولا توافي المقاصد التي يتوخاها لأن الإمكانيات قد تبدلت وأسباب الحياة قد تطورت والنتائج التي تترتب عن إمضاء حكم معين بصورته السالفة قد انقلبت انقلاباً تماماً<sup>(٢٤)</sup>.

تعرفنا سريعاً على بعض التساؤلات والإشكاليات المعاصرة التي يواجهها الفكر الإسلامي والتفكير الديني. وسؤالنا هنا كيف عالجت التجربة التفسيرية للشهيد الصدر قبلاً هذه الإشكاليات؟ ليست مبالغة القول بأن التجربة التفسيرية للشهيد الصدر هي من التجارب القليلة التي أوجدت حلولاً معقوله هاتين الإشكاليتين، أو أنها لامت هاتين الإشكاليتين دون غيرها من التجارب التفسيرية.

بعدما تعرفنا على هذه التساؤلات والإشكاليات دعونا نتعرف على أنه كيف استطاعت تجربة السيد الشهيد الصدر أن توجد الحلول لهذه الإشكاليات والتساؤلات سابقة الذكر؟ أو لا أقل كيف لامت هذه النظرية هذه التساؤلات والإشكاليات؟

إن مشكلة الإنسان الذي يعيش التفكير السلفي أنه عندما يتوجه لدراسة النصوص الإسلامية يدرسها دراسة تجزئية لا موضوعية، فيظل حبيس حقبة زمانية معينة، حبيس النص، يظل في حلقة مفرغة على الدوام حيث يكون اهتمامه هو النص، فهو ينطلق من النص لكي يصل بالأخير إلى النص بحسب

تعبير السيد الشهيد. بينما الإنسان المسلم في القراءة الموضوعية والتوحيدية للقرآن أو للسنة أو للتاريخ يبدأ من الموضوع الخارجي، يبدأ من المشاكل المعاصرة من القضايا التي يعيشها إنسان اليوم، ويحاول أن يعرض هذه القضايا على القرآن على السنة على التاريخ الإسلامي، لكي يكون له موقف تجاه هذه القضايا المعاصرة، ولا يكتفي بالانطلاق من الموضوع الخارجي فقط، بل هو يحاول أن يعالج النصوص وأن يدرسها كجزء متكامل كوحدة موضوعية، كمفهوم متكامل عن القضايا والمشاكل المعاصرة، لكي يبدع مركباً نظرياً يتعدى ظواهر الأحكام التفصيلية إلى نظرية متكاملة عن قضايا العصر. في هذه الصورة يكون الإنسان المسلم في حالة من الإبداع الدائم في حالة من المعاصرة والمواكبة لمستجدات الحياة في حالة حركة دائمة تجاه المبادئ والقيم والمعارف، ويبقى القرآن في حالة قيمومة دائمة على الحياة في عطاء مستمر لا ينقطع أبداً: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنِفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَكَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا﴾<sup>(٢٥)</sup>.

وأما المشكلة الأخرى وهي كيفية استيعاب النص الثابت لمتغيرات الحياة ومستجداتها؛ فكيف يمكن للنص النازل على رسول الله ﷺ منذ ١٤٠٠ عام أن يعطي حلولاً لمشاكل الإنسان المعاصر؟ وكيف يمكن لهذا النص الذي يتكون من مجموعة من الكلمات المحدودة أن يحدد الموقف والحكم من وإلى قضايا غير متناهية وغير محددة؟!!

يجيبنا السيد الشهيد من خلال نظرته التفسيرية:

إن المعاني والمضامين في التفسير الموضوعي غير متناهية فالإنسان لا ينظر للفظ النص، إنما ينظر للموضوع الخارجي، للمستجدات، للواقع الحادثة لكي يعرضها على النص القرآني ليستخرج منه موقفاً تجاه هذه القضايا، وللوقوف على

حقيقة هذا المعنى، وكيف أن معاني القرآن غير متناهية مع أن المدلولات اللغوية من الأمور المتناهية نوضح الآتي.

إن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلاعاً ومحكماً ومتشاهاً كما صرحت بذلك الكثير من الروايات؛ فعن الفضيل بن يسار قال: سألت أبي جعفر عليه السلام عن هذه الرواية، ما في القرآن آية إلا لها ظهر وبطن وما فيه حرف إلا وله حد ولكل حد مطلع ما يعني بقوله لها ظهر وبطن، قال: «ظهره تزييه وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تأوילه إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) نحن نعلم»<sup>(٢٦)</sup>. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تنقضي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به»<sup>(٢٧)</sup>.

وهناك كثير من الروايات التي توضح بأن للقرآن ظاهراً وباطناً وتوضح أن في القرآن علم ما كان ويكون وأن عجائب القرآن لا تنقضي، مما يدل بوضوح على لا محدودية النص.

والذي يهمّنا من هذا هو أن نتعرف على معنى البطن والتأويل، ولو قعّنا قليلاً في الرواية السابقة المروية عن أبي جعفر عليه السلام لاتضح لنا معنى البطن والتأويل. وقد أشرنا سابقاً بأن تجربة السيد الشهيد التفسيرية هي عبارة عن ضرب من التأويل أو كما أسماه هو (تفسير المعنى).

اختلف العلماء في تحديد معنى التأويل؛ فمنهم من يرى أنه ينتمي إلى الحقل المعرفي (الابستمولوجي)، ومنهم من يرى أنه ينتمي للحقل الوجودي (الانطولوجي):

### أنصار الحقل المعرفي:

هذا المذهب ينضوي تحته عدة آراء، ونكتفي بذكر رأي واحد من هذا

المذهب، وهو رأي الشيخ محمد هادي معرفة حيث يقول في تعريفه التأويل بأنه "مفهوم عام، منتزع من فحوى الآية الواردة بشأن خاص، حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد. وقد عبر عنه بالبطن المنطوي عليه دلالة الآية في واقع المراد، في مقابلة الظاهر المدلول عليه بالوضع والاستعمال، حسب ظاهر الكلام قال رسول الله ﷺ : «ما في القرآن آية إلا ولها ظهر و بطن»<sup>(٢٨)</sup>.

### أنصار الحقل الوجودي:

كذلك هذا المذهب ينضوي تحته مجموعة من الأراء المختلفة:

١- رأي الفيض الكاشاني: قال قتيلش: "وتحقيق القول في المتشابه وتأويله يقتضي الإتيان بكلام مبسوط من جنس الباب، وفتح باب من العلم ينفتح منه لأهله ألف باب. فنقول وبالله التوفيق: إن لكل معنى من المعاني حقيقة وروحًا، وله صورة و قالبا، وقد تعدد الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وإنما وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح ولو وجودهما في القوالب تستعمل الألفاظ فيما على الحقيقة لاتحاد ما بينهما، مثلاً لفظ القلم إنما وضع لآلية نقش الصور في الألواح من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك، بل ولا أن يكون جسماً ولا كون النقش محسوساً أو معقولاً، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب، بل مجرد كونه منقوشاً فيه وهذا حقيقة اللوح وحده وروحه، فإن كان في الوجود شيء يستطر بواسطته نقش العلوم في ألواح القلوب فأخلق به أن يكون هو القلم فإن الله تعالى قال: (علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم وحقيقة وحده من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه"<sup>(٢٩)</sup> فالمعنى الباطني هو حقيقة وجوه الشيء، و قريب منه ما ذكره العلامة الطباطبائي<sup>(٣٠)</sup>.

٢- رأي السيد الشهيد الصدر قتيلش: كما أشرنا سابقاً يرى السيد الشهيد أن معنى التأويل هو ما اصطلاح عليه تفسير المعنى، "فتأويل الآيات المتشابهات - كما

يقول السيد الشهيد - ليس بمعنى بيان مدلولها وتقسيم معانيها اللغوية، بل هو ما تؤول إليه تلك المعاني، لأن كل معنى عام حين يريد العقل أن يحدده ويجلسه ويصوره في صورة معينة، فهذه الصورة المعينة هي تأويل ذلك المعنى. وعلى هذا الأساس يكون معنى التأويل في هذه الآية هو ما أطلقنا عليه اسم "تقسيم المعنى" <sup>(٣١)</sup>.

والاختلاف بين هذه الآراء غير واضح من حيث التطبيق والنتيجة وإن كان هناك فرق نظري وتصويري لكل من هذه الوجوه والآراء - بالنسبة لي على الأقل - خصوصاً إذا راجعت تطبيقاتهم وأمثالهم، فالعلامة مثلاً: مراراً يفسر بعض الروايات المفسرة للآيات بأنها إما من قبيل الجري والتطبيق، وإما من قبيل البطنون، هذا إن دل على شيء فهو يدل على تداخل معنى التأويل والبطن بالصورة التي طرحتها العالمة مع التطبيق والجري الذي هو التأويل والبطن برأي السيد الشهيد الصدر.

وإذا عرفنا هذا يتضح لنا كيف يكن للألفاظ المحدودة استيعاب الحوادث اللامتناهية والواقع المستجدة فللقرآن ظاهر وباطن، والظاهر هو مدلول اللفظ بحسب ما تسمح به معطيات اللغة، أما الباطن فهو ما يؤول إليه اللفظ لا المدلول اللغطي للكلمة، فالباطن إنما هو أمر يتعدى اللفظ ليبحث عن المعنى الخارجي للغرض، ولو أن القرآن وقف على المدلولات اللغافية بحسب الوضع والاستعمال اللغوي لما بقي من القرآن شيء، ولما بقي من القرآن في حياتنا، فمن الإمام الباقي عليه أنه قال: «ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره، ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلوها، هم منها من خير أو شر» <sup>(٣٢)</sup>، فالقرآن يجري في الناس يجري الشمس والقمر فهو دائم الإشراق دائم العطاء في حياة الإنسان المسلم، «وبطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر» <sup>(٣٣)</sup>.

ومن هنا يتضح لنا أن تجربة السيد الشهيد الصدر التفسيرية لم تكن كغيرها من التجارب تهدف لإجلاء المعنى الظاهر للقرآن، بل كان هدفها استنطاق المعنى الباطن، فكانت بحسب تعبير الروايات تأويلاً للآيات لا تفسيراً لها، فهي تبحث عن الموضوعات والمعاني الخارجية التي تؤول إليها مدلولات الآيات لا عن المدلولات الوضعية والاستعمالية للألفاظ. "ولهذا المعنى عرض عريض، ولعله هو الكافل لشمول القرآن وعمومه لكل الأزمان والأحيان فلولا تلك المفاهيم العامة، المنتزعة من موارد خاصة -وردت الآية بشأنها بالذات- لما بقيت لأكثر الآيات كثيرة فائدة، سوى تلاوتها وترتيلها ليل نهار" <sup>(٣٤)</sup>.

ولذلك يقول السيد الشهيد: "ومن هنا تبقى للقرآن حينئذ قدرته على القيمة دائمةً، قدرته على العطاء المستجد دائمًا، قدرته على الإبداع، لأن المسألة هنا ليست مسألة تفسير لفظ، فإن طاقات التفسير اللغوي ليست طاقات لا متناهية بينما القرآن الكريم، دلت الروايات على أنه لا ينفد، وصرح القرآن الكريم بأن كلمات الله لا تنفذ، القرآن الكريم عطاء لا ينفد بينما التفسير اللغوي ينفد؛ لأن اللغة لها طاقات محدودة، وليس هناك تجدد في المدلول اللغوي، ولو وجدت لغة أخرى بعد القرآن، لا معنى لأن يفهم القرآن من خلال لغة جديدة أو مصطلحات جديدة أو ألفاظ تحمل مدلولات وضعية استهدفت بعد القرآن.

إذن هذا العطاء الذي لا ينفد للقرآن، هذه المعاني التي لا تنتهي للقرآن التي نص عليها القرآن نفسه، ونصت عليها أحاديث أهل البيت عليهم السلام، هذه الحالة من عدم النفاد، تكمن في هذا المنهج، منهج التفسير الموضوعي؛ لأننا نستطع القرآن، وإن في القرآن علم ما كان وعلم ما يأتي، لأن في القرآن دواء دائنا، لأن في القرآن نظم ما بيننا، وأن في القرآن ما يمكن أن نستشف منه مواقف السماء تجاه تجربة الأرض <sup>(٣٥)</sup>.

هذه بعض الملامح الإبداعية في التجربة التفسيرية للسيد الشهيد الصدر، وإن كانت هذه التجربة أوسع بكثير مما تناولناه و تعرضنا له، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، والميسور لا يسقط بالمعسور.

تغمد الله روح شهيدنا الغالي بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.

### المواهش:

- (١) المدرسة القرآنية. ص: ٢٩٤.
- (٢) م.ن ص: ٢٩٥.
- (٣) تفسير الصافي: ج ١، ص: ٣٠.
- (٤) المدرسة القرآنية ص: ٣١.
- (٥) م.ن ص: ٢٣.
- (٦) م.ن ص: ٢٨.
- (٧) م.ن ص: ٣٠.
- (٨) م.ن ص: ٣٤.
- (٩) م.ن ص: ٣٥.
- (١٠) تفسير الميزان، ص ٧.
- (١١) م.ن ص: ٩.
- (١٢) م.ن ص: ١١.
- (١٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ١: ص: ٥ - ٦.
- (١٤) تفسير سورة الحمد ص: ٩٩.
- (١٥) المدرسة القرآنية ص: ٢٤.
- (١٦) تفسير سورة الحمد ص: ١٠٠.



- (١٧) م.ن ص: ١٠٤.
- (١٨) للسلفية معان متعددة، وليس المقصود هنا كل تلك المعاني، بل بعض المعاني، فتنبه.  
وراجع في هذا الصدد ما كتبه محمد عابد الجابري وبرهان غليون في أكثر كتبهما.
- (١٩) الكتاب والقرآن ص: ٣٤.
- (٢٠) اغتيال العقل ص: ٥١.
- (٢١) م.ن ص: ٥١.
- (٢٢) من أراد التفصيل فليراجع كتاب الاجتهد والحياة حوار على الورق، والعدد الأول  
والثاني من كتاب الحياة الطيبة.
- (٢٣) في طليعتهم السيد الشهيد الصدر والإمام الخميني والشهيد المطهرى وغيرهم من العلماء  
الطبيعين.
- (٢٤) تجديد أصول الفقه. حسن الترابي ص: ٧.
- (٢٥) الكهف: ٩.
- (٢٦) تفسير الصافي: ج ١، ص ٣٠.
- (٢٧) نهج البلاغة.
- (٢٨) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٢٣.
- (٢٩) تفسير الصافي: ج ١، ص ٣٢.
- (٣٠) راجع تفسير الآيات المتشابهات والمحكمات من سورة آل عمران.
- (٣١) المدرسة القرآنية ص: ٣٠٤.
- (٣٢) تفسير العياشي ، ج ١ ، ص ١٠ ، رقم ٧ نقلًا عن تفسير ومفسرون.
- (٣٣) تفسير الصافي: ج ١، ص ٣٠.
- (٣٤) تفسير ومفسرون ج ١ ص: ٢٤.
- (٣٥) المدرسة القرآنية ص: ٣١.



## التفسير الموضوعي .. خصائصه، أسسه، وضوابطه

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

### تمهيد

في رواية إبراهيم بن العباس المروية في العيون عن الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام: إنّ رجلاً سأّل أبا عبدالله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلاّ غضاضة؟ فقال عليه السلام: «لأنَّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيمة»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية سعادة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «للقرآن تأويل يجري كما يجري الليل والنهار وكما تجري الشمس والقمر»<sup>(٢)</sup>.

إنّ غضاعة آي القرآن وحيويتها مما يلمسه المؤمن في كل حين يتذمّرها ويقرؤها فيه، فهو حيوى المعنى وطري اللفظ أيضًا «لا يخلق من الأزمنة ولا يغت على الألسنة»<sup>(٣)</sup>؛ فإنّه -بحق- يجري -كنية عن الحركة والتتجدد- مجرى الدقائق وال ساعات والأيام، «لأنَّ الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان» وهذا من شواهد إعجازه.

ولقد زخرت آياته بوصفه **«هُدَىٰ لِلنَّاسِ»**<sup>(٤)</sup> أي: كون القرآن هداية لكل الناس من دون استثناء، وإن قلنا بأنّ الهدایة لها مستويات متفاوتة إلا أنّ مثل هذه الآية تثبت عمومية مستوى من مستويات هدايته، ويؤيد ذلك ويؤكّده قوله عَلَّيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا نَاسٌ دُونَ نَاسٍ» بل وهكذا حيويته يلامسها جميعهم لقوله عَلَّيْهِ السَّلَامُ: «وَعِنْ كُلِّ قَوْمٍ غَضَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

فلا غرابة أن يستجدّ معه في كل زمان منهج في الفهم وأسلوب في التفسير «فهو في كلّ زمان جديد» بمعنى أنه يواكب كلّ عصر في الفكر والمنهج والأسلوب بل متقدماً عليه ويهديه ويفوقه، فكلما تجدد الزمان وجد أهله -من علماء وغيرهم- آنّه قد نزل إليهم الآن؛ لأنّه يحدّثهم بلغتهم ويحاكي واقعهم ويتمشّى مع نظرياتهم وأساليب فهمهم فينشدون فيه ضالتهم.

## تقديم

لقد مرّ فهم القرآن وتفسيره براحل كثيرة منذ نزوله إلى يومنا هذا وسيبقى كذلك إلى قيام الساعة، وإنّ تطور العلم ومناهجه وتتجدد آياته له دور في تطور فهم النص القرآني وتتجدد أساليب التعامل معه، وقد اهتمّ علماء الإسلام عبر الأجيال بالقرآن الكريم اهتماماً كبيراً فتنوعت دراستهم حوله وكان أهمّها تفسيره إلا أنّه اقتصر على لون واحد منه وهو أشهر أخائه أعني (التفسير الترتيبي) وهو الذي يتناول المفسّر ضمن إطاره القرآن الكريم آية فـآية وليس

بالضرورة أن يكون وفقاً لسلسلة تدوين آيات المصحف الشريف المرتب فعلاً ولذا سمي «تحزيئي» لأنه يبحث في القطعة القرآنية كجزء وهو بهذا يكون مقدمة للبحث الموضوعي، وكان لهذا النحو صوراً متعددة فبعضها ينحو نحواً أدبياً يبحث عن الأبعاد البلاغية وال نحوية، وبعضها يتخذ من الروايات أساساً لبيان مضامين الآيات وثالثة تخضع الآيات لقواعد العقل وغيرها من المناهج التفسيرية التي ظهرت في عالم الإسلام، إلى أن استحدث أسلوب جديد في الآونة الأخيرة سمي بـ«التفسير الموضوعي» والذي نحاول في هذا البحث استشراف آفاقه ببيان مدركه وضوابطه وخصائصه ومرافقه بعد أن نذكر تعريفه ووجه الحاجة إليه.

### التفسير الموضوعي

تعريفه: ونقف مع مفردات العنوان:

١. التفسير: من الفَسْرُ، وهو الكشف والبيان<sup>(٥)</sup> قال الراغب: الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول. والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغيرها وفيما يختص بالتأويل، وهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها قال تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾<sup>(٦)</sup>.

فمن خلال المعنى اللغوي وواقع القرآن وأنه ذو بطون عميقة لا يُسرّ أغوارها ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٨)</sup> ففي الحقيقة إن كل ما ندعى كونه تفسيراً للقرآن الكريم لا يعدو كونه استظهاراً واستجلاءً للمعنى من خلال دلالة ظاهر اللفظ عليه إلا أن يستند في ذلك على قرائن أو نصوص مقطوعة السند والدلالة، وعلى هذا فليس «علم التفسير» هو إظهار كل مستور وبيان كل خفي، فقد يكون كذلك أحياناً والأكثر غيره.

وقد ذكر الشهيد الصدر تباين ضابط الفرق بين التفسير والاستظهار: "من أجل

التعرف على موارد الظهور التي ينطبق عليها (التفسير) وموارد التي لا ينطبق عليها

معنى (التفسير) نقسم الظهور إلى قسمين: أحدهما هو الظهور البسيط: وهو الظهور الواحد المستقل المنفصل عن سائر الظواهر الأخرى.

والآخر الظهور المعقد: وهو الظهور المكون نتيجة لمجموعة من الظواهر المتفاعلة.

ولأجل توضيح هذا التقسيم نضرب مثلاً لذلك، بأن يقول شخص لولده: اذهب إلى البحر في كل يوم، أو يقول له: اذهب إلى البحر في كل يوم واستمع إلى كلامه. فالنسبة إلى القول الأول نعتبر الظهور ظهوراً بسيطاً إذ لا يوجد في الكلام إلا صورة واحدة تتadar إلى الذهن وهي: صورة بحر من الماء يطلب الأب من ولده أن يذهب إليه في كل يوم. وأما النسبة إلى القول الثاني فالظهور معقد لأنه مزدوج فهناك نفس الظهور السابق، إذ يتadar إلى الذهن من كلمة البحر: البحر من الماء يذهب إليه الولد في كل يوم. ويقابلها ظهور آخر وهو ظهور الاستماع إلى كلام البحر. إذ يتadar إلى الذهن من ذلك: أن البحر ليس بحراً من ماء بل هو بحر من العلم، لأن بحر الماء لا يُسمع إلى كلامه لأنه ليس له كلام وإنما يُسمع إلى صوت أمواجه.

وهكذا نواجه في هذه الحالة ظهورين بسيطين متعارضين. وحين نلاحظ الكلام بصورة كاملة متفاعلة يجب أن ندرس نتيجة التفاعل بين ذيذك الظهورين وما ينجم عنهم من ظهور بعد تصفية التناقضات الداخلية بينهما. وهذا الظهور الناجم عن ذلك نسميه: بالظهور المعقد أو المركب.

وإذا ميّزنا بين الظهورين البسيط والمعقد أمكننا أن نعرف أن إبراز الظهور المعقد وتحديد معنى الكلام على أساسه يعتبر تفسيراً، لأن تعقيده وتركيزه يجعل فيه درجة من الخفاء والغموض جديرة بالكشف والإبانة فيصدق عليه اسم: (التفسير) وأما الظهور البسيط ففي الغالب لا يعتبر إبراز معنى الكلام على أساسه تفسيراً، لأن المعنى ظاهر بطبعته فلا يحتاج إلى اظهاره.

والنتيجة أن في صدق التفسير على بيان المعنى في موارد الظهور اتجاهين: أحدهما القائل: بعدم صدقه مطلقاً سواء كان الظهور بسيطاً أم معقداً. والآخر - وهو

الاتجاه الصحيح- القائل: بأن التفسير ليصدق على بيان المعنى في موارد الظهور المعقد دون بعض موارد الظهور البسيط<sup>(٩)</sup>.

وهذا الثاني هو الذي نعني به «التفسير الموضوعي» الذي سنبسط الكلام فيه. وقد تقول: إذن، بعد نفيكم لعلم التفسير الحقيقى فماذا بعد ذلك منفائدة تُرجى؟

قلت: إننا لو تأملنا ما للقرآن تجاهنا لوجدنا أن مقدار الاستظهار المخاطع للقواعد العلمية يتحقق لنا أهداف القرآن وهو الهدایة ولو بمستوى من المستويات.

**٢. الموضوعي:** قد ذكر الشهيد الصدر<sup>ت</sup> ثلاث معانٍ واستعمالات لـ(الموضوعية):

**الأول:** بمعنى أنه يبدأ من الموضوع -من الواقع الخارجي- وثمّ يعود إلى القرآن الكريم ويعبر عن التفسير بأنه موضوعي باعتبار أنه يبدأ من الموضوع الخارجي وينتهي إلى القرآن الكريم. وليس بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن، بمعنى أنه يوحد بينهما في سياق بحث واحد لكي يحدد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولات الفكرية التي أدخلها في سياق بحثه.

**الثاني:** كون التفسير موضوعياً باعتبار أنه يختار مجموعة من الآيات تشتراك في موضوع واحد. بحيث يوحد بين مدلولات هذه الآيات ضمن مركب نظري واحد من أجل أن يستخرج نظرية قرآنية شاملة بالنسبة إلى ذلك الموضوع.

**الثالث:** معنى الموضوعية في مقابل الذاتية والتحيز كما يقال: إن هذا البحث موضوعي في مقابل أن يكون بحثاً متحيزاً أو منحازاً<sup>١٠</sup> وهي بهذا المعنى مرفوضة في التفسير التجزيئي والتفسير الموضوعي معاً.

**والنتيجة:** أن المقصود بالتفسير الموضوعي أحد معنيين إما الأول وإما الثاني دون الثالث، من هنا يجرّنا البحث للوقوف على أقسام التفسير الموضوعي.

## أقسام التفسير الموضوعي

من خلال ما مرّ وبطاعة بعض النظريات الحديثة في التفسير نجد أن للتفسير «الموضوعي» الذي يكون محوره موضوعاً قرآنياً ثلاثة أقسام تبدأ سهلة وتنتهي معقدة وهي:

- **القسم الأول:** وهو أقل الأقسام مؤنة وأسهلها وهو عبارة عن جمع الآيات ذات الموضوع الواحد دراستها كوحدة واحدة محورها ذلك الموضوع للخروج بنظرية قرآنية، وهو أكثرها تداولاً اليوم.

- **القسم الثاني:** وهو أكثر صعوبة وأعقد مسيراً وهو الذي ابتكره السيد الشهيد الصدر قائم في مدرسته القرآنية ولم يطبقه غيره، فقد ترجمه في أحاجاته كبحث (خط الخلافة وشهادة الأنبياء) وهو عبارة عن أن يدخل المفسّر إلى الآيات ذات الموضوع الواحد بعد دراسة النظريات والتجارب التي توصل إليها العقل البشري فيما يرتبط بهذا الموضوع ليقوم بعد ذلك بالجمع بينهما والخروج بنظرية قرآنية متكاملة كانت النظريات والتجارب البشرية إحدى الوسائل والأدوات التي تقع في طريق فهم وتبيين النص القرآني، وليس تحميلاً للنظرية على القرآن وإنما هو انطلاق من القرآن للواقع الخارجي ثم الرجوع إلى القرآن، وقد نظر إليه بالاتجاه الموضوعي الفقهي وهو أسلوب الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية فإنَّ «دين الفقهاء يبدأون بالواقع - وقائع الحياة كانت تعكس عليهم شكل جمالة، مضاربة، مزارعة، مسافة، رهن، نكاح... ثم يأخذون هذا الواقع ويأتون إلى مصادر الشريعة لكي يستبطوا الحكم من مصادر الشريعة»<sup>(١١)</sup> فكما أن للواقع تجدد فلا بد لهذه العملية بشكل مطرد أن تنمو وتطور باستمرار.

- **القسم الثالث:** وقد طرح بعناوين مختلفة كـ (التفسير المعادلاتي)<sup>(١٢)</sup> و(التفسير الارتباطي)<sup>(١٣)</sup> ويمكن أن نطلق عليه بناءً على ما بحثه السيد

الشهيد قد يش بـ (التفسير السنوي) وهو عبارة عن اكتشاف واقتناص العلاقة بين موضوعين أو أكثر في القرآن الكريم وبيان طبيعة هذه العلاقة وأبعادها وآثارها؛ حيث "تسود القرآن الكريم مجموعة كبيرة من المعادلات، هذه المعادلات ذات طبائع متعددة متكررة، فهناك المعادلة الكونية والاقتصادية والأخلاقية والسياسية، فالقرآن كثيراً ما يربط بين عنصرين على نحو ما، وهذا مقصودنا من المعادلة.

قال تعالى: ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدُكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنْ تَصْرُرُوا اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ فتحن هنا أمام علاقة ما بين موضوعين (الشكر وزيادة النعم، الركون إلى الطغاة والمصير الجهنمي..) <sup>(١٤)</sup>.

### الحاصل:

إذا لاحظنا هذه الأنحاء الثلاثة نجد أن العلاقة بينها -سيما الأول والثالث- تشبه العلاقة بين التفسير التجزيئي والموضوعي وهي علاقة المقدمية، فالقسم الأول من التفسير الموضوعي مقدمة للقسم الثالث منه.

وبما مرّ من التعريف والتقطيع يتضح اختلاف التفسير الموضوعي عن الجمع الموضوعي للآيات، فهي تشتراك معه في جهة وحدة الموضوع والجمع اللغطي بين الآيات إلا أنها خالية عن التفسير والجمع المعنوي بينها <sup>(١٥)</sup>، ويتبين اختلافه أيضاً مع بعض بحوث علوم القرآن التي تجمع آيات متعددة تحت عنوان واحد كبحوث (الناسخ والنسوخ، والحكم والتشابه..) فهي تشتراك مع التفسير في جمع الآيات لكنها تختلف معه في اختلاف موضوعاته غاية الأمر أنه يجمعها عنوان واحد قد انتزع بلاحظة جهة مشتركة فيها.

### وجه الحاجة إلى التفسير الموضوعي

القرآن بحر لا ينضب ومعين لا يجده ومع هذا التقدم العلمي والمعرفي

والمناهجي يبقى القرآن هو القرآن المعجز، ذو المكانة التي لا تنسى والمنزلة المعلمية، وحيث انتقلنا من نظرية الفقه إلى فقه النظرية فنحن كما أنتا بحاجة للحصول على نظرية إسلامية لاستقصاء كلّ ما هو دخيلٌ في تكوين تلك النظرية من أدوات استنباطية ونصوص شرعية روائية كانت أو قرآنية فكذلك هنا، فلمعرفة النظرية القرآنية من حيث أسبابها وأبعادها ونتائجها حول موضوع من الموضوعات تحتاج إلى استقصاء جميع ما يتعلق به من آيات كريمة.

### مدرك التفسير الموضوعي

قد يسأل سائل: هل لهذا النوع من التفسير ما يؤيده ويدعمه من القرآن نفسه أو رواية أهل العصمة عليهما السلام؟

أقول: توجد في الآيات والروايات ما يمكن جعله مستندًا ومؤيًّدًا لهذا النحو من التفسير:

أما من القرآن:

فإِنْ نَهِيَ عَنِ الْأَخْذِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَرْكُ الْبَعْضِ الْآخَرِ، ۝أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفِرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْنٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرِدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ ۝ فـإنه كما يتصور الإيان والعمل بعض الكتاب كذلك استقاء الفكر والنظر من بعضه دون غيره، فالمدلول الالتزامي للأية أنه ينبغي إذا أريد فهم القرآن والاعتقاد بما فيه أن يقرأ كوحدة واحدة لا كأجزاء منفصلة عن بعضها.

وكذلك أمره بإرجاع المتشابه من آياته إلى محكمها؛ إذ يعدّ نحو من إرجاع المشتركات في موضوعات معينة إلى بعضها وليس هذا إلا قسماً من أقسام التفسير الموضوعي.

## وأماماً من السنة:

فبالإضافة لما ورد عن أمير المؤمنين في النهج -كقوله عليه السلام: «وذكرت أن الكتاب يصدق بعضه ببعض»<sup>(١٦)</sup> وقوله عليه السلام: «وينطق بعضه بعض ويشهد بعضه على بعض»<sup>(١٧)</sup> الذي يُشعر بالترابط بين آياته وإمكان الاستفادة منها كوحدة واحدة يمكن استنباط معناها للخروج بنظرية قرآنية - قد وردت روايات كثيرة عن النبي عليهما الله وأهل بيته عليهما السلام يجمعون فيها آيات ذات مضمون أو محور واحد حتى يصلوا في آخر الأمر إلى رأي القرآن وتقسيمه لموضوع من الموضوعات الفقهية أو العقائدية أو الأخلاقية، نذكر هنا بعضاً منها:

### النموذج الأول:

عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة وجوه: فمنه كفر الجحود وهو على وجهين: جحود بعلم وجحود بغير علم: فاما الذين جحدوا بغير علم فهم الذين حكا الله عنهم في قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْلَمُونَ﴾<sup>(١٨)</sup> وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١٩)</sup> فهو لاء كفروا وجدوا بعلم فهم الذين قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءُهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾<sup>(٢٠)</sup> فهو لاء كفروا وجدوا بعلم»<sup>(٢١)</sup>.

### النموذج الثاني:

وما ورد عن أمير المؤمنين عليهما السلام في رواية طويلة يذكر فيها وجوه الكفر أيضاً في القرآن إلى أن يقول: «وأما الوجه الخامس من الكفر وهو كفر النعم قال الله تعالى عن قول سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾<sup>(٢٢)</sup> الآية وقوله عز وجل: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾<sup>(٢٣)</sup> وقال

تعالى: ﴿فَإِذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكُفُّرُونَ﴾<sup>(٢٤)</sup><sup>(٢٥)</sup> وكأنه إشارة إلى  
القسم الثالث من أقسام التفسير الموضوعي.

### النموذج الثالث:

وما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام يوصي به هشام وينتقل معه من محور إلى آخر يجمع في كل واحد منها الآيات المثبتة في ثنايا الآيات والسور المشتركة في موضوع واحد كـ(الدعوة للتعلّق وذم الكثرة ومدح أولي الألباب..) ففي الكافي الشريف عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: «يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِنُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولَوْ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢٦)</sup> يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقل، ونصر النبيين بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلة [إلى أن يقول عليهما السلام] يا هشام ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر، وحلّهم بأحسن الخلية، فقال عليهما السلام: ﴿يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولَوْ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢٧)</sup>.

وقال عليهما السلام: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمِنًا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولَوْ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢٨)</sup> وقال عليهما السلام: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَيِ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢٩)</sup>.

وقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَوْ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣٠)</sup> وقال عليهما السلام: ﴿أَمْنٌ هُوَ قَاتِنُ آنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَوْ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣١)</sup>. وقال عليهما السلام: ﴿كِتَابٌ أُنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولَوْ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣٢)</sup>. وقال عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَيِ الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٣٣)</sup> وقال عليهما السلام: ﴿وَذَكَرٌ فَإِنَّ

الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾

فمن هذه وغيرها يمكن استفادة شرعية هذا النحو من التفسير وصوابيته.

### خصائص التفسير الموضوعي

١. إن هذا النمط من التفسير يستهدف تحديد النظرية القرآنية، أو الموقف القرآني ذي الأبعاد المختلفة تجاه قضية أو مسألة أو فكرة معينة، ولا يقتصر على بيان جزئية ناقصة هنا أو تفسير مفردة أو مركب ناقص هناك، فالتفسير التجزيئي يقدم المدلولات التفصيلية وأما الموضوعي فيحاول جاهداً الحصول على النظريات والمدلولات الكلية، فالآيات القرآنية كالمواد الطبيعية هي ذات فائدة حال كونها منفردة ولها عائد إيجابي في حياة الإنسان وكذلك هي مجتمعة مع غيرها مما ينسجم مع طبيعتها، كالأسجين والهيدروجين فهما حال انفرادهما هما فوائد كبيرة على الحياة الطبيعية وكذلك مجتمعين.
٢. إنه أوسع أفقاً وأرحب عطاً، ويتقدم خطوات على التفسير التجزيئي، ويتيشك القدرة على التجدد باستمرار، ولا زال بابه مفتوحاً؛ إذ لم يُشبع بحثاً ولم يُنهب فيه تحقيقاً.
٣. إن المفسّر فيه يلعب دوراً إيجابياً بخلافه في التجزيئي فإن دوره سلبي: بمعنى أن دوره في الموضوعي دور المحاور الذي يسأل من تلقاء عقله أو الذي تزود بمحضلة التجربة البشرية في الخارج وجاء يستنطق القرآن ويأخذ رأيه ونظره فيها، أما في التجزيئي ففي غالب الأحيان يكون دوره دور المستمع المتلقى ودور النص القرآني دور المتحدث الملقي.
٤. إنه يساعد كثيراً على إزالة ودفع ما قد يُتوهم من التنافي والتهافت والتعارض بين آي الذكر الحكيم وكذلك ما قد يبرز كألغاز وأسرار لا حل لها بين سطور آياته.



٥. إن مجال الإبداع والتجديد وكشف أسرار القرآن وخفایاه في هذا النمط أوسع وفرصها أكبر.

٦. إنّه إذا أنصف الباحث فيه كان أقرب إلى الحقيقة لأنّه حينئذ وباعتتماده المنهج العلمي يكون أقرب إلى النتائج الصحيحة ويعسر عليه التنكر إلى الحقائق، بخلاف التجزئي الذي يسهل من خلاله بالغرض تارة والانتقائية أخرى وبهما معاً ثالثة إلى الابتعاد عن الحقيقة، وقد ذهب السيد الشهيد قدسُهُ إلى أنه السبب الذي أدى إلى ظهور التناقضات المذهبية في الحياة الإسلامية بسبب الانتقائية التي اتخذها بعض من تصدى للتفسير، وبعض أرباب المذاهب المنحرفة.

### أسس التفسير الموضوعي

الأول: الانطلاق والسير على أساس أن القرآن كتاب هداية، ويستهدف من آياته بناء الإنسان عقلاً وقلباً وسلوكاً، والذي يحتم على الباحث أن لا يرجو من القرآن إثبات قضية لا تصب في خدمة هذا الهدف ولا تنشد هذه الغاية.

الثاني: العمل على أساس أن القرآن بكل آياته ومفرداته من أوّله إلى آخره هو كلام واحد وجملة واحدة، وأوله قرينة متصلة على آخره ووسطه وآخره ووسطه كذلك، وليس فيه قرينة منفصلة لاختلاف سبب النزول أو شأنه أو زمانه ولو كان يفصل بينهما عشرين سنة.

فالنتيجة: إن القرآن الكريم بأسره يتصف بالانسجام والترابط، وهذا الانسجام هو الباعث على ازدياد الآية وضوحاً في ظل الآية الأخرى، وعلى أن تكون إحدى الآيات مبينة لآية أخرى، وعلى أن تكون بعض الآيات موضحة لبعض الآيات الأخرى، مما قد تبدو بحسب الفكر البدائي للإنسان أنها غامضة ومبهمة للوهلة الأولى.

والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم يقتني على هذا الأساس ويقوم عليه، فالمواضيع التي يتطرق إليها القرآن ويطرحها في سور متعددة وآيات مختلفة يكون

ناظراً في كل موطن من تلك المواطن إلى بُعد من أبعاد الموضوع، فإذا تبعنا تلك الآيات واستقصينا المواطن كلها وجمعناها إلى بعضها لوجданه يبين موضوعاً واحداً بتمام أبعاده وحينئذٍ يصير الموضوع كاملاً متكاملاً<sup>(٣٦)</sup>.

الثالث: الاعتماد في الجمع والتوفيق بين الآيات دلالةً ومعنى على أسس علمية، وهو أمر يستدعي بحثها وتنقيحها في مرحلة سابقة، أي: تحديد الأدوات العلمية المرضية والمقبولة في نظر الباحث وحدود دورها ومؤثراتها ومدخليتها في قبول وفهم وتفسير النص القرآني، فما هو مدى اعتماده على الظواهر اللغوية؟ وما هي سعة قبول الرواية والمبني في خبر الواحد؟ وكذلك ما هو دور القرائن العقلية في فهم النص وتفسيره؟ وبعبارة مختصرة: تشيد وتحديد المبني العلمية الأصولية والرجالية وغيرها.

### ضوابط التفسير الموضوعي

١. أن يجلس الباحث بين يدي القرآن الكريم تلميذاً يسأله ويستفهم منه ويستبين به ويستعين بآياته في فهم بعضها بالبعض الآخر، لا أن يجعل من نفسه ندّاً يناقش القرآن بأفكارٍ مسبقة، أو يأتيه وهو مشبع بالروايات الفكرية ليلوي عنق النص بناءً عليها لكي توافقه لا طلباً لأنّ يوافقها.

فالتفسير الموضوعي بمعناه الأول -القسم الأول- يحتاج إلى باحث خالي الذهن، وأنّه بهذا يختلف عن ما يفعله الكثير من يبحث أو يكتب في موضوع معين في حقل من حقول المعرفة ثم يلتمس آيات وروايات تدعم رأيه وتوّيد دعواه.

٢. أن يتحلى بالموضوعية ويبعد عن الذاتية؛ لأنّه شرط تفرضه طبيعة البحث العلمي.

## مراحل التفسير الموضوعي

١. فرز الآيات فرزاً موضوعياً دقيقاً، بمعنى جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، والذي يكون على أساس المعنى لا على أساس اللفظ، وليس المعنى الحرفي وإنما الأعم من المدلول المطابقي والالتزامي والتضمني، فلو أردت أن تبحث حول «الزواج» مثلاً فلا ينحصر البحث في خصوص هذا اللفظ أو معناه وإنما يتسع إلى كل ما يمتد إلى هذا العنوان بصلة ويرتبط به ارتباطاً مباشرأً وغير مباشر.
٢. البدء بمراحل التفسير، وهي مرحلتان: تفسير اللفظ: وهو عبارة عن بيان معناه لغة، فالملفّس بحاجة إلى معرفة المدلول التصوري أولاً وهو المعنى الأولي والبدوي لألفاظ الآية. تفسير المعنى: وهو عبارة عن ربط ألفاظ الآية وفهم مرادها الجدي.
٣. الاطلاع على آراء كبار المفسرين في كل آية من آيات البحث، حيث يتضح معنى الآية أكثر وتُتبين أقوالهم سياق الآية ومداليلها، وتُعين في ربطها ووجه علاقتها بأختها أو أخواتها.
٤. يحسن أن يوظّف العالم علمه فيبرز النكات التحوية والصرفية والبلاغية في الآية، وهو بحاجة بالإضافة إلى ذلك أن يفعّل الأدوات الأصولية لفهم الدلالة من عموم أو إطلاق وغيرها من مباحث الألفاظ وكذلك في البحث عن المخصصات اللغوية أو اللبية وهكذا حين يجد التعارض في الروايات المفسّرة فيرى إن أمكن الجمع فيها؛ لأن «الجمع مهما أمكن أولى من الطرح» وإلا عمل بالمرجحات وهكذا..
٥. وأهم مرحلة لمعرفة مراد الباري سبحانه وله الفهم النص القرآني هو الاسترشاد بهدي عدل القرآن وترجمانه والاستضاءة بأنوار محمد عليه السلام وأهل بيته عليهما السلام، فالمراد الجدي للآية يعرف بضميمة الرواية، فليس للمفسّر أن ينبعس

ببنت شفة بعد طي تلك المراحل إلا بعد أن يفحص عما ورد عنهم عليهما فعنده عليهما السلام: «لاتقدموا عليهم فتهلكوا، ولا تعلمونهم فإنهم أعلم منكم» ولا بد أن نؤكد هنا على الدقة لذا ينبغي التنبه إلى ضرورة البحث الرجالي وهو البعد السندي وكذلك البحث الأصولي وهو البعد الدلالي، لأن المراد لها أن تكون مخصصة أو معينة لمعنى الآية، بالإضافة إلى أنها إن كانت من قبيل روايات التطبيق فإنها أيضاً تدخل ككافٍ في فهمها وتحديد مداليتها.

ثم إن ما ورد في بعض النصوص من اختصاص فهم القرآن بأهله فالمقصود منها:

**أولاً:** عدم جواز الاكتفاء بالقرآن حسب ما ادعى -حسبنا كتاب الله- الذي يعني ترك متابعة أهل البيت عليهم السلام الذين أمرنا بطاعتهم واتباعهم في القرآن فضلاً عن الأحاديث.

**ثانياً:** هو أمر بالتدبر في آياته وتعقلها والتفكير فيها، وكذلك أهل البيت عليهم السلام جعلوه ميزاناً لقبول الرواية وعدمها، وليس معنى ذلك إلا العرض على ما نفهمه ويظهر منه.

إن عدم المس<sup>(٣٧)</sup> لا يكون إلا للمعنى الواقعي لآي الذكر الحكيم وغاية ما ندعيه في التفسير هو الظاهر من عموم الألفاظ.

عبارة أخرى: إن البحث الأصولي المعروف بـ«حجية الظواهر» هو الظاهر الذي يفهمه العارف باللغة العربية الصحيحة الفصيحة من اللفظ، ولم تقم على خلافه قرينة عقلية أو نقلية معتبرة، فمثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَا صَفَا﴾ و﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ و﴿وَسَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾، مما قامت القريئة العقلية القطعية على خلاف ظواهره خارج عن محل البحث.

ففي الحقيقة هذا النوع من التفسير -الأخذ بالظاهر- ليس في عرض



الروايات وإنما في طوله، ويقع في سياقه.

وإن قلت: أليس عدم الاكتفاء بالقرآن والاحتياج للسنة يعني أنه ليس **﴿تَبَيَّنَاهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾** وأنه ليس **﴿جَعَلْنَاهُ ثُورًا نَهَدِي بِهِ مَنْ نَشَاء﴾؟**

كان الجواب: ليس المنع من الاكتفاء بالقرآن من جهة قصور عمومه وإطلاقه عن المصاديق المستجدة، بل من جهة اشتتمال القرآن على مخصوص ومقيد لا يعلم إلاّ من ناحية عدل القرآن والشلل القرئين له في قول النبي ﷺ: **«إِنِّي خَلَفْتُ أَوْ تارِكَ - فِيمَكُمُ الثَّقَلَيْنِ كَابَ اللَّهُ وَعَزَّتِي أَهْلُ بَيْتِي»**<sup>(٣٨)</sup>.

و"لقد ذكر الله عزوجل رسوله عليه السلام بعنوان مفسر وأول المفسرين، وعرفه بين الملايين بعنوان أول معلم - وباصطلاح أهل المعنى: المعلم الأول هو رسول الله عليه السلام وذلك حين يقول تعالى: **﴿وَأَنْزَنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾**، أي: أتنا أنزلنا إليك الكتاب لتبيئه للناس، لا لأجل أن الكتاب ليس بيئاً بالذات، لا لأجل أن يوضح النكات المهمة والنقط المعقولة والمطالب الخفية في القرآن، بل لكي تتوّر أعين الناس وتجعلها بصيرة لكي ترشدهم إلى طريق الاهتداء إلى القرآن، لكي تأخذ بأيديهم وتهديهم إلى سبيل الوصول إلى القرآن"<sup>(٣٩)</sup>.

٦. بعد فهم معانيها بشكل عام تفهرس ضمن عناوين رئيسة وعنوان فرعية.

٧. ضرب بعضها بعض حق تنقح أصول النظرية وتشيد قواعدها القرآنية وننطلق إلى التفريعات الأخرى.

٨. استخلاص النتائج.

٩. تحليل النتائج.

## الخاتمة

بعد هذا العرض السريع الذي آمل أن يكون بوابة لتجديد الاهتمام بهذا

النحو من التفسير الذي أعتقد أنه سيكون مستقبلاً زاهراً في الأوساط العلمية والثقافية. نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياكم بالقرآن ولا يحرمنا من فيوضاته.

المواعش:

- (١) بحار الأنوار ١٧: ٢١٠، الباب ١ من معجزاته عليه السلام، الحديث ١٨.

(٢) البحار ٢٣: ٧٩، باب وجوب معرفة الإمام الحديث ١٣.

(٣) بحار الأنوار ١٧: ٢١٠، الباب ١ من معجزاته عليه السلام، الحديث ١٦.

(٤) البقرة: ١٨٥، آل عمران: ٤، سورة ٦: ٩١.

(٥) لسان العرب: مادة (فسر).

(٦) الفرقان: ٣٣.

(٧) المفردات: ٦٣٦.

(٨) آل عمران: ٧.

(٩) المدرسة القرآنية: ٢٩٢.

(١٠) لاحظ المدرسة القرآنية: ٣٥.

(١١) المدرسة القرآنية: ٣٧.

(١٢) أطلق هذا المصطلح الكاتب غالب حسن في كتابه «نظريّة العلم في القرآن ودخل جديد للتفسيّر»: ١٢٣.

(١٣) أطلقه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن: ج ١ ص ٦.

(١٤) نظريّة العلم في القرآن ودخل جديد للتفسيّر، غالب حسن: ١٢٣.

(١٥) فلا يعد العلامة المجلسي من أوائل من قام بالتفسيّر الموضوعي حيث جمع الآيات المتقدمة موضوعاً في بداية كل باب من أبواب موسوعته الشريفة «بحار الأنوار»، كما ادعاه بعضهم مفاهيم القرآن: ج ١ ص ٩ و ٣.

(١٦) نهج البلاغة: الخطبة ١٨.

(١٧) ن.م: الخطبة ١٣٣.



- (١٨) الجاثية: ٢٤.
- (١٩) البقرة: ٦.
- (٢٠) البقرة: ٨٩.
- (٢١) البحار: ج ٦٩ ص ٩٢.
- (٢٢) النمل: ٤٠.
- (٢٣) إبراهيم: ٧.
- (٢٤) البقرة: ١٥٢.
- (٢٥) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ١٠١.
- (٢٦) الزمر: ٢٠.
- (٢٧) البقرة: ٢٦٩.
- (٢٨) آل عمران: ٧.
- (٢٩) آل عمران: ١٩٠.
- (٣٠) الرعد: ٢٠.
- (٣١) الزمر: ٩.
- (٣٢) ص: ٢٩.
- (٣٣) المؤمنون: ٥٧.
- (٣٤) الذاريات: ٥٥.
- (٣٥) أصول الكافي: ج ١ كتاب العقل والجهل.
- (٣٦) التوحيد في القرآن، جوادی آملي: ٢٩.
- (٣٧) إشارة لقوله تعالى: ﴿لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرُّجُسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾.
- (٣٨) المبسوط في فقه المسائل المعاصرة-المسائل الطبية:- ٨٩
- (٣٩) التوحيد في القرآن، جوادی آملي: ٣٠.



# جمع القرآن الكريم

## فازي عبد الحسن استماك

### المقدمة

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبيه المرسل ﷺ، هداية للعلمين، حيث يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويضع عنهم إصر الجهل وأغلال العبودية لغير الله تعالى، وهو كتاب إلهي سماوي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الثقل الأكبر الذي قُرن بالعترة الطاهرة سلام الله عليهم أجمعين، الذين هم عدل القرآن وترجمانه، وقد تواتر بين العامة والخاصة عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي

الحوض»<sup>(١)</sup>.

بل هم القرآن الناطق، وقد نزل القرآن الكريم في بيوتهم عليهما، فليس من العجب حينئذ أن يكون الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام هو كاتب الوحي، والعالم بآياته المحكمات والمتباينات، وبالتفسير والتأويل، وبالناسخ والمنسوخ<sup>(٢)</sup>، وهو من تكفل بجمع القرآن الكريم بأمر من النبي الأكرم عليهما السلام في حياته المباركة وبعد ارتحاله عليهما السلام للرفيق الأعلى عليهما السلام.

### الأحاديث الواردة من طرق أهل السنة والجماعة في جمع القرآن الكريم

ورد في بعض أحاديث جمع القرآن الكريم من طرق المسلمين من أهل السنة والجماعة أنَّ أول من جمع القرآن هو الخليفة الأول أبو بكر<sup>(٣)</sup>، حيث إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وقد سُأله أبو بكر زيد بن ثابت النظر في ذلك، فأبى حتى استعن عليه بعمر، ففعل<sup>(٤)</sup> وقال أَمْدَ في مسنده : "عن أبي العالية عن أبي بن كعب أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر عليهما السلام فكان رجال يكتبون ويعلمون أيديهم أيديهم كلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿لَتُمْ انْصَرِفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِإِنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن، فقال لهم أبي بن كعب: إن رسول الله عليهما السلام أقرني بعدها آيتين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوِيفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ثم قال: هذا آخر ما أنزل من القرآن، قال: فختتم بما فتح به الله الذي لا إله إلا هو وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾"<sup>(٥)</sup>.

وورد في بعض آخر من الأحاديث أنَّ أول من جمع القرآن الكريم هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد سُأله عمر عن آية من كتاب الله، فقيل: كانت مع

فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، وأمر بجمع القرآن فجُمِعَ، فكان أول من جمعه في المصحف<sup>(٦)</sup>.

وورد في بعض آخر من الأحاديث أيضاً أن أول من جمع القرآن هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان، حيث إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف نسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرف بن هشام، فنسخوها في المصاحف<sup>(٧)</sup>.

ويلاحظ على أحاديث جمع القرآن التي وردت من طرق أهل السنة والجماعة عدة ملاحظات - مضافاً إلى أن أكثر هذه الروايات تستبعد دور الإمام على بن أبي طالب عليه السلام، حيث لم تجعله لا من ضمن الذين جمعوا القرآن الكريم، ولا من ضمن الذين كتبوا وأملوا القرآن الكريم، ولا من ضمن الذين شهدوا على آيات القرآن الكريم، وكأنه لم يكن موجوداً في خضم الأحداث والوقائع -:

**أولاً: أنها متناقضة<sup>(٨)</sup>**، حيث تدعي أن كل واحد من الخلفاء الثلاثة هو أول من جمع القرآن الكريم، لا أنه جمع القرآن الكريم، فلو فرض الاحتمال الثاني، أي أن كل واحد من الخلفاء الثلاثة جمع القرآن الكريم، فحينئذ يمكن التوفيق بين الأحاديث المتقدمة بالقول بتكرر جمع القرآن الكريم من كل واحد منهم، إلا أن الأحاديث المتقدمة تصرح بأن كل واحد من الخلفاء الثلاثة هو أول من جمع القرآن الكريم، ويلزم من ذلك التناقض، أي أن القرآن الكريم في عهد الخليفة الثاني مثلاً، كان مجموعاً - لأن بعض الأحاديث تصرح بأن أول من جمع القرآن

الكريم هو الخليفة الأول - وغير مجموع في الوقت نفسه - لأن بعض الأحاديث تصرح بأن أول من جمع القرآن هو الخليفة الثاني - وحينئذ، فلا يمكن الاعتماد على شيء منها. وأيضاً هناك بعض الأحاديث تشير إلى أن الخليفة الثاني لم يكمل مشروع جمع القرآن الكريم، حيث إنه قتل قبل إتمامه، فقد أخرج المتقي الهندي في كنز العمال عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: "أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن، فقام في الناس، فقال: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانواكتبوا ذلك في الصحف والألواح والusb، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان، فقتل وهو يجمع ذلك، فقام عثمان فقال: من كان عنده من كتاب الله شيء، فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان فجاء خزيمة بن ثابت، فقال: قد رأيتم تركتم آيتين لم تكتبوهما، قالوا: ما هما؟ قال: تلقيت من رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِّيهِ﴾ إلى آخر السورة، فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله فأين ترى أن نجعلهما؟ قال: اختم بهما آخر ما نزل من القرآن فخت بها براءة<sup>(٩)</sup>. وأيضاً هناك حديث يتعرض حتى لتسمية القرآن الكريم بعد جمعه في زمن الخليفة الأول، حيث جاء في كتاب البرهان للزرκشي: "ذكر المظفر في تاريخه (لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه، فقال: بعضهم سموه إنجيلاً، فكرهوه، وقال بعضهم: سموه السفر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود: رأيت للجشة كتاباً يدعونه المصحف، فسموه به)"<sup>(١٠)</sup>.

ثانياً: هذه الروايات معارضة بروايات أخرى - وردت من طرق أهل السنة والجماعة - دلت على أن القرآن كان قد جُمع وكتب على عهد رسول الله ﷺ، حيث روى قتادة: قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو

زيد<sup>(١١)</sup>.

ثالثاً: هذه الروايات معارضة بالكتاب، فإنَّ كثيراً من آيات الكتاب الكريم دالةٌ على أن سور القرآن كانت متميزةً في الخارج بعضها عن بعض، وأن النبي ﷺ قد تحدى الكفار والشركين على الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور مثله مفتريات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا أن سور القرآن كانت في متناول أيديهم<sup>(١٢)</sup>.

نعم، قال الحارث الحاسبي: "المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهد من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات"<sup>(١٣)</sup>. علمًا بأن من جاء بفكرة توحيد المصاحف على عهد عثمان - كما يذكر البخاري - هو حذيفة بن اليمان<sup>(١٤)</sup>، وهو أحد الأركان الأربع من أصحاب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام<sup>(١٥)</sup>، سكن الكوفة، ومات بالمدائن بعد بيعة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأربعين يوماً<sup>(١٦)</sup>.

ولم ينتقد عثمان أحد من المسلمين على عمله هذا؛ وذلك لأن الاختلاف في القراءة كان يؤدي إلى الاختلاف بين المسلمين وتمزيق صفوفهم، بل كان يؤدي إلى تكفير بعضهم بعضاً، ولكن الأمر الذي انتقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف حتى سمي بحرائق المصاحف<sup>(١٧)</sup>. قال ابن شبة في تاريخ المدينة: "حدثنا علي بن محمد، عن يزيد بن عياض، عن الوليد ابن سعيد، عن عروة بن الزبير قال: قدم المصريون فلقوا عثمان عليه السلام فقال: ما الذي تتقمون؟ قالوا: تمزيق المصاحف. قال: إن الناس لما اختلفوا في القراءة خشي عمر عليه السلام الفتنة فقال: من أعراب الناس؟ فقالوا: سعيد بن العاص. قال: فمن أخطئهم؟ قالوا: زيد بن ثابت. فأمر بمصحف

فكتب بإعراب سعيد وخط زيد، فجمع الناس ثم قرأه عليهم بالموسم! فلما كان حديثاً كتب إلى حذيفة: إن الرجل يلقى الرجل فيقول: قراني أفضل من قرآنك، حتى يكاد أحدهما يكفر صاحبه، فلما رأيت ذلك أمرت الناس بقراءة المصحف الذي كتبه عمر رضي الله عنه وهو هذا المصحف، وأمرتهم بترك ما سواه، وما صنع الله بكم خير مما أردتم لأنفسكم".<sup>(١٨)</sup>

وبعد أن اتفقت الأحاديث الواردة من طرق أهل السنة والجماعة على عدم كون القرآن الكريم مجموعاً في زمن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله، على الرغم من اختلافها وتعارضها في أول من جمع القرآن الكريم، يحق لنا أن نتساءل في صدد تفنيد الهدف المعلن الذي دعا الخلفاء الثلاثة لجمع القرآن الكريم، حيث إن السبب المعلن الذي دعا الخلفاء الثلاثة لجمع القرآن الكريم -كما تشير بعض الأحاديث- هو خشيتهم من أن يقتل حفظة القرآن الكريم، وبالتالي يضيع القرآن الكريم، وبضياعه يضيع الدين. كيف يحتاط الخلفاء الثلاثة لحفظ القرآن الكريم ويخشون ضياعه إن لم يكتب، ولا يحتاط النبي الأكرم ولا يخشي ضياعه وهو الأعلم والأبعد نظراً منهم؟ فهل هم أحرص على القرآن الكريم وعلى الدين من النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله؟؟

### نسخ وليس بجمع

من المحتمل أن ما قام به الخلفاء الثلاثة في فترة خلافة كل واحد منهم هو مجرد نسخ القرآن الكريم وتکثیره بغرض إرساله للبلدان التي فتحت في زمانهم -بالأخص الخليفة الأول والخليفة الثاني، حيث إن الخليفة الثالث وحد القراءات-. وهذا ما يشير إليه الكاتب أحمد حسين يعقوب في معرض رده على فكرة جمع القرآن الكريم من قبل الخلفاء الثلاثة: "كانت عند علي بن أبي طالب نسخة مكتوبة من هذا القرآن، وإن المئات من الصحابة كانت لديهم نسخ مكتوبة ومجموعة

من القرآن الكريم، وكل ما في الأمر أنه لما بدأت الفتوحات صارت شعوب البلدان المفتوحة تسأل عن هذا القرآن، فكتب قادة الجيوش لأبي بكر بوصفه الخليفة، فتبني أبو بكر بمساعدة أركان دولته عملية استنساخ عدد من نسخ القرآن المكتوبة والجامعة، وأرسلها إلى قادة جيشه. وتكررت العملية مع عمر عندما تولى الخلافة، وتكررت مع عثمان عندما آلت إليه الخلافة، ولا خلاف في أن عثمان بن عفان قد منع قراءات القرآن المعتمدة وحصرها في قراءة واحدة ارتضاها شخصياً، وصارت هي القراءة الرسمية المعتمدة من دولة الخلافة<sup>(١٩)</sup>.

ويؤكد هذه الفكرة أيضاً الكاتب مير محمدی في كتابه بحوث في تاريخ القرآن، حيث يقول: "أما بالنسبة لما ورد من أن الجمع كان في زمن أبي بكر، فالظاهر أن مقصودهم هو أن أبي بكر قد أمر زيداً أن يستنسخ مصحفاً له من تلك الصحف المكتوبة على عهد النبي ﷺ، والمجموعة في مكان واحد، وقد أشار إلى هذا أبو شامة حيث قال في المقام: وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كُتب بين يدي النبي ﷺ، لا مجرد من الحفظ"<sup>(٢٠)</sup>.

### الأحاديث الواردة من طرق أهل البيت علیهم السلام في جمع القرآن الكريم

أما علماء الشيعة فقد قالوا بأن أول من جمع القرآن الكريم وكتبه هو الإمام علي بن أبي طالب علیهم السلام، تبعاً للروايات الواردة من طرق أهل البيت علیهم السلام، قال ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب: "ومن عجب أمره -يعني أمير المؤمنين علیهم السلام- في هذا الباب أنه لا شيء من العلوم إلا وأهله يجعلون علياً قدوة، فصار قوله قبلة في الشريعة، فمنه سمع القرآن، ذكر الشيرازي في نزول القرآن وأبو يوسف يعقوب في تفسيره عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ كان النبي يحرك شفتيه عند الوحي ليحفظه، فقيل له: لا تحرك به لسانك، يعني بالقرآن لتعجل به من قبل أن يفرغ به من قراءته عليك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: ضمن الله محمداً أن يجمع

القرآن بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليهما السلام، قال ابن عباس: فجمع الله القرآن في قلب علي وجمعه علي بعد موت رسول الله ﷺ بستة أشهر. وفي أخبار أبي رافع أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي: يا علي هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه علي في ثوب فمضى إلى متراه فلما قُبض النبي ﷺ جلس على فألفه كما أنزله الله، وكان به عالماً. وحدثني أبو العلاء العطار والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن علي بن رياح أن النبي ﷺ أمر علياً عليهما السلام بتاليف القرآن فألفه وكتبه. جبلة بن سحيم، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليهما السلام قال: لو ثبتت لي الوسادة وعرفت لي حتى لأخرجت لهم مصحفاً كتبته وأملأه علي رسول الله ﷺ<sup>(٢١)</sup>.

#### تصريح مصادر أهل السنة برأي علماء الشيعة

وقد وافقهم في ذلك بعض علماء أهل السنة والجماعة، حيث قال ابن سعد في الطبقات الكبرى: "أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب بن عون عن محمد قال علي: آليت بيمين أن لا أرتدي برداي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن". قال: فزعموا أنه كتبه على تتريله، قال محمد: "لو أصيّب ذلك الكتاب كان فيه علم"<sup>(٢٢)</sup>، وقال العلامة أبو المؤيد أخطب خوارزم في المناقب: "أنبأني أبو العلاء الحسن بن أحمد... إلى أن قال": عن علي بن رياح أنه قال: جمع القرآن على عهد رسول الله علي بن أبي طالب"<sup>(٢٣)</sup>، وقال ابن الأثير في أسد الغابة: "وهو -أبو بكر- أول من جمع القرآن، وقيل علي بن أبي طالب أول من جمعه"<sup>(٢٤)</sup>، وقال ابن أبي الحميد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: "انقق الكل على أنه -أي علي بن أبي طالب- كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله، ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبي بكر، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفًة للبيعة، بل يقولون تشاغل بجمع القرآن، فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن"<sup>(٢٥)</sup>، وقال ابن جزي الكلبي: "كان القرآن على عهد رسول الله مفرقًا في الصحف وفي

صدور الرجال، فلما توفي جمعه علي ابن أبي طالب على ترتيب نزوله<sup>(٢٦)</sup>، وقال ابن حجر: "وقد ورد أن علياً جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي. أخرجه ابن أبي داود"<sup>(٢٧)</sup>، وقال العلامة المحدث الشيخ علي بن برهان الدين الشافعي في السيرة الحلبية: "هو -أي علي بن أبي طالب- أول من جمع القرآن وسماه مصحفاً"<sup>(٢٨)</sup>.

كلمات علماء الشيعة في جمع القرآن الكريم

وأما علماء الشيعة، فقد اتفقوا على أن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام هو أول من جمع القرآن وكتبه، سواء كان ذلك في حياة النبي الأكرم عليهما السلام، أم بعد ارتحاله للرفيق الأعلى مباشرة وبأمر منه -تبعاً لاختلاف الروايات-.

جاء في كتاب مناقب أمير المؤمنين محمد بن سليمان الكوفي: "عن السدي قال: قال ابن عباس: أول من أسلم علي قبل الناس بسبعين، وكان أول من جمع القرآن"<sup>(٢٩)</sup>، وقال الشيخ الصدوق: "إن القرآن الذي أنزله الله عليه عليه عليه على محمد عليه عليه عليه هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس"<sup>(٣٠)</sup>، وقال علم الهدى السيد المرتضى: "كان القرآن على عهده عليه عليه عليه مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن. واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتى عين جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي عليه عليه عليه ويتلى عليه، وأن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عليه عليه عليه عدة ختمات. وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتبًا غير مببور ولا مبثور"<sup>(٣١)</sup>، وقال الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي: "أما الروايات عن أهل البيت عليه عليهم السلام في أن علياً أول من جمع القرآن على ترتيب النزول، ففوق حد الإحصاء"<sup>(٣٢)</sup>، وذكر السيد نعمة الله الجزائري في كتابه نور البراهين: "أنه روی أن أمير المؤمنين عليه عليه عليه لما جمع القرآن بعد وفاة النبي عليه عليه عليه، شدہ برداۓہ وآتی به إلى

المسجد إلى أبي بكر وأصحابه، وأخبرهم أن هذا القرآن كما أنزل، وأن النبي ﷺ أمره بجمعه، فقال الأعرابي: لا حاجة بنا إليه، عندنا مثله، فحمله عليه وقال: لن يراه أحد حتى يظهر ولدي المهدى، فيحمل الناس على تلاوته والعمل بأحكامه، ولما تخلف الأعرابي أرسل إلى أمير المؤمنين عليه حيلة منه على إحرافه، كما أحرق قرآن ابن مسعود، فلم يرض عليه<sup>(٣٣)</sup>، وقال الميرزا محمد المشهدى فى تفسير كنز الدقائق: "فقد كان -الإمام علي عليه السلام- أول من جمع القرآن وعلى هامشه الكثير من تفسير مجمله وتبيين معضله، كان عليه قد شرح أسباب النزول، وبين موقعه وتاريخه، والأفراد أو الجماعات الذين نزلت فيهم الآيات، كما كان قد أشار إلى موقع عموم الآيات من خصوصها ومطلقها ومقيداتها وناسخها ومنسوخها ومجملها ومبينها، بل وجميع ما يحتاج إليه المراجع عند فهم الآيات، كل ذلك على الهاشم، تتماماً للفائدة"<sup>(٣٤)</sup>، وقال الشيخ محمد هادي معرفة في كتابه تلخيص التمهيد: "أول من تصدى لجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرةً وبوصية منه هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد في بيته مشتملاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل، مع شروح وتفاسير لمواضع مبهمة من الآيات، وبين أسباب النزول ومواقع النزول بتفصيل حتى أكمله على هذا النمط البديع"<sup>(٣٥)</sup>، وقال السيد عبد الحسين شرف الدين: "كان القرآن مجموعاً أيام النبي ﷺ على ما هو عليه الآن من الترتيب والتنتسيق في آياته وسوره وكلماته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان"<sup>(٣٦)</sup>، وقال السيد الخوئي في كتابه البيان في تفسير القرآن، مستدلاً على جمع القرآن بروايات الثقلين: "إن أخبار الثقلين المتطاءفة تدلنا على أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ"<sup>(٣٧)</sup>، وقال في موضع آخر: "وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة، وفي قول النبي ﷺ: «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي»، وفي هذا دلالة على أنه كان مكتوباً مجموعاً، لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما

كتب في اللحاف والمسبب والأكتاف، فإن لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزءاً غير مجتمع، فضلاً عما إذا لم يكتب، وكان محفوظاً في الصدور<sup>(٣٨)</sup>، وقال أيضاً: إن المتصل لأحوال الصحابة وأحوال النبي ﷺ يحصل له علم اليقين بأن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ، وأن عدد الجامعين له لا يستهان به<sup>(٣٩)</sup>، وقال السيد محمد باقر الحكيم في كتابه علوم القرآن: "هذه العناصر الخمسة -أهمية القرآن الكريم، والخطر في تعرضه للتحريف بدون التدوين، وإدراك النبي ﷺ لهذا الخطر، ووجود إمكانات التدوين، وحرص النبي ﷺ على القرآن والإخلاص له- هي التي تكون اليقين بأن القرآن الكريم قد تم جمعه وتدوينه في زمن الرسول ﷺ، لأن أهمية القرآن الذاتية مع وجود الخطر عليه والشعور بهذا الخطر، وتتوفر أدوات التدوين والكتابة، ثم الإخلاص للقرآن، حين تجتمع لا يبقى مجال للشك بتدوين القرآن في عهد رسول الله ﷺ وكتابته في زمانه"<sup>(٤٠)</sup>، ويقول أبو محمد الخاقاني في كتابه مع الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب: "من البعيد جداً أن يمضي رسول الله من هذه الدنيا ثم لا يأمر بجمع ما نزل عليه من سور وأيات يريد أن يتعدى بها الكافرين عامةً، ويريد أن يجعلها نبراساً لأمته، ومرجعاً من أراد أن يرجع لأصول الدين وفروعه، وقوله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله و...) يدل على أن كتاب الله كان مجموعاً وممهياً للرجوع له، وهذا قول عمر في ذلك الحين: (يكفيانا كتاب الله، ما فرط الله فيه من شيء)، فإن هذه فرائض صحيحة تدل على أنه كان مجموعاً وجاهزاً للرجوع والاستفادة منه في المهمات والأزمات. وإذا ثبت أنه جمع فليس هناك جامع له إلا علي بن أبي طالب، لأنه هو الشخص الوحيد من كتاب الوحي الذي كان طوع أمر الرسول وحاضراً عنده في سفره وحضره، وهو الذي لازمه ملازمة الظل من أول بعثته، أي من أول نزول الوحي إلى ساعة وفاته"<sup>(٤١)</sup>.

## طريق الجمع بين الأخبار والأقوال

إن طريق الجمع بين الأخبار والأقوال التي تتفق على أن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام هو أول من جمع القرآن على الرغم من اختلافها في التوقيت - هو أنه من المحتمل أن الإمام علي عليهما السلام قد جمع القرآن الكريم مرتين، الأولى كانت في عهد الرسول عليهما السلام، حيث إنه كتبه بإملاء من الرسول عليهما السلام، وجمعه في مصحف واحد كنص قرآني، من دون شرح وتفسير للمواضع المبهمة من الآيات، ومن دون بيان أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمطلق والمقييد والمحمل والمبين والخاص والعام، أما الجمع الثاني، والذي حصل بعد وفاة النبي الأكرم عليهما السلام، فقد كان جمعاً تفسيرياً إضافةً إلى النص القرآني، فقد كان على هامشه الكثير من تفسير الجمل وتبين المعضل، وشرح أسباب النزول، وبيان الحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، والأفراد والجماعات التي نزلت فيهم الآيات، وجميع ما يحتاج إليه الناس.

ويؤيد ذلك -إضافةً لما تقدم- جملة من النصوص:

منها: ما أورده الكليني في الكافي في رواية عن الإمام الصادق عليهما السلام حيث قال: «إذا قام القائم عليهما السلام قرأ كتاب الله عليه عليهما السلام على حدّه، وأخرج المصحف الذي كتبه عليه عليهما السلام وقال: أخرجه على عليهما السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عليه عليهما السلام كما أنزله الله على محمد عليهما السلام، وقد جمعته بين اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونـه بعد يومكم هذا»<sup>(٤٢)</sup>.

وظاهر الرواية بأن المصحف الذي أخرجه عليه عليهما السلام إلى الناس هو غير المصحف الذي عندهم، أي أن هناك مصحفاً آخرأ.

ومنها: ما ذكره ابن شهر آشوب في مناقبه، حيث قال: "وفي أخبار أهل

### المواهش:

- (١) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٥ ص ٢٩٠، وأيضاً لاحظ كتاب الغدير للعلامة الأميني، ج ١ ص ١٧٦.
- (٢) قال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٣١٧: سمعت جدي ينشد في مجالس وعظه ببغداد سنة [٥٩٦ هـ] بيتبين ذكرهما في كتاب تبصرة المتبدى وهما:

البيت عليه السلام: أنه عليه السلام ألى على نفسه أن لا يضع رداءه على عانقه إلا للصلوة حتى يؤلف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدةً إلى أن جمعه، ثم خرج إليهم به في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فأنكروا مصيره بعد انقطاع الألبة. فقالوا: لأمرِ ما جاء أبو الحسن، فلما توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثم قال: إن رسول الله عليه السلام قال: «إن مخلفكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي». وهذا الكتاب وأنا العترة. فقام إليه الثاني وقال له: إن يكن عندك قرآن فعندها مثله، فلا حاجة لنا فيكما، فحمل عليه السلام الكتاب وعاد به بعد أن ألزمهم الحجة.

وفي خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام: أنه حمله وولى راجعاً نحو حجرته وهو يقول ﴿فَتَبَدُّوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْهُ بِهِ ثَمَّا قَلِيلًا فِي شَيْءٍ مَا يَشْتَرُونَ﴾<sup>(٤٣)</sup>.

والتحصل مما ذكر أنه لا منافاة بين الأخبار الواردة من طريق أهل البيت عليه السلام في مسألة جمع القرآن الكريم، حيث إنها تشير إلى نحوين من الجمع، الجمع الأول هو جمع النص القرآني، وقد كان ذلك في زمن النبي عليه السلام، بينما الجمع الثاني الذي وقع بعد وفاة النبي الأكرم عليه السلام وبأمر منه، فهو جمع القرآن الكريم على ترتيب نزوله، وقد كان على هامشه الكثير من تفسير الجمل وتبيين المعنى، وشرح أسباب النزول، وبيان الحكم والتشابه والناسخ والنسخ، والأفراد والجماعات التي نزلت فيها الآيات، وجميع ما يحتاج إليه الناس.

أهوى علياً وإيماني محبه  
كم مشرك دمه من سيفه وكفا (أي سال)  
إن كنت وتحك لم تسمع فضائله  
فاسمع مناقبه من هل أتى وكفى

- (٣) صحيح البخاري، ٩٨/٦، كتاب تفسير القرآن، حديث ٤٣١١.
- (٤) منتخب كنز العمال بهامش مسنن أحمد ٢/٤٣.
- (٥) مسنن أحمد ج ٥ ص ١٣٤.
- (٦) كنز العمال، المتقي الهندي: ٣٦١/٢.
- (٧) صحيح البخاري: ٩٩/٦، كتاب الجهاد والسير، حديث ٢٥٩٦.
- (٨) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص ٢٤٥.
- (٩) كنز العمال، المتقي الهندي ج ٢ ص ٥٧٤.
- (١٠) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ج ١ ص ٢٨١.
- (١١) صحيح البخاري: ٢٠٢/٦، كتاب المناقب، باب القراء من أصحاب النبي، حديث ٣٥٢٦.
- (١٢) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، ص ٢٥٢.
- (١٣) الإنقان: ١٠٣/١، النوع ١٨.
- (١٤) صحيح البخاري: ٩٩/٦، كتاب الجهاد والسير، الحديث ٢٥٩٦.
- (١٥) خلاصة الأقوال، العلامة الحلبي، ص ١٣١.
- (١٦) رجال الطوسي، الشيخ الطوسي، ص ٣٥.
- (١٧) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ص ٢٥٧. وراجع كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٢ ص ٥٨٠.
- (١٨) تاريخ المدينة، ابن شيبة، ج ٣ ص ١١٣٦.
- (١٩) مساحة للحوار، أحمد حسين يعقوب، ص ١٠٩.
- (٢٠) بحوث في تاريخ القرآن، مير محمد زرندي، ص ١٢٤.
- (٢١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ١ ص ٣١٩.
- (٢٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨.
- (٢٣) المناقب ص ٥٦.

- (٢٤) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٢٤.
- (٢٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧.
- (٢٦) التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١ ص ٤٧.
- (٢٧) الإنقان، ج ١ ص ٧١.
- (٢٨) السيرة الخلبية ج ٣ ص ٣٦٠.
- (٢٩) مناقب أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمَنَّاءُ ، محمد بن سليمان الكوفي ص ٢٩٢.
- (٣٠) كتاب الاعتقاد ص ٦٣.
- (٣١) مجمع البيان، ج ١ ص ١٥.
- (٣٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٦، ص ١.
- (٣٣) نور البراهين، السيد نعمة الله الجزائري ج ١ ص ٥٢٨.
- (٣٤) تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدی، ج ١، ص ٥.
- (٣٥) تلخيص التمهید، محمد هادي معرفة، ج ١، ص ١٤٨.
- (٣٦) آراء علماء المسلمين، سید مرتضی الرضوی ص ١٥٠.
- (٣٧) البيان في تفسير القرآن، الخوئي ص ٢٥٠.
- (٣٨) ن، م ، ص ٢٥٢.
- (٣٩) ن، م ، ص ٢٥١.
- (٤٠) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ص ١٠٤.
- (٤١) مع الخطوط العريضة لحب الدين، الحقاني ص ٤٦.
- (٤٢) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٣٣.
- (٤٣) مناقب ابن شهرآشوب، ابن شهرآشوب، ج ٢، ص ٤٠.



## القراءات السبع .. نشأتها وحجيتها

### جسر على المأكلي

القراءة مصطلحٌ قديمٌ يرجع عهده إلى عهد الصحابة الأولين، ويقصد به طريقة التلفظ بتلك الأحرف المرسومة في المصحف خاصة، ونظرًاً لعوامل مختلفة -سيأتي ذكر بعضها لاحقًا- جعلت من القراءة أمراً ليس موضع اتفاق بين القراء، نظير عدم التنقيط واختلاف اللهجات وغيرها، حيث عمد جماعة من كبار الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ إلى جمع القرآن في مصاحف، وربما اختلفوا في ثبت النص أو في كيفية قراءته، ومن ثمَّ اختلفت مصاحف الصحابة الأولى<sup>(١)</sup>.



## نماذج من اختلاف القراءات

لا شك أن اختلاف مصاحف الأمسكار كان من أهم عوامل نشوء الاختلاف في القراءات، وإليك بعض النماذج للاختلافات ومقارنته بين المصاحف الأخرى: قرأ ابن عامر -مقرئ الشام- **﴿جَاؤُوا بِالْبَيْنَاتِ وَ(بـ) الْزُّبُر﴾**<sup>(٢)</sup> بالياء بينما بقية القراءات بغير الباء<sup>(٣)</sup>.

قرأ نافع: **﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾**<sup>(٤)</sup> بضم الياء وكسر الزاي في كلمة (يحزن) في جميع القرآن إلا في قوله تعالى: **﴿لَا يَحْزُنْهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾** فإنه قرأها كما قرأها الباقيون في جميع القرآن بفتح الياء وضم الزاي<sup>(٥)</sup>.

قرأ حمزة وابن كثير والكسائي قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيقَاتَنَا إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ ثُمَّ تَوَكَّلُوكُمْ إِلَّا قَلِيلًا مُّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾**<sup>(٦)</sup> لا يعبدون -بالياء- بينما بقية القراءات بالتاء.

قرأ حمزة والكسائي قوله تعالى: **﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا﴾** -في الآية السابقة- بفتح الحاء والسين، بينما الباقيون قرأوها **﴿حُسْنَا﴾** بضم الحاء وإسكان السين<sup>(٧)</sup>.

## عوامل نشوء الاختلافات

إن القراء السبعة لم يعاصروا النبي ﷺ حتى يسمعوا كلامه بأذنهم، بل إنما رأوا القرآن مكتوباً أمامهم، حيث كانت آيات القرآن فاقدة للنقط والألف وسائر خصوصيات الإعراب، فاختلقو في قراءتها، فقرأ كل واحد منهم على حسب فهمه واجتهاده أو لهجته<sup>(٨)</sup>.

فأما كونهم لم يعاصروا النبي ﷺ فمن المسلمين، فإن أقدمهم هو عبد الله بن عامر الدمشقي -قد ولد في السنة الثامنة بعد الهجرة، أي قبل وفاة النبي

الأكرم عليهما وآله بستين<sup>(٩)</sup>، هذا فضلاً عن البقية، وقد نصح هذا الأمر السيد الخوئي رحمة الله عليه<sup>(١٠)</sup>. ونذكر هنا عاملين من العوامل التي سببت الاختلاف في القراءات:

### ١- خلو الآيات من النقط:

نظراً لكون بعض الأحرف في اللغة العربية تتشابه في الرسم ويكمم الفرق في عدد النقط أو في مكان النقط لذا نشأت بعض الاختلافات في القراءة، فمثلاً قرأ الكسائي قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(١١)</sup> (فتثبتوا) غير ما قرأها الباقيون<sup>(١٢)</sup>، وأيضاً قرأ عامر وحفص قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبَدِّلُوا الصَّدَقَاتِ فَعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتَؤْثُرُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفَّرُ عَنْكُم مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾<sup>(١٣)</sup> بينما البقية قرأ: ونكفر<sup>(١٤)</sup>.

### ٢- تأثير اللهجة:

لا شك أن كل أمة وإن كانت ذات لغة واحدة لكن لهجاتها تختلف حسب تعدد القبائل والأفخاذ المنشوبة منها، فهكذا كانت القبائل العربية تختلف بعضها في اللهجة وفي التعبير والأداء، وقد سبب ذلك اختلافاً في القراءة، فمثلاً قرأ ابن كثير: ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾<sup>(١٥)</sup> بالواو المهموزة (بالسوق)<sup>(١٦)</sup> ، وقرأ نافع: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد﴾<sup>(١٧)</sup> بضم الكاف وفتح الفاء مخففاً<sup>(١٨)</sup>.

### حجية القراءات

وقع الخلاف في حجية القراءات، فمن ادعى حجيتها وادعى إجماع الإمامية على جواز القراءة بالقراءة المتداولة بين القراء شيخ الطائفة الشيخ الطوسي<sup>(١٩)</sup>. ولديل ذلك: "بعد البناء على عدم ثبوت توادر القراءات مما دل على حجية خبر الواحد نظراً إلى تعين طرقها في الآحاد حينئذ"<sup>(٢٠)</sup>.

ولكن هناك من خالف شيخ الطائفة، من جملتهم السيد الخوئي<sup>(٢١)</sup> والوجه في ذلك:

- أ- عدم ثبوت كون القراءات من قبيل الرواية، لأن من المحتمل قوياً كونها من اجتهادات القراء، بل هو الظاهر.
- ب- عدم ثبوت وثاقة الرواة -الذين رووا القراءة عن القراء- في جميع الطبقات.

ج- العلم الإجمالي القطعي بعدم صدور بعض هذه القراءات، نظراً إلى تساقطها بالتعارض المستقر بينها، على فرض حجيتها بأجمعها، لعدم إمكان الجمع بينها.

ولا يخفى أن توادر القرآن لا يستلزم توادر القراءات السبع كلها، كما أن عدم توادر القراءات السبع لا يستلزم عدم توادر القرآن، وذلك لما بين القرآن والقراءات من الفرق والمغايرة، كما أشار إليه جلال الدين السيوطي وما نقله في ذلك عن الزركشي، حيث قال: "القرآن والقراءات حققتان متقابلتان، فالقرآن هو الوحي المتصل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز. والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل هي مشهورة. قال الزركشي: والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة. أما توادرها عن النبي ﷺ ففيه نظر. فإن إسنادهم بهذه القراءات السبعة موجودة في كتب القراءات. وهي نقل الواحد عن الواحد"<sup>(٢٢)</sup>.

وقد وجَّه السيد الخوئي عدم التنافي بين اختلافات القراءات وبين توادر أصل القرآن بما حاصله: أنَّ أصل القرآن هو مواد الآيات، وهي متواترة وأما القراءة فهي هيئة الآيات وإعرابها. وهي مختلفة غير متواترة ولا تنافي في ذلك، قال: "إن الاختلافات في القراءة إنما يكون سبباً لالتباس ما هو القرآن بغيره، وعدم تمييزه من حيث الهيئة أو من حيث الإعراب، وهذا لا ينافي توادر أصل القرآن، فالمادة متواترة

وإن اختلف في هيئتها أو في إعرابها، وإحدى الكيفيتين أو الكيفيات من القرآن قطعاً  
وإن تعلم بخصوصها<sup>(٢٣)</sup>.

### بعض الثمرات المترتبة على اختلاف القراءات

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فاغسلُوا وُجُوهَكُمْ  
وأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَاقِقِ وامسحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وارجِلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>(٢٤)</sup>.  
قرأ نافع وابن عامر وعاصم برواية حفص والكسائي: (وارجلكم) بالنصب،  
وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم برواية ابن عياش: (وارجلكم)  
بالخفض<sup>(٢٥)</sup>.

حسبوا أنَّ في قراءة النصب العطف على مدخل الغسل، وفي قراءة المخفض  
العطف على مدخل المسح! وبذلك اختلف أهل النظر: هل يجب غسل الأرجل أم  
مسحها؟ ولكن يلاحظ أنَّ في كلتا القراءتين دليلاً على القول بالمسح لا غير،  
حيث أن النصب عطفٌ على محل المجرى، ولا يجوز العطف على مدخل  
(فاغسلوا) نظراً للفصل بالأجنبي، وهو غير جائز في الفصيح من لغة العرب، فلا  
يحمل عليه القرآن النازل على أفعى اللسان وأفشاها.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرُنَّ﴾<sup>(٢٦)</sup>.

استدل بهذه الآية لحرمة وطء الزوجة المائض بعد نقايتها من الحيض وقبل  
أن تغتسل، بناءً على قراءة الكوفيين -غير حفص- (يَطْهُرُنَّ) بتشديد الطاء  
والهاء.

واستدل بها لجواز وطتها حينئذ، بناءً على قراءة غير الكوفيين بتخفيف  
الطاء، كما أشار إلى ذلك الشيخ الطوسي بقوله: " فمن قال: لا يجوز وطئها إلا بعد  
الطهر من الدم والاغتسال، تعلق بالقراءة بالتشديد، فإنها تقيد الاغتسال. ومن قال:  
يجوز، تعلق بالقراءة بتخفيفه وأنها لا تقيد الاغتسال، وهو الصحيح"<sup>(٢٧)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْسُ النِّسَاء﴾<sup>(٢٨)</sup>.

فقد وقع الخلاف في نقض الوضوء بلمس النساء وعدمه، إذ بناءً على قراءة (لمستم) -بلا ألف- استدل بهذه الآية لنقض الوضوء باللمس. وقد أجاد في تحرير المطلبشيخ الطائفة بقوله: "قرأ حمزة والكسائي (أو لمستم النساء) بغير ألف والباقون (لامستم) بألف. فمن قرأ (لامستم) بألف قال: معناه الجماع، وهو قول علي عليه السلام وابن عباس ومجاحد وقتادة وأبو علي الجبائي واختاره أبو حنيفة. ومن قرأ بلا ألف، أراد اللمس باليد وغيرها بما دون الجماع. ذهب إليه ابن مسعود وعبيدة ابن عمرو الشعبي وإبراهيم وعطاء واختاره الشافعي، وال الصحيح عندنا هو الأول"<sup>(٢٩)</sup>.

### تعدد القراءات وجوازها في الصلاة

اختلف نظر العلماء الأعلام في سعة القراءة الجائز ذكرها في الصلاة وضيقها، فمنهم من جوّز القراءة بأي قراءة كانت حتى لو لم تكن من القراءات السبع، كالسيد صاحب العروة حيث يكتفى لديه أن تكون بالنهج العربي فإنه يقول: "الأحوط القراءة بإحدى القراءات السبعة، وإن كان الأقوى عدم وجودها، بل يكفي القراءة على النهج العربي وإن كانت مخالفة لهم في حركة بنية أو إعراب".<sup>(٣٠)</sup>

وأما البعض الآخر فإن الالتزام بالنهج العربي فقط لا يكفي لديه كالسيد الحوئي عندما يقول: "إن الواجب هو قراءة القرآن بخصوصه لا ما تصدق عليه القراءة العربية الصحيحة، نعم الظاهر جواز الاكتفاء بكل قراءة متعارفة عند الناس ولو كانت من غير السبعة"<sup>(٣١)</sup>، والشيخ زين الدين أيضًا يقول: "الأحوط أن يختار المكلف في القراءة ما يتداوله غالب المسلمين من القراءات، وإن كان الأقوى عدم تعين ذلك، فيجوز له أن يقرأ بما يوافق إحدى القراءات المعروفة، ولا يكفي أن يقرأ بما يخالف القراءات المعروفة، وإن كان موافقًا للنهج العربي"<sup>(٣٢)</sup>، ولكن هناك من اشترط كونها من القراءات المتداولة في عهد الأئمة عليهما السلام فيما يتعلق بالكلمات

والحروف<sup>(٣٣)</sup>، كالشهيد السيد محمد باقر الصدر فإنه يصرّح بهذا فيقول: "وأما إذا لم تكن القراءة مشهورة في صدر الاسلام فلا يسوغ الاعتماد عليها في تحديد النص القرآني، فهناك مثلاً من قرأ (ملك يوم الدين) وجعل (ملك) فعلاً ماضياً مبنياً على الفتح وهذا شاذ لا يسوغ الاعتماد عليه في الصلاة"<sup>(٣٤)</sup>.

### نظيرية أئمة أهل البيت عليهم السلام في القراءات السبع

وفي الختام نذكر ما رواه الفضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام حيث سأله عن اختلاف القراءات؟ وقال: إنَّ الناس يقولون: إنَّ القرآن نزل على سبعة أحرف. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «كذبوا -أعداء الله- ولكن نزل على حرف واحد من عند الواحد». وروي عن زرارة بسند صحيح عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إنَّ القرآن واحد نزل من عند الواحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»<sup>(٣٥)</sup>.

وما ذكره الإمام عليه السلام من أن الاختلاف جاء من قبل الرواة، يعلم من دراسة أسباب نشوء اختلاف القراءات عبر السنين، كما مر ذكره سابقاً.

### المواهش:

- (١) التمهيد في علوم القرآن، العلامة محمد هادي معرفة ج ٢: ص ٩.
- (٢) آل عمران: ١٨٤.
- (٣) مجمع البيان: ج ١، ٢: ص ٩٠٠.
- (٤) آل عمران: ١٧٦.
- (٥) مجمع البيان: ج ١، ٢: ص ٨٩٠.
- (٦) البقرة: ٨٣.
- (٧) مجمع البيان: ج ١، ٢: ص ٢٩٦.
- (٨) دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، الشيخ علي أكبر مازندراني ج ١ ص ٦١.
- (٩) البيان في تفسير القرآن، ص ١٤٠.

- (١٠) البيان في تفسير القرآن ص ١٤٠-١٦٢.
- (١١) الحجرات: ٦.
- (١٢) المكرر، لأبي حفص الأنصاري ص ١٤١.
- (١٣) البقرة: ٢٧١.
- (١٤) الكشف ج ١ ص ٣١٠.
- (١٥) ص: ٨٣.
- (١٦) شواد القراءة ص ٢٠٨.
- (١٧) الإخلاص: ٤.
- (١٨) البحر المحيط ج ٢: ص ٥٢٨.
- (١٩) راجع تفسير التبيان ج ١: ص ٧.
- (٢٠) دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية: الشيخ علي أكبر مازندراني ج ١: ص ٦١.
- (٢١) البيان في تفسير القرآن: ص ١٨٠.
- (٢٢) الإنقان ج ١، النوع ٢٢-٢٧: ص ٨٠.
- (٢٣) البيات في تفسير القرآن: ص ١٧٤.
- (٢٤) المائدة: ٦.
- (٢٥) النسر ج ٢: ٢٥٤.
- (٢٦) البقرة: ٢٢٢.
- (٢٧) التبيان ج ٢: ٢٢١.
- (٢٨) النساء: ٤٣.
- (٢٩) تفسير التبيان ج ٣: ٢٠٥.
- (٣٠) العروة الوثقى ج ٢: ص ١٩٧.
- (٣١) تعليقة العروة الوثقى ج ٢: ص ١٩٧.
- (٣٢) كلمة التقوى ج ٢: ص ١٧٣ مسألة ٤٧١.
- (٣٣) السيد السيستاني في تعليقته على العروة الوثقى ج ٢ ص ١٩٧.
- (٣٤) الفتاوى الواضحة: ٣٧٥.
- (٣٥) الكافي: ٢، كتاب نقل القرآن، باب النوادر، حديث ١٢ و ١٣.



# قرآننا والقواعد الأصولية والفقهية

(القسم الأول)

## قصي الشيخ على العربي

قرآننا، والكتاب والسنة والدليل العقلي

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>. تبين هذه الآية المباركة هنا جانباً من حقيقة الإيمان، وموافق الناس تجاهه، فمنهم من يجادل جدلاً خاويأً لا أساس له، حيث تشير هذه الآية إلى الحجة التي بدونها يصبح الجدال في الله باطلأً، وهي العلم والمهدى، أو الكتاب المير.

وللتوضيح نقول: إن الحجة بين الله وخلقه العقل، ومنه العلم والمعرفة، ومنه

الهـى، والـعـقـل يـدـل صـاحـبـه إـلـى اـتـبـاع الـكـتـاب الـمـنـير وـمـن لا يـكـلـكـ هـذـه الـحـجـة، فـإـنـا يـجـادـلـ فـي اللهـ بـاطـلاـ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ فـيـقـولـ: هـل اللهـ قـادـرـ عـلـى أـنـ يـبـعـثـ الموـتـىـ، أـوـ يـفـعـلـ ذـلـكـ؟ وـلـمـذـ؟ وـنـحـنـ نـسـتـوـحـيـ منـ الـآـيـةـ: أـنـ الإـيـانـ بـالـنـشـورـ فـرـعـ الإـيـانـ بـالـلـهـ، وـبـأـسـائـهـ وـمـنـهـ الـقـدـرـةـ وـالـحـكـمـةـ، بـلـ الإـيـانـ بـسـائـرـ حـقـائـقـ الـدـيـنـ إـنـا هـوـ فـرـعـ لـمـعـرـفـةـ اللهـ، كـمـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـعـرـفـ بـعـظـمـتـهـ وـحـكـمـتـهـ وـرـحـمـتـهـ بـعـبـادـهـ.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ماـ هيـ حـقـائـقـ هـذـهـ الـكلـمـاتـ الـتـيـ مـنـ قـسـكـ بـوـاحـدـةـ مـنـهـاـ فـازـ؟ لـمـفـسـرـيـنـ آـرـاءـ فـيـ هـذـاـ الـجـالـ أـقـرـبـهـاـ إـلـىـ الـعـقـلـ هوـ:

١- أـنـ الـعـلـمـ وـهـوـ سـلاحـ الـعـاقـلـ - يـعـتـبـرـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـاسـتـدـلـالـ الـعـقـليـ، وـهـوـ اـنـكـشـافـ الـحـقـائـقـ لـلـقـلـبـ بـنـورـ اللهـ.

٢- أـنـ الـهـىـ مـسـتـوـىـ أـقـلـ مـنـ الـعـلـمـ، وـيـعـتـبـرـ إـشـارـةـ إـلـىـ إـرـشـادـ الـقـادـرـ الـرـبـانـيـنـ، كـمـنـ يـيشـيـ فـيـ الصـحـراءـ تـائـهـاـ وـإـذـاـ بـهـ يـجـدـ عـلـامـةـ مـنـ بـعـيدـ تـدـلـهـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـتـيـ يـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـتـبـعـهـاـ. وـالـفـرـقـ بـيـنـ الـمـسـتـوـيـنـ (الـعـالـمـ وـالـمـهـتـدـيـ) أـنـ الـعـالـمـ يـتـلـكـ خـرـيـطـةـ مـفـصـلـةـ يـكـنـهـ الـاعـتـمـادـ عـلـيـهـاـ فـيـ مـسـيـرـهـ إـلـىـ اللهـ، فـهـوـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ عـلـامـةـ، أـمـاـ الـمـهـتـدـيـ فـهـوـ كـمـنـ يـتـبـعـ وـمـيـضـ نـورـ يـسـيرـ عـلـىـ هـدـاهـ.

٣- أـنـ الـكـتـابـ الـمـنـيرـ قـدـ لـاـ يـصـيـرـ إـلـيـهـ الـإـنـسـانـ عـالـمـاـ وـلـاـ مـهـتـدـيـاـ، فـيـكـونـ سـائـرـاـ عـلـىـ هـدـىـ عـالـمـ آـخـرـ، كـمـاـ لـوـ أـنـ جـمـاعـةـ مـنـ النـاسـ يـسـيـرـونـ فـيـ صـحـراءـ خـلـفـ دـلـيـلـ، وـالـدـلـيـلـ هـوـ الـعـالـمـ، وـقـدـ يـكـوـنـ الدـلـيـلـ هـوـ الـكـتـابـ الـمـنـيرـ، فـهـمـ يـسـيـرـونـ مـعـهـ أـئـمـةـ اـتـجـهـ وـهـوـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـكـتـبـ السـماـوـيـةـ، أـيـ أـنـاـ تـعـنـيـ الـأـدـلـةـ الـثـلـاثـةـ الـمـعـرـوـفـةـ (الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ وـالـدـلـيـلـ الـعـقـليـ).

وـيـحـتـمـلـ بـعـضـ الـمـفـسـرـيـنـ أـنـ (الـهـىـ) إـشـارـةـ إـلـىـ الـإـرـشـادـاتـ الـمـعـنـوـيـةـ الـتـيـ يـكـتـسـبـهـاـ الـإـنـسـانـ فـيـ ظـلـ بـنـاءـ الـذـاتـ وـتـهـذـيبـ الـنـفـسـ وـتـقـواـهـ، وـبـالـطـبعـ يـكـنـ ضـمـ

هذا المعنى إلى ما تقدم آنفًا. ويمكن أن يكون المجال العلمي مثمرًا إذا استند إلى أحد الأدلة: العقل، أو الكتاب، أو السنة<sup>(٢)</sup>.

### قراننا، وأقسام الفعل الإنساني

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

ذكر المفسرون تفسيرات متعددة، والتفسير الذي هو أفضل من البقية - كما عند تفسير الأمثل - هو أنّ أوامر متعددة و مختلفة نزلت من عند الباريء عزوجل، البعض منها واجب، وهو كل عمل أمرنا الله بفعله و وعدنا بالثواب عليه، كما توعّدنا بالعقاب إذا تركناه، كالصلوة، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدفاع عن الحق، وإقامة العدل... الخ. الآخر مستحب، وهو كل عمل حثّنا الله سبحانه على فعله، ووعدنا بالثواب إذا فعلناه، ولكن لا يعاقبنا إذا تركناه، كالدعاء، وصيام شعبان، وإلقاء التحية، وغسل الجمعة... الخ. والبعض الآخر مباح، وهو كل عمل أعطانا الله فيه حق الفعل والترك، فنحن مخيرون فيه، كاختيار نوع السكن، أو العمل، أو أكل الطعام، أو شرب الماء... الخ، شريطة أن لا نفعل حراماً، أو نحدث ضرراً. المراد من (أحسن) هو انتخاب الواجبات والمستحبات.

وقال ابن عباس: أي من الم合法 والمحرام، والأمر والنهي، والوعيد والوعيد، فمن أتي بالأمر به، وترك النهي عنه، فقد اتبع الأحسن<sup>(٤)</sup>.

ويبدو لبعض المفسرين هو أن الآية تحتمل ثلاثة معانٍ كلها هامة.

المعنى الأول: هو معرفة الواجبات وتطبيقاتها على أفضل وجه، لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾<sup>(٥)</sup>.

ولتقرير الفكرة نقول: إن الإنسان الذي يمرض ولده أو شخص عزيز عليه مرضًا خطيرًا، فإنه لن يبحث عن أي طبيب لعلاجه، إنما سيبحث عن أفضل

طبيبٍ ممكِن طمعاً في حصول الشفاء بأسرع وقت وأفضل صورة، والإنسان في حياته العامة يواجه خطراً مصرياً هو النار، وينبغي له لكي يخلص نفسه من شرّها أن يتعرّف على الواجبات والمستحبات ويؤديها على أفضل وجه، وكيف لا وقد ورد في الحديث: «هلك العاملون إلا العاملون، وهلك العاملون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم».

المعنى الثاني: وهو في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقُولَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(٦)</sup> وهو أن القرآن الكريم كله حسن، ولكن بالنسبة إلى ظروف كل شخص وعصره قد يختلف الأحسن، فعلى سبيل المثال: الصلاة والصيام والحج والع jihad و... كل ذلك مفروض على الناس، ولكن يتأكد على كل شخصٍ أحد هذه الواجبات أكثر من الآخرين، وأكثر من سائر الواجبات الأخرى، فالتااجر ينبغي أن يكون أقرب الناس إلى آيات التجارة والمعاملة وأعرفهم بها، بينما المقاتل يكون الأحسن له معرفته بآيات الجهاد والقتال، أما القاضي فالأخير له المعرفة بأحكام القضاء والحدود وما إلى ذلك، وهكذا بالنسبة للظروف التي تحيط بالشخص فإنها تحدد له الأحسن، فمثلاً للمجاهد في ظروف التقية ليس الإعلان عن نفسه بل الكتمان والسرية، إذن فموقع الإنسان وظروفه المحيطة هما اللذان يحددان الأحسن.

المعنى الثالث: التوحيد المخلص وهو أفضل ما أنزله الله على خلقه، وأعظم شيء يتجلّى فيه التوحيد هو اتباع القيادة الإلهية الحقة ورفض القيادات المترفة، وفي الخبر في تفسير الآية: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قال: «من القرآن ولولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهما السلام»<sup>(٧)</sup>.

ويبيّن القرآن الكريم بعد نهيّه لنا عن اليأس، ودعوته بالإنابة والتسليم لله، وأخيراً تأكيده على اتباع الأحسن، خلفيات هذه الموعظة وأهميتها بالنسبة

لإنسان فيقول: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، فهذا الإنسان الذي يتوغل في طريق الضلال، ويسرف في اقتحام الذنوب والموبقات، رافضاً الإنابة والتسليم لله، واتباع الأحسن سوف يجرّ على نفسه العذاب بألوانه، وسيفاجأ به، ليس لأنعدام النذر والعلامات الدالة عليه، بل لأنّ كثرة ممارسة الذنوب والإصرار عليها يسلب الإنسان أدنى أسباب المعرفة وهو الشعور، إذ يعيش عمق الغفلة والضلال.

ويتلخص لنا مما مضى: أن مراد الآية الشريفة هو: واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم، كإتيان الواجب والمستحب واجتناب الحرام والمكرور، والامتثال للأوامر الداعية إلى الاستغراق في ذكر الله تعالى وإلى حبه وإلى تقواه بحق وإلى إخلاص الدين له، فإن اتباع هذه الأوامر يدخل الإنسان في ولاء الله تعالى، وهي كرامة ليس فوقها كرامة، من قبل أن يجيئكم العذاب فجأة وأنتم لا تشعرؤن.

### قرآننا، وعدم إمكانية أن يكون الظن حجة

إن الله تعالى هو الذي يهدينا، فهو الذي وفر لنا العقل والسمع والبصر، وزود الأحياء بالغرائز التي اهتدوا بها إلى صلاحهم، إذاً فهل من الصحيح التسليم لله أم للشركاء الذين لا يهتدون إلا بقدر ما يهدفهم الله؟ فكيف يحكم المشركون باتباع من لا يهدي، بل ولا يهتدى إلا بصعوبة؟!

نعم، إنَّ المصدر الأساس والعامل الأصل لهذه الانحرافات هو الأوهام والظنون، فسبب ضلاله هؤلاء وحكمهم الفاسد هو أنهم يتبعون الظن والتصورات النابعة من خيالهم، والظن لا يعني عن الحق شيئاً، والله عليم بما يفعلون، نتيجة اتباعهم للظن من الأعمال السيئة.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ وفي النهاية تخاطب الآية -بأسلوب التهديد- مثل هؤلاء الأفراد الذين لا يتبعون أي منطق

سليم وتقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٩)</sup>.

من هنا، يعتبر جماعة من علماء الأصول هذه الآية وأمثالها دليلاً على أن الظن لا يمكن أن يكون حجة وسندًا بأي وجه من الوجوه، وأنَّ الأدلة القطعية هي الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها.

إلا أنَّ جماعة أخرى يقولون: إننا نلاحظ بين الأدلة الفقهية أدلة ظنية كثيرة، كحجية ظواهر الألفاظ، وشهادة الشاهدين العدولين، أو خبر الواحد الثقة وأمثال ذلك، ولذلك فإنَّ الآية المذكورة دليل على أنَّ القاعدة الأصلية في مسألة الظن هي عدم حجيته، إلا أنَّ ثبت حجيته بالدليل القطعي كالأمثلة أعلاه.

إلا أنَّ الحق هو أنَّ الآية أعلاه تتحدث عن الظنون والأوهام التي لا أساس لها، كظنون وأوهام عبدة الأصنام فقط، ولا علاقة لها بالظن الذي يمكن الاعتماد عليه والموجود بين العقلاه وبناء على هذا فإنَّ هذه الآية وأمثالها لا يمكن الاستناد إليها بأي وجه في مسألة عدم حجيحة الظن.

### بين الظن والحق

ولأنَّ الشرك والطاعة العميم للأصنام وكهنتها، ورموز السلطة والشروة والرجعية -لأنَّه يسلب العقل ويلغي دوره- فإنَّ المشركين يتبعون التصورات والظنون وهي لا تجديهم شيئاً، ذلك لأنَّ الظن يعكس حالة صاحبه النفسية، ولا يعكس الحقيقة الخارجية، والإنسان زُوِّد بالعقل من أجل أن ينسق بين واقعه وبين الحقائق الخارجية، ويدرك عن نفسه أخطار هذا الواقع، ومثل هؤلاء كمن يرسم خريطة وهمية عن منطقة ثم يسير عليها دون أن يعتمد على عينه وأحساسه.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، والسؤال: لماذا يتبع هؤلاء الظن بينما زُوِّدوا بالعقل وال بصيرة؟

**الجواب:** إن المشركين يتبعون أهواءهم، ويجعلون هوى الذات وحب النفس محوراً لتحركهم، فهم لا يهدفون أبداً الوصول إلى الحق حتى يبحثون عن السبيل الذي يوصلهم إليه، وهو العلم ولذلك فهم يرتكبون الجرائم بعلم وإصرار.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعُلُونَ﴾، والله يجازيهم على أفعالهم، ولكن يذكرهم أيضاً بأن اتباع الظن هو طريق الخطايا، لكي يتتجنب المؤمنون ذلك، ويبحثوا عن المعرفة التي توصل إلى الحقيقة.

### قرآننا واتّباع الظن والذى يعني التخلص من مسؤولية الحق والعلم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنُّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾<sup>(١٠)</sup>.

المراد من الظنوں، هي الإفرازات السلبية للذهن البشري حينما تعمل فيه المؤثرات الخاطئة. واضح أنّ الكلمة "الظن" لها معنيان مختلفان: فتارةً تطلق هذه الكلمة على الأوهام التي لا أساس لها، وطبقاً لتعبير الآيات آنفة الذكر تعنى الخرافات والأوهام وما تهوى الأنفس، والمراد من هذه الكلمة في الآية هو هذا المعنى ذاته.

المعنى الآخر، الظن المعقول وهو ما يخطر في الذهن، ويكون مطابقاً للواقع غالباً، وعليه يكون مبني العمل في اليوم -مرةً أو أكثر- كشهادة الشهود في المحكمة وقول أهل الخبرة وظواهر الألفاظ وأمثال ذلك، فلو أعرضنا عن مثل هذه الأمور وعوّلنا على اليقين القطعي لاضطربت الحياة واختلّ نظامها.

وبالتذكرة في هذه الآية وما سبقها في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾<sup>(١١)</sup>. نجد أن القرآن الكريم ينسف أفكار ومعتقدات المشركين من أساسها نسفاً، وذلك ببيان أنها لا رصيد لها أبداً

من الواقع والحق، وأنها لا تقوم إلا على الأوهام والظنون. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾ أي: ليست هذه الأصنام الآلهة إلا أسماء ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: وضعتموها ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ ليس لها مصاديق وسميات ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: ما أنزل الله معها أي برهان يستدل به على الوهيتها، ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: برهان وحجة. فهي لا واقعية لها، وليس لديكم دليل من العقل، ولا دليل عن طريق الوحي على مدعاكم، وليس لديكم إلا حفنة من الأوهام والخيالات الباطلة. فهي إنما مجرد أسماء ورموز لا سميات لها، ولعلّ معنى ذلك أن قوة هذه الأصنام نابعة من ظنونكم وأوهامكم، لا من واقع حق وراء ذلك، أو ليس ما يتصوره البشر من صور خيالية قائمة بنفسها، ويكتفي لإزالتها مجرد توقف الخيال عن تصورها؟ لهذا لو أوقف المشرك توهّمه لقدسية الأصنام فسوف لا يبقى منها شيء، وكذلك الطغاة وهي الأصنام البشرية، تزول قوتهم وهيبتهم ب مجرد إحساس المستضعفين بواقع أمرهم وانتزاع وهم القدسية عنهم، أليس كذلك؟

ثم إنّ هذه الأسماء لا شرعية لها، لأن الشرعية تأتي من عند الله وحده، وليس هناك دليل على أنّ الله أمر بعبادتها أو التوسل بها إليه. وإنما قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ وَأَخْضَافُ إِلَيْهَا﴾ و﴿آبَاؤُكُمْ﴾ لكي يؤكّد مسؤوليتهم عن انحرافهم، وأنه لا يجوز إلقاء مسؤولية الانحراف على آبائهم وحدهم، ونستوحى من هذه الآية أنّ منهج المشركين الخطأ خليطٌ من أمور ثلاثة:

**الأول:** وراثة الضلال من الآباء، بينما الشرعية الحقيقية يأخذها الإنسان من ربّه لا من آبائه.

**الثاني:** الظنون، وهي الإفرازات السلبية للذهن البشري حينما تعمل فيه المؤثرات الخطأ.

**الثالث:** أهواء النفس، ودورها: التمهيد للظنون أولاً، وترسيخها كما ترسخ

ذلك التقديس المخاطئ للآباء، لأنها تلتقي معه ثانيةً。﴿إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظُّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾.

وبالتدبر في هذه الآية وما سبقها يتضح لنا أن حركة الإنسان نحو الزيف تبدأ من أهواء النفس الذي يتحول إلى قن، إلى ظنٍ (خيال)، ثم تتحول التمنيات إلى عقيدة وفكرة، ثم يؤطر البشر ذلك برموز وأسماء يزعمونها، فالآصنام إذن ليست رموزاً للملائكة ولا القوى الطبيعية، إنما هي تحليات للأهواء النفسية والمصالح المادية، فحينما يحب الإنسان الثروة، ويتخيل لهذا الحب رمزاً ومذهباً، ثم حينما يعبده فهو لا يعبد الصنم ولا الثروة، إنما يعبد أهواء وشهواته، وهكذا الذي يعيش الجمال أو الجنس... ولو قمنا بدراسة تحليلية عن الأوثان والأصنام التي عبدها الجاهلون في شبه الجزيرة العربية، أو تلك التي علقوها في الكعبة، أو الأخرى التي تقدس وتعبد هنا وهناك، لخلصنا إلى نتيجة واحدة وهي أنها ترمز إلى قوى اجتماعية واقتصادية وسياسية أو ثقافات وتقاليد وأساطير عند أصحابها، وأن عبادتها ليست إلا عبادة للأوهام والأهواء المتجددة في نفوسهم.

وهذا الضلال ليس نتيجة انعدام الهدى أو غموضه، فقد جاءهم الهدى من ربهم، وعلى لسان أفضل خلقه وأبلغهم وهم الأنبياء، ولكنهم تركوا العقل إلى الجهل، والعلم إلى الظن، والهدى إلى الهوى.

ويتلخص لنا من توضيح الآية المباركة ما يلي: أي: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظُّنُّ﴾ من الخيالات والأوهام، ﴿وَإِنَّ الظُّنُّ﴾ من الأوهام ﴿لَا يُغْنِي﴾ أي: لا يجدي ﴿مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ في الوصول إلى الحق.

### قرآننا، وقاعدة عدم حجية الظن

لقد أثبت علماء الأصول بجملة ﴿أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أُمَّ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾<sup>(١٢)</sup> قاعدة عدم حجية الظن، وقالوا: إن هذا التعبير يوضح أنه لا يمكن إثبات أي

حكم من الأحكام الإلهية بدون القطع واليقين، وإلا فإنه افتراء على الله وحرام<sup>(١٣)</sup>.

### قرآننا، وأية أخرى على عدم حجية الظن

قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ  
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُونَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا  
يَخْرُصُونَ﴾<sup>(١٤)</sup>.

خلفية الخوف من الجبٍ والطاغوت هو الشرك بالله، وفي هذه الآية يذكرنا ربنا بحقيقة الشرك الذي ليس هو سوى الظن والوهم (تصورات وخيالات) بينما الله وحده مالك كل من في السماوات والأرض، ومن بينها أولئك: المعبودون من دون الله باسم الشركاء، وأنظمة الحياة التي تساعد الأحياء على البقاء، إنها بدورها من الله، فهو الذي جعل الليل ليسكن فيه الأحياء، وجعل النهار مضيئاً، كل ذلك آيات لمن يفتح أذنه للسماع. وليس من قوة في الأرض ولا في السماء إلا وهي خاضعة لله.

وتوسيحاً للآية الشريفة نقول: لا خوف على المؤمنين بل لهم النصر والعزة، وأن أصحاب السلطة ليسوا في الواقع سوى مملوكي الله، كما أن الملائكة والجن من سكان السماوات الذين يعبدون من دون الله، ويزعم البسطاء أن لهم تأثيراً حاسماً على أحداث الحياة ويعيشون الرعب من تأثيراتهم، كل أولئك مملوكي الله.

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ الكافرون آهتُهم ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ على أنها ﴿شُرَكَاءَ﴾ الله على الحقيقة، إذ لا دليل ولا برهان لهم على كلامهم، فإنهم ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظُّنُونَ﴾ والأوهام وليسوا على يقين بما هم فيه، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يخمنون أو يكذبون والخرص هو كل قول أطلق عن ظن وتخمين. ففي الحقيقة هؤلاء ليسوا

شركاء لله، بل عباد مريوبون، كأي شخص أو شيء آخر، وفي الواقع اتباعهم لهؤلاء نابع من التصور والوهم.

فالخلفية الشرك بالله العظيم، هي اتباع الخيال والاحتمال، فمن يتبع العقل يتخلص من التصورات النابعة من قوة الخيال، أو من ضغوط الشهوات، لأن العقل يربط بين الخيال النابع من الحب والغضب (الهوى) وبين الرؤية الصافية للحقائق، كما أن من يتبع العلم يتخلص من سلطان الاحتمالات التي لا مرجع لأحدتها على الآخر، أما الم GALA فـ فإنه يتبع الظن والخرص، وهو ما يدعوه إلى الخضوع للشركاء.

ويتضح إلى هنا ما يلي: أن كلمة (الخرص) وردت في اللغة بمعنى الكذب، وكذلك وردت بمعنى المحسد والتتخمين، وفي الأصل - كما قاله الراغب في مفرداته - بمعنى حزر الفواكه، ثم تخيّلها على الأشجار، ولما كان المحسد والتتخمين، يخطّيء أحياناً، فإن هذه المادة قد جاءت بمعنى الكذب أيضاً.

وأساساً، فإن اتباع الظن والمحسد الذي لا يستند إلى أساس ثابت يجر الإنسان في النهاية إلى وادي الكذب عادة، والأشخاص الذين جعلوا الأصنام شريكة لله سبحانه وتعالى لم يكن لهم مستند في ذلك إلا الأوهام.. الأوهام التي يصعب علينا اليوم حتى تصورها، إذ كيف يمكن أن يصنع الإنسان قائليل ومجسمات لا روح لها، ثم يعتبر ما صنعه وخلقه ربّا له وأنّه هو صاحب إرادته، وأن أمره بيده؟! يضع مقدراته في يده وتحت تصرفه ويطلب منه حل مشاكله؟!

أليست هذه الدعوى من أوضح مصاديق الزيف والكذب؟

بل يمكن استفادة هذا من الآية كقانون كلي عام وهو أن كل من يتبع الظن والأوهام الباطلة فإنه سينجر في النهاية إلى الكذب، إن الحق والصدق قائم على أساس القطع واليقين، أما الكذب فإنه يقوم على أساس التخمينات والظنون

والشائعات! ويتلخص لنا مما مضى:

أن الآية المتقدمة تدين الظن والوهم مرة أخرى وتردّه، لكن لما كان الكلام عن أوهام عبادة الأوثان الخرافية التي لا أساس لها، فإن الظن هنا لا يعني الظن العقلائي المدروس الذي يعتبر حجة في بعض الموارد، مثل شهادة الشهود وظاهر الألفاظ والإقرارات والمكابibات. وبناء على هذه فإن الآية أعلاه لا يبيح أن تكون دليلا على عدم حجية الظن.

### قرآننا، وحجية خبر الواحد

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾<sup>(١٥)</sup>.

قال بعض المفسرين كالطبرسي في مجمع البيان، هنالك قولان في شأن نزول هذه الآية. فقال الطبرسي أن الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾ نزلت في (الوليد بن عقبة) وذلك أن النبي ﷺ أرسّله لجمع الزكاة من قبيلة بني المصطلق فلمّا علم بنو المصطلق أن مبعوث الرسول ﷺ قادم إليهم سرّوا كثيراً وهرعوا لاستقباله، إلا أنّ الوليد حيث كانت له خصومة معهم في زمان الجاهلية شديدة، تصور أنهم يريدون قتلها، فرجع إلى النبي ﷺ ومن دون أن يتحقق في الأمر، وقال: يا رسول الله إنهم امتنعوا عن دفع الزكاة، ونعرف أن عدم دفع الزكاة هو نوع من الوقوف بوجه الحكومة الإسلامية، فغضّب النبي ﷺ لذلك وصمّ على أن يقاتلهم فنزلت الآية آنفة الذكر<sup>(١٦)</sup>.

وأضاف بعضهم أن النبي ﷺ حين أخبره الوليد بن عقبة بارتداد قبيلة (بني المصطلق) أمر خالد بن الوليد بن المغيرة أن يمضي نحوها وأن لا يقوم بعمل حتى يتريث ويعرف الحق، فمضى خالد ليلاً وصار قريباً من قبيلة بني المصطلق وبعث عيونه ليستقصوا الخبر فعادوا إليه وأخبروه بأنهم مسلمون (أوفياً لدينهم)

وسمعوا منهم صوت الآذان والصلوة، فغدا خالد عليهم في الصباح بنفسه فوجد ما قاله أصحابه صدقًا فعاد إلى النبي ﷺ وأخبره بما رأى فنزلت الآية آنفة الذكر، وعقب النبي ﷺ عليها: «الثاني من الله، والعجلة من الشيطان». وذكر بعض المفسرين قولًا آخر في شأن نزول الآية وعولوا عليه فحسب، وهو أن الآية نزلت في (مارية القبطية) زوج النبي ﷺ وأم إبراهيم عليهما السلام لأنه قيل للنبي ﷺ أن لها ابن عم يدعى جريحاً تتردد إليه أحياناً وبينهما علاقة غير مشروعة فأرسل النبي ﷺ خلف علي عليهما السلام السيف فقال له: يا أخي خذ السيف فإن وجدته عندها فاضرب عنقه... فأخذ أمير المؤمنين عليهما السلام السيف، ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله: أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة الحمام، أمضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فقال عليهما السلام: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، قال علي عليهما السلام: فأقبلت متوضحاً بالسيف فوجدها عندها فاخترطت السيف فلما عرف أنى أريده أتى خلة فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشعر برجليه فإذا أنه أجب امسح ماله مما للرجال قليل ولا كثير، فرجعت فأخبرت النبي ﷺ فقال: الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت<sup>(١٧)</sup>. من هنا على الإنسان أن لا يكتثر بأخبار الفاسقين.

كان الكلام في الآيات السابقة على الآية مورد البحث على ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون ووظائفهم أمام قائدتهم ونبيهم محمد ﷺ وقد ورد في الآيات المتقدمة أمران مهمان: الأول: أن لا يقدموا بين يديه. الثاني: هو مراعاة الأدب عند الكلام معه وعدم رفع الصوت فوق صوته.

من هنا، فلكي نحسن التجمع الإسلامي من التهافت والتآكل لا بد أن ننمي فيه احترام القيادة الشرعية، ونحسن من إشعارات الفاسقين الذين دأبهم تخريب العلاقات، ونجعل قرار الرسول أو من يخلفه هو الحكم الفصل في العلاقات، ونشكر الله بذلك على إيساغ نعمة الإيمان علينا حين حبه إلى نفوسنا، وكره إلينا الكفر والفسق، أو ليس ذلك فضل عظيم ونعمة من الله اجتبى لهم الصالحين من

## عبد الله بن محبه

والملاحظ أن السياق كرس القيادة الإسلامية واحترامها قبل كل شيء، لأنها الضمانة لسائر التعاليم كما أكد على مسؤولية الأمة تجاه الصلح بين طائفتها ضمانة أخرى لذات التعاليم.

في كتاب ربنا الكريم شفاء لأمراض المجتمع المستعصية لو استشفيناها ونفذنا تعاليمه، والصراع أعظم تلك الأمراض الذي يقتلع نهج القرآن الكريم جذوره البعيدة، ألا ترى كيف يحصن التجمع الإيماني من رياح الفتنة بتذكير المسلمين عن دور الأنبياء الكاذبة التي يبئها الفسقة فيفرقون بين الناس، ونهيهم عن الاسترسال معها، لأنها تؤدي إلى معارضته قوم أبرياء.

فتقول الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ ذلك أن دوافع الفاسق ومنطلقاته شيطانية فقد يكذب أو يشيء بنميم أو ينقل جانباً من الحقيقة ويискّت لنفع في أخطاء جسمية، أبرزها إثارة الفتنة في المجتمع.

الفاسق الذي تجاوز المحدود الالهي لا يمكنه أن يكون موجهاً للأمة، و مجرد الاستماع إلى نباء دون تحقيق وتبسيط يجعله في مقام التوجيه.

﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِيْمِينَ﴾ أي لكي لا يورطكم الفاسق في معارضته فئة مؤمنة من دون تحقيق منكم، ثم تندموا بعد فوات الأوان. ونستوحى من الآية المباركة عدة مفاهيم:

- 1- إن أكثر الصراعات الاجتماعية التي تعصف بالمؤمنين منشؤها الفاسقون الذين لا تررق لهم وحدة المؤمنين فيثيروا الفتنة بينهم وحين تتفكر في واقع المسلمين اليوم نجد أنَّ الذين يهيجون نار الصراع بينهم هم في الأغلب أبعد الناس عن القيم، وقد تكون سوابقهم السيئة وأحقادهم ضد الإسلام، وخشيتهم من الفضيحة هو السبب في تطرفهم ضد هذه الطائفة أو تلك. وإذا استطاع المؤمنون

إبعاد أثر الفسقة عن تجمعاتهم قدروا على سد أكبر ثغرة تهدد كيانهم.

٢- واليوم حيث يتعرض المسلمون لغزو ثقافي وهجمة إعلامية عبر ألف المؤسسات الدعائية المتنوعة ترانا أحوج مما مضى إلى تنفيذ هذه الوصية الإلهية أن نتبينَ عما يقولون؛ لأنهم فسقة لا يتقون الله فيما يقولون، هذه الوكلالات الخبرية التي توهها وتقودها الأنظمة هل تلتزم بالصدق؟ هذه الصحف الصفراء التي تنطق باسم المترفين والطغاة هل ترعى جانب الحق؟ هذه الإذاعات التي تصب في آذاننا وأذهاننا كل يوم سللاً من المعلومات المختلطة هل نضمن صدقها؟ كلا.. إذاً لا بد من التثبت، ولكن كيف؟ لأن حجم الأفكار والأخبار التي تبث عبر أجهزة الدعاية كبير، فإن قدرة الأفراد على التثبت منها محدودة، فلا بد إذاً من وجود مؤسسات موثوقة بها تقوم بدور المصفاة وتنقى السموم وتقدمه للمؤمنين. هذه المؤسسات قد تكون معاهد ومراكز للدراسات والبحوث، وقد تكون تنظيمات دينية، وقد تكون خبراء أكفاء يرجع إليهم المؤمنون في توثيق المعلومات، وقد تكون مؤسسات إعلامية بديلة، إذاعة صادقة، صحيفة ملتزمة أو وكالة للأنباء موثوقة بها.

٣- وأنّى كانت هذه المؤسسات فإنها أعمال اجتماعية لا ينظم أمرها إلا تحت إشراف القيادة الشرعية للأمة، فمن دون القيادة تذهب جهود الأفراد سدى، لأن مثل هذه الأعمال لا ينهض بعيبها أحد الناس، كما أنه لو لم تكن القيادة شرعية فإنها بذاتها تصبح مبعث الخطر، ولمثل هذا يذكر السياق القرآني بنعمة الرسالة والرسول وضرورة العودة إليه.

٤- إن خبر العادل حجة، قالوا بالرغم من أن الآية لا تدل على حجية خبر العادل صراحة وبصورة مباشرة، بل بما يسمى لديهم بفهم الوصف الذي لا حجية فيه عندهم، إلا أن فائدة بيان الوصف هنا ليست إلا أن الحكم يدور مدار

مثل أن نقول: إذا ذهبت لزيارة مريض فتجنب مواكلته، وإذا زرت بلاد الكفر فتزود بالبوصلة لصلاتك .. وما أشبه.

٥- ماذا يعني التبيّن؟ يبدو أنه يشمل كل أسلوب يؤدي إلى حالة الوضوح عند الإنسان، ولأن الله قد خاطب عامة المؤمنين بهذه الكلمة، فإن مفهوم التبيّن يكون عرفيًا أيضًا، بمعنى أن كلما تطمئن إليه نفس الإنسان العادي، حتى لا يبقى فيه شك معقول أو ارتياط يعني به العقلاء كاف حجة عند الله في الموضوعات.

فسوأً كانت البينة (شهادة عدلين) أو الشياع المفيد للطمأنينة، أو شهادة الخبراء من خلال مجموعة متراكمة من الشواهد والآثار أو خبر العامل العادل فإنه من التبيّن عند العقلاء، على أن العقلاء لا يعتمدون على بعض هذه الأدلة إذا كانت الظروف المحيطة باعثة للشك الحقيقي مثلًا: الشياع الذي يعتقد أن منشأ شائعة مغرضة لا يورث طمأنينة في النفس فهو إذاً ليس بمحنة.

كما أن خبر العامل فيما لا يخفى عند غيره يرتاب فيه العقلاء إذا انفرد به كما لو أنبأنا بأن الإذاعة الفلانية نشرت هذا الخبر، علمًا بأنها لونشرته لسمع أكثر الناس وتناقلوه، أو أخبر برؤية الهلال في ليلة صافية مما نعلم أنه لورآه هذا العامل لرآه غيره أيضًا، وإذا لم يشهد برؤيته غيره فإن العقلاء يشكون في كلامه، كذلك الحوادث الخطيرة لا يعتمد العقلاء عادة على الخبر الواحد فيها مثل الحروب.

عموماً: حالة التبيّن تختلف عند العقلاء حسب الموضوعات فلا بد من الالتفات إلى ذلك، ولعل الحكمـة التي سبقت في خاتمة الآية هي محور الحكمـ فعلينا أن ندور مداره، ونتفكـر كيف نتجنب الوقوع في الجهالة والنـدم.

وعوداً على عدم جواز الأخذ بقول الفاسق وذلك لما تبيـنه الآية من السبـب

في ذلك، فتقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيَ﴾ أي: بخبر ذي شأن ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ صدقه من كذبه بالبحث والتحقيق ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ أي: لئلا تصيبوا قوماً وأنتم جاهلون بحالهم ﴿فَتَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِيْمِ﴾.

نعم يتضح السبب في ذلك من خلال الشرط الثاني من الآية وهي: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِيْمِ﴾. فلو أنّ النبي ﷺ قد أخذ بقول (الوليد بن عقبة) واعتبر قبيلة بني المصطلق مرتدين أي: أنهم ارتدوا عن الإسلام وقاتلهم ل كانت فاجعة ومصيبة عظمى، وسيأتيانا توضيح القصة.

ويستفاد من لحن الآية التالية أن جماعة من أصحاب الرسول ﷺ أصرّوا على قتال بني المصطلق، فقال لهم القرآن الكريم إن هذا هو الجهل بعينه وعاقبته الندم.

واستدل جماعة من علماء الأصول على حجية خبر الواحد بهذه الآية لأنها تقول إن جاءكم فاسق بنينا ... ومفهومها أن العادل لو جاء بنينا فلا يلزم التبيّن ويصبح قبول خبره، إلا أنه أشكل على هذا الاستدلال بسائل عديده أهمها مسألتان:

**المسألة الأولى:** إن الاستدلال المتقدم ذكره متوقف على قبول (حجية مفهوم الوصف)، والمعروف أنه لا حجية لمفهوم الوصف. طبعاً -وكما تقدم- يتصور بعضهم أن المسألة هنا من قبيل مفهوم الشرط ومفهوم الشرط حجة، في حين أنه لا علاقة هنا بمفهوم الشرط، إضافةً إلى ذلك فإن الجملة الشرطية هنا لبيان الموضوع ونعرف أنه في مثل هذه الموارد لا مفهوم للجملة الشرطية أيضاً فلاحظوا بدقة (١٨).

**المسألة الثانية:** إن العلة المذكورة في ذيل الآية فيها من السعة ما يشمل خبر العادل والفاسق معاً لأن العمل بالخبر الظني -مهما كان- فيه احتمال

الندم.

لكن هاتين، المسألتين يكن حلهمما، لأن مفهوم الوصف وأي قيد آخر في الموارد التي يراد منها بيان القيد في مقام الاحتراز حجة، وذكر هذا القيد -قيد الفاسق- في الآية المتقدمة طبقاً للظهور العرفي لا فائدة منه تستحق الملاحظة سوى حجية خبر العادل!

وأما في مورد التعلييل الوارد في ذيل الآية فالظاهر أنه لا يشمل كل عمل بالأدلة الظننية، بل هو ناظر إلى الموارد التي يكون العمل فيها بجهالة، أي العمل بسفاهة وحمق لأن الآية عولت على الجهالة، ونعرف أن أغلب الأدلة التي يعوّل عليها العقلاء جميعاً في العالم في المسائل اليومية هي دلائل ظنية (من قبيل ظواهر الألفاظ وقول الشاهد وقول أهل الخبرة، وقول ذي اليد وأمثالها). ومعلوم أنه لا يعُدْ أَيُّ منها بأنه جهالة ولو لم يطابق الواقع أحياناً، فلا تتحقق هنا مسألة الندم فيه لأنه طريق عام.

وعلى كل حال فإننا نعتقد بأنَّ هذه الآية من الآيات المحكمات التي فيها دلالة على حجية خبر الواحد حتى في الموضوعات، وهناك بحوث كثيرة في هذا الصدد ليس هنا مجال شرحها.

إضافةً إلى ذلك فإنَّه لا يمكن إنكار أن مسألة الاعتماد على الأخبار الموثقة هي أساس التاريخ والحياة البشرية، بحيث لو حذفنا مسألة حجية خبر العادل أو الموثق من المجتمعات الإنسانية لبطل كثير من التراث العلمي والمعارف المتعلقة بالمجتمعات البشرية القديمة وحتى كثير من المسائل المعاصرة التي نعمل على صوئها اليوم. ولا يرجع الإنسان إلى الوراء فحسب، بل تتوقف عجلة الحياة، لذلك فإنَّ العقلاء جميعاً يرون حجيته والشارع المقدس أمضاه أيضاً (قولاً وعملاً). وبقدر ما يعطي خبر الواحد (الثقة) الحياة نظامها فإنَّ الاعتماد على الأخبار

غير الموثقة خطير للغاية، ومدعاة إلى اضطراب نظام المجتمع، ويجبر الووال والمسايب المتعددة، ويهدد الحشيشيات وحقوق الأشخاص بالخطر ويسوق الإنسان إلى الانحراف والضلال وكما عبر القرآن الكريم تعبيراً طريفاً في الآية محل البحث:

﴿فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾.

وهنا لطيفة أود إلفالات نظر قارئي الكريم إليها فهي تسترعي الانتباه، وهي أن صياغة الأخبار الكاذبة والتعويل على الأخبار غير الموثقة من الأساليب القديمة التي تتبعها النظم الاستعمارية والديكتاتورية لتخلق جوًّا كاذباً ينخدع به الجهلة من الناس والمغفلون فتنهب أموالهم وأرصدتهم بهذه الأساليب وما شاكليها. فلو عمل المسلمون بهذا الأمر الإلهي، الوارد في هذه الآية على نحو الدقة ولم يأخذوا بأخبار الفاسقين دون تبيّن لكانوا مصنونين من هذه البلايا الخطيرة.

والجدير بالذكر أن المسألة المهمة هنا هي الوثيق والاعتماد على الخبر ذاته، غاية ما في الأمر قد يحصل هذا الوثيق من جهة الاعتماد على الشخص المخبر تارة، وتارةً من القرائن الأخرى الخارجية، ولذلك فإننا قد نطمئن إلى (الخبر) أحياناً وإن كان (المخبر) فاسقاً.

فعلى هذا الأساس، فإن هذا الوثيق أو الاعتماد كيف ما حصل، سواءً عن طريق العدالة والتقوى وصدق القائل أم عن طريق القرائن الخارجية، فهو معتبر عندنا، وسيرة العقلاء التي أمضها الشارع الإسلامي مبنية على هذا الأساس. ولذا فإننا نرى في الفقه الإسلامي كثيراً من الأخبار ضعيفة السندي لكن لأنها جرى عليها عمل المشهور ووقف على صحة الخبر من خلال قرائن خاصة، فلذلك أصبحت هذه الأخبار -الضعفية السندي- صالحة للعمل وجرت فتاوى الفقهاء على وفقها.

وعلى العكس من ذلك قد تقع أخبار عندنا قائلها معتبر ولكن القرائن

الخارجية لا تساعد على قبولها، فلا سبيل لنا إلا الإعراض عنها وإن كان الخبر عادلاً ومعتبراً. فبناءً على هذا إن المعيار هو الاعتماد على الخبر نفسه، وإن كان الغالب كون الوسيلة هي عدالة الرواية وصدقه لهذا الاعتماد إلا أن ذلك ليس قانوناً كلياً، فلنلاحظ بدقة.

### قرآننا، وبيان كيف تسري وتتموج الفتنة في المجتمع المسلم؟

إنها تبدأ بشائعة تتلقفها الألسن ثم لا تلبث أن تتحول إلى تيار يحرف معه البسطاء، والانتهازيين، والغوضويين آنذاك تطفق الفتنة وأصحابها بالضغط على القيادة الشرعية التي عليها أن تختار بين الاستسلام لعاشرة الفتنة، أو خسران شريعة إجتماعية، فما هو الحل؟

الحل ينحصر في تجلی المجتمع بروح الانضباط وأن يعي الجميع أبعاد نعمة القيادة فيشكرونها شكراً عملياً، حقاً إن المجتمع الذي يعي أهمية القيادة الشرعية يتحصن ضد عواصف الفتنة الداخلية بذات الصلابة التي يقاوم بها عواصف التحديات الخارجية، لذلك يأمر القرآن الكريم بأن نعلم دور الرسول فينا، ثم من يخلفه ويرث مقامه بدرجة ما.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: ولا تنسوا أن فيكم رسول الله، فهو إذاً مبعوث من عند الله يحمل رسالة الحكمة والمعرفة وال بصيرة، وما دام كذلك فلا بد من الرجوع إليه عند الفتن والشبهات، ولا يجوز الضغط أو الإصرار عليه بقبول آرائكم وأهوائكم، لأن ذلك ليس من مصلحتكم.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾<sup>(١٩)</sup> وكيف لا تصيبهم المشقة والعنت وقد خالفوا العلم إلى الجهل، والحكمة إلى الجهالة؟! والمراد من ﴿لَعَنِتُمْ﴾ أي: لوقتهم في العنت، والعنت هو المشقة والواقع في عمل يخاف الإنسان عاقبته أو الأمر الذي يشق على الإنسان.

وهذه الآية ونصوص دينية أخرى تستهدف فصل الفسقة عن المجتمع الإسلامي نفسيًا، وتقليل دورهم في إدارة القضايا الاجتماعية، فإذا امتنع المسلمون عن العمل بأخبار الفاسقين، فقد أبعدوهم عن القضاء والإعلام، والشهادة في المحاكم وعن أعمال أخرى.

من هنا نجد المفسر المعروف القرطبي ينقل هنا نصاً عن ابن العربي يحسن بنا الاستماع إليه يقول: "ومن العجب أن يجوز الشافعي ونظراوه إمامة الفاسق ومن لا يؤتمن على حبة مال كيف يصبح أن يؤتمن على قطار دين، وهذا إنما كان أصله أن الولاة الذين كانوا يصلون بالناس لما فسدت أديانهم ولم يمكن ترك الصلاة وراءهم، ولا استطاعت إزالتهم صلي معهم ووراءهم، -وأضاف- ثم كان من الناس من إذا صلى معهم تقية أعادوا الصلاة لله، ومنهم من كان يجعلها صلاته، وبوجوب الإعادة أقول فلا ينبغي لأحد إن يترك الصلاة مع من لا يرضى من الأئمة ولكن يعيد سراً في نفسه ولا يؤثر ذلك عند غيره".<sup>(٢٠)</sup>

### قرآننا، وحجية الإجماع

يعتبر الإجماع أحد الأدلة الفقهية الأربع، وهو يعني اتفاق علماء الإسلام حول مسألة فقهية، وذكروا في علم أصول الفقه أدلة مختلفة لإثبات حجية الإجماع، ومن ضمنها قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ يشاقق: أي يخالف مع العداوة، ﴿الرَّسُولَ﴾ ولا يطيعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ﴾ أي: اتضحت ﴿لَهُ الْهُدَى﴾ أي: الحق، ﴿وَيَتَّبِعُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ويتبوع طريقة غير طريق المؤمنين وذلك بشق عصا المجتمع الإسلامي القائم على طاعة الله ورسوله، ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّ﴾ أي: نتركه وما اختار لنفسه، فنوجهه الوجهة التي ارتضتها لنفسه ونحرمه من التوفيق لتمييز الحق من الباطل، وندفعه في طريق الضلال ﴿وَنَصِّلِهِ﴾ أي: وندخله في الآخرة نار ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ



مَصِيرًا<sup>(٢١)</sup>.

إذ يعتبر بعض فقهاء الإسلام هذه الآية دليلاً على حجية الإجماع لأنها تقول أنّ من يختار طريقاً غير المؤمنين سيكون له مصير مشؤوم أسود في الدنيا والأخرة. وبناء على هذه الآية، فإنّ أي طريق يختاره المؤمنون -في أي مسألة كانت- يجب على الجميع السير في هذا الطريق.

والحقيقة أن هذه الآية لا صلة لها بمسألة حجية الإجماع، لا من قريب ولا من بعيد، وظبيعي أننا نقبل حجية الإجماع الذي يكشف لنا عن قول المعموم عالثية، ولكننا نعتبر حجية السنة وقول المعموم دليلاً لحجية هذا الإجماع، وليس الآية المذكورة.

والسبب في عدم قبولنا دلالة هذه الآية على حجية الإجماع، هو أنها تعين أولاً: عقوبات للأشخاص الذين يخالفون النبي ﷺ صراحة وعن علم وإدراك، ويختارون طريقاً غير طريق المؤمنين، فهذا العنصران يشكلان بأن هذا المصير إنما يتحقق لدى اختيار الشخص العنصريين المذكورين عن علم ودراسة، وليس لهذا الموضوع أية صلة بمسألة حجية الإجماع، ولا يدل بوحدة على هذه الحجية.

### قرآننا، ومنع القياس في الأحكام

و قبل البحث في هذه المسألة لا بد من مقدمة وهي أنه يبدو أن القرآن الحكيم يذكرنا بالموضوع الأساسي في سورة الأعراف حيث تبين طبيعة الإنسان، وأسباب انحرافه، لقد خلق الله الإنسان وجعل له الأرض مكاناً ومحلاً للرزق، ولكن رد فعله لم يكن الشكر، ولذلك لماذا لم يشكر؟

إن هذا يعود إلى قصة الخطيئة الأولى، حيث خلق الله آدم وجعله في أحسن صورة وتقويم وأعطاه الروح، والعلم، والإرادة، وأمر الملائكة بالسجود له، فلم يسجد إبليس له لأنّه خلق من نار بينما خلق آدم من طين وهذا يعتبر أول



قياس وهو قياس الشيطان وهكذا تكبر إبليس فطرد من السماء وأخرج صاغراً، بيد أن إبليس طلب المهلة، فأعطاه الله ما طلب، فاستغل إبليس مهلته في إغواء البشر عن الصراط المستقيم وأقسم أنه سيأتيهم من قدامهم ومن خلفهم، ومن قبل أيامهم وشمائلهم، ليحرفهم عن الشكر لله، لذلك أخرج ربنا إبليس كما أخرج الذين يتبعونه، وأوعدهم النار، وأن يلا بهم جهنم جميعاً، هكذا كانت جذور الانحراف عند الإنسان.

والآن مع الآيات -مورد البحث - وتوضيحها:

من نعم الله على الإنسان تكينه في الأرض، وتذليل الأرض وتسخيرها له، وجعل الله فيها معايش البشر، وما به تستمر حياتهم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ أي: سلطناكم أو اسكنناكم، أي: ولقد مكّنكم من التصرف في الأرض أو: ولقد أسكنكم في الأرض ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ أي: أسباب العيش أي: وجعلنا لكم فيها أسباباً متنوعة تعيشون بها، بيد أن البشر لا يفكرون في أسباب النعم وعواملها، لذلك لا يشكرون عادة من أنعم بها عليه، ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك!

**من أين تنشأ عادة الجريمة؟**

في قصة آدم وإبليس توضيح لهذا السؤال، لقد خلق الله البشر وصور خلقه جوهراً وصورة وهيئه، وربما المراد من الصورة هي ما أودع الله عند الإنسان من صفات وأخلاق، ومن غرائز وفطرة، وبالتالي العقل والإرادة كما قال سبحانه:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢٢)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٢٣)</sup>، أي: لقد خلقنا الإنسان من حيث الجسم والعقل والروح في أحسن تقويم، فجعلناه صالحًا للعروج إلى الرفيق الأعلى والفوز بحياة سعيدة خالدة عند ربه لا شقاء فيها، وذلك بما

### لماذا عصى إيليس؟

ولكن ما هي الصفة التي كانت في إيليس، فمنعته عن السجود بعد ما جاء الأمر الصريح؟

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتَكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٢٦)</sup>، لقد كان جواب إيليس واضحًا، لقد كان سبب عصيانه العنصرية، والزعم بأن عنصره أفضل من عنصر آدم، وعمومًا هناك مقياسان للإنسان، إما مقياس الذات، وإما مقياس العمل الصالح، فإذا كان مقياس الشخص هو ذاته، فإنه سوف لا يقف عند حد في جريته، لأنه لا يرى شيئاً أقدس من ذاته أو أعلى من نفسه، ومن هنا فإن جذر كل المشاكل البشرية هو: تقوّع

جهّزناه به من العلم النافع ومكّنّاه منه من العمل الصالح.

وقال تعالى: ﴿فَأَخْسِنَ صُورَكُمْ﴾<sup>(٢٤)</sup>، لأن هيكل الإنسان وتناسب أعضائه

يؤهله لإنجاز ما لا يقوى عليه شيء من سائر الموجودات الحية من صناعة وزراعة وتجارة ورزقكم من الطيبات المتنوعة التي تلائم طبيعة الإنسان من الحبوب والفاكه واللحوم وغيرها، ذلك الله المدبر لأمركم.

وبعدئذ أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، وربما كان السجود رمزاً لكرامة العلم والإرادة عند البشر، ورمزاً لتسخير الحيلة له بفضل العلم والإرادة، بيد أن الهدف من بيان قصة إيليس هنا، يختلف عن ذلك الهدف في سورة البقرة، حيث كان الهدف هناك -حسب الظاهر- هو: بيان تسخير الحياة للإنسان بفضل العلم، أما الهدف منها هنا فهو: بيان واقعة الخطيئة كيف؟ ولماذا وقعت؟ ﴿وَلَقَدْ حَلَقْنَاكُمْ صَوَرَنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الذي يمثل الإنسانية وينوب عنها ﴿فَسَجَدُوا﴾ خضوعاً له وتكرمة ﴿إِلَى إِيلِيس﴾ الذي كان مع الملائكة ولم يكن منهم بل كان من الجن ﴿لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾<sup>(٢٥)</sup>.

الإنسان في ذاته، واعتقاده بأن ذاته هي المقياس، وما الإقليمية، والقومية، والعشائرية، وكل الحواجز الذاتية ما هي سوى آثار لهذه العنصرية المقيدة.

### أول قياس هو قياس الشيطان

القياس في الأحكام والحقائق الدينية مرفوض بشكل قاطع في أحاديث عديدة وردت عن أهل البيت عليهما السلام، ونقرأ في هذه الأحاديث أنَّ أول من قاس هو الشيطان، قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي حنيفة: «لا تقس، فإنَّ أول من قاس إبليس»<sup>(٢٧)</sup>، وقد روي هذا المطلب في تفاسير أهل السنة قدِيمًا وحدِيثًا مثل تفسير الطبرى عن ابن عباس وتفسير المنار وابن سيرين والحسن البصري<sup>(٢٨)</sup>.

والمراد من القياس هو أن نقيس موضوعاً على آخر يتشابهان من بعض الجهات، ونحكم للثاني بنفس الحكم الموجود للموضوع الأول من دون أن نعرف فلسفة الحكم وأسراره كاملة، كأن نقيس بول الإنسان المحكوم بالنجاست، ووجوب الاجتناب عنه بعرق الإنسان، ونقول: بما أن هذين الشيئين يتشابهان من بعض الجهات وفي بعض الأجزاء، لهذا يسري حكم الأول إلى الثاني فيكون كلاهما نجسين، في حين أنها حتى لو تشابها من جهات فهما متفاوتان مختلفان من جهات أخرى أيضاً، فأحدهما أرق والآخر أغليظ، والاجتناب من أحدهما سهل، ومن الآخر صعب وشاق جداً، هذا مضافاً إلى أنه ليست فلسفة الحكم الأولى معلومة لنا بالكامل، فمثل هذا القياس ليس سوى قياس تخميني لا أكثر.

ولهذا السبب منع أممٌ<sup>(٢٩)</sup> من القياس بشدة؛ لأنَّ فتح باب القياس يتسبب في أنْ يعمد كل أحد بالاعتماد على دراسته المحدودة وفكرة القاصر وب مجرد أن يعتبر موضوعين متساوين من بعض الجهات، أن يعمد إلى إجراء حكم الأول على الثاني، وبهذا تتعرض قوانين وأحكام الدين إلى الهرج والمرج.

إن بطلان القياس عقلاً ليس مقصوراً على القوانين الدينية فحسب، فالآطباء

هم أيضاً يؤكدون في توصياتهم على أن لا تعطى وصفة أيّ مريض لمريض آخر مهما تشابها في بعض النواحي، وفلسفة هذا النهي واضحة، لأنّه قد يتتشابه المريضان في نظرنا من بعض النواحي، ولكن مع ذلك يتفاوتان من جهات عديدة، مثلاً من جهة القدرة على تحمل الدواء، وفترة الدم، ومقدار السكر في الدم، ولا يستطيع الأشخاص العاديون من الناس أن يشخصوا هذه الأمور، بل تشخيصها يختص بالأطباء ذوّي الاختصاص في الطب، فلو أعطيت أدوية مريض لآخر دون ملاحظة هذه الخصوصيات، فمضافاً إلى احتمال عدم الانتفاع بها، فإنّها ربما تكون منشأً لسلسلة من الأخطار غير القابلة للجبران.

والأحكام الإلهية أدق من هذه الجهة، وهذا جاء في الأحاديث والأخبار أنه لو عمل بالقياس لحق الدين، أو كان فساده أكثر من صلاحه<sup>(٢٩)</sup>.

أضف إلى ذلك أن اللجوء إلى القياس لاكتشاف الأحكام ومعرفتها دليل على قصور الدين، لأنّه إذا كان لكل موضوع حكم في الدين لم تكن آية حاجة إلى القياس، وهذا فإن الشيعة حيث أنّهم أخذوا جميع احتياجاتهم من الأحكام الدينية من مدرسة أهل البيت وورثة النبي ﷺ لم يروا حاجة إلى اللجوء إلى القياس، ولكن فقهاء السنة حيث إنّهم تجاهلوا مدرسة أهل البيت علیهم السلام الذين هم حسب نص النبي ﷺ الملجأ الثاني للمسلمين بعد القرآن الكريم لذلك واجهوا نقصاً في مصادر الأحكام الإسلامية وأدلتها، ولم يروا مناصاً من اللجوء إلى القياس.

وأما في مورد الشيطان، فنحن نقرأ في النصوص والروايات أنه كان أول من قاس، والنكتة فيها أنه قاس خلقته -من الناحية المادية- بخلقة آدم، وتنسّك بأفضلية النار على التراب في بعض الجهات، واعتبر ذلك دليلاً على أفضلية النار من جميع النواحي، من دون أن يلتفت إلى امتيازات التراب، بل ومن دون أن



يلتفت إلى امتيازات آدم الروحانية والمعنوية، فحكم على طريق ما يسمى بقياس الأولوية، ولكن قياساً على أساس التخمين والظن والدراسة السطحية والحدودة، بأفضليته على آدم، بل ودفعه هذا القياس الباطل إلى تجاهل الأمر الإلهي. ولملفت للنظر أنه ورد في بعض الروايات المروية عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ في مؤلفات الشيعة والسنّة معاً أنه قال: «من قاس أمر الدين برأيه قرئ الله تعالى يوم القيمة بإبليس»<sup>(٣٠)</sup>.

فإن قياس موضوع موضوع آخر من دون علم بجميع أسراره وفلسفته، لا يصح أن يكون دليلاً على اتحاد حكمهما، ولو أنّ القياس تطرق إلى مسائل الدين وقضايا الشريعة لم تبق للأحكام ضابطة ثابتة، إذ يمكن حينئذ أن يقيس شخصٌ ما موضوعاً بنحوه، ويصدر حكماً بحربته، ويقيس شخص آخر الموضوع نفسه بنحو آخر ويصدر حكماً بحليته.

والمورد الوحيد الذي يمكن استثناؤه من هذا الأمر هو ما إذا ذكر المقنن أو الطبيب نفسه دليلاً حكمه وفلسفته قانونه، ففي هذه الحالة يجوز لنا إذا رأينا هذا الدليل وهذه الفلسفة في موضوع آخر أن نجري الحكم فيه ونعدّيه إليه أيضاً، وهذا هو ما اصطلاح عليه بالقياس المنصوص العلة، مثلاً: إذا قال الطبيب للمريض: يجب أن تتجنب تناول الفاكهة الفلانية لأنها حامضة، علم المريض بأنّ المجموعة تضره، وأنه يجب أن يتتجنب المجموعة وإن كان في فاكهة أخرى.

وهكذا إذا صرّح القرآن الكريم أو صرّحت السنة الشريفة بأنّ: تجنبوا الخمر لأنّه مسكن، علمنا أن كل مسكن حرام (وإن لم يكن حمراً) ويجب اجتنابه. إنّ هذا القياس ليس باطلًا ولا ممنوعاً، لأنّه معلوم الدليل ومنصوص العلة مقطوع بها والقياس الممنوع هو فيما إذا لم يكن بدليل الحكم وفلسفته بصورة القطع ومن جميع الجهات.

على أن مبحث القياس مبحثٌ واسع الأطراف، وما مضى من البحث ما هو إلا عصارة منه، ولمزيد التوضيح والاطلاع يمكنك أيها القارئ - مراجعة كتب أصول الفقه وكتب الأخبار في باب القياس، ونختم البحث الحاضر بذكر بعض الأحاديث في هذا المجال:

جاء في كتاب علل الشرائع، دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام فقال له: يا أبو حنيفة، بلغني أنك تقيس؟ قال: نعم، أنا أقيس. قال: لا نفس فإن أول من قاس إبليس حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين ففاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل من بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر <sup>(٣١)(٣٢)</sup>.

### قرآننا، وحجية القياس

إن هذه المسألة تطرح عادةً في أصول الفقه، وهي أنها لا نستطيع إثبات الحكم الشرعي عن طريق القياس كقولنا مثلاً: إن المرأة الحائض التي يجب أن تقضي صومها يجب أن تقضي صلاتها كذلك) -أي يجب أن تكون استنتاجاتنا من الكلي إلى الجزئي، وليس العكس - وبالرغم من أن علماء أهل السنة قد قبلوا القياس في الغالب كأحد مصادر التشريع في الفقه الإسلامي، فإن قسمًا منهم يوافقوننا في مسألة (نفي حجية القياس).

والظريف هنا أن بعض مؤيدي القياس أرادوا أن يستدلوا بمقصودهم بالآية التالية: ﴿وَكَذُلِكُ عِلْمَتُمُ النَّشَأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣٣)</sup> أي قيسوا النشأة الأخرى (القيامة) على النشأة الأولى (الدنيا) إلا أن هذا الاستدلال عجيب، لأنه أولاً: إن المذكور في الآية هو استدلال عقلي وقياس منطقي، ذلك أن منكري المعاد كانوا يقولون: كيف تكون لله القدرة على إحياء العظام التخرّة؟ فيجيبهم القرآن الكريم بالمفهوم التالي: إن القوة التي كانت لها القدرة على خلقكم في البداية

هي نفسها ستكون لها القدرة لخلقكم مرة ثانية، في الوقت الذي لا يكون القياس الظني بالأحكام الشرعية، بهذه الصورة أبداً، لأننا لا نحيط بصالح ومفاسد كل الأحكام الشرعية.

وثانياً: إنّ من يقول ببطلان القياس يستثنى قياس الأولوية، فمثلاً يقول تعالى: ﴿فَلَا تُقْرِنُهُمَا أَفَ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾<sup>(٣٤)</sup> وفهم بطريق أولى ألا نؤذيهما من الناحية البدنية، والآية مورد البحث من قبيل قياس الأولوية وليس لها ربط بالقياس الظني مورد الخلاف والنزاع، لأنه لم يكن شيء من المخلوقات في البداية، والله عز وجل خلق الوجود من العدم وخلق الإنسان من التراب، ولذا فإن إعادة الإنسان إلى الوجود مرة أخرى أيسر من خلقه ابتداءً، وتعكس الآية الكريمة التالية هذا المفهوم حيث يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ﴾ من غير سابق مثال ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد إهلاكه ﴿وَهُوَ﴾ أي: الإعادة ﴿أَهُونَ عَلَيْهِ﴾ من البدء، طبعاً بالقياس إلى أصول الإنسان وإلا فهما في السهولة سواء.

يعني بتعبير أجل: إن الله تعالى يبدأ الخلق بقدرته، إذاً فهو أهون عليه حين يعيده، وبالنسبة إلى المخلوق فإن تقليد شيء مصنوع أسهل من ابتكاره، أمّا بالنسبة إلى الخالق المبدع فإن الأمور لا تقاس بالصعوبة أو بالسهولة، لأنّ أمره بين الكاف والنون، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٣٥)</sup> وإنما عبر بأنه أهون لبيان هذه الحقيقة، أنّ إعادة الشيء بعد الخلق بذاتها أهون من ابتداع خلقه (حتى ولو كانت بالنسبة إلى قدرة الله سواء) فلماذا نراهم يؤمنون بأول الخلق، ويكررون برجعته، وهي عند الله يسير؟!

ولأنّ ربنا المثل الأعلى فلا يمكن أن نقيس به شيئاً فهو الأعلى مما نرى وما لا نرى في السموات والأرض، ولا يجوز إذاً أن نشبهه بشيء أو نتوهمه أو نتصوره سبحانه، جاء في الحديث المأثور عن الإمام الصادق ع عليه السلام في تفسير الآية:

«الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتورّم فذلك المثل الأعلى»<sup>(٣٦)</sup>.

### المواهش:

- (١) سورة الحج، الآية ٨.
- (٢) تفسير الامثل، ج ١٠، ص ٢٠٣.
- (٣) سورة الزمر، الآية ٥٥.
- (٤) المجمع، ج ٨، ص ٥٠٣.
- (٥) سورة الملك، الآية ٢.
- (٦) سورة الزمر، الآية ١٨.
- (٧) تفسير البرهان، ج ٤، ص ٧٩، للبحراني تبّش.
- (٨) سورة الزمر، الآية ٥٥.
- (٩) سورة يونس، الآية ٣٦.
- (١٠) سورة النجم، الآية ٢٨.
- (١١) سورة النعم، الآية ٢٣.
- (١٢) سورة يونس، الآية ٥٩.
- (١٣) يرجى من قارئي الكريم، مراجعة تقارير البحث الخارج، لأستاذنا آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازى دام ظله العالى، لوجود بحوث في هذا الاستدلال ذكرها في مباحث علم الأصول.
- (١٤) سورة يونس، الآية ٦٦.
- (١٥) سورة الحجرات، الآية ٦.
- (١٦) تفسير مجعٰ البیان، ج ٩، ص ١٣٢.
- (١٧) تفسير مجعٰ البیان، ج ٩، ص ١٣٢ بتصرف، كما ورد في تفسير نور الثقلین بصورة مسہبة، ج ٥، ص ٨١.
- (١٨) من حواشى تفسير الأمثل على الآية.
- (١٩) سورة الحجرات، الآية ٧.

- ٢٠) نفس المصدر، ص ٢١٣.
- (٢١) سورة النساء، الآية ١١٥.
- (٢٢) سورة الحجر، الآية ٢٩.
- (٢٣) سورة التين، الآية ٤.
- (٢٤) سورة غافر، الآية ٦٤.
- (٢٥) سورة الاعراف، الآية ١١.
- (٢٦) نفس السورة، الآية ١٢.
- (٢٧) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٦.
- (٢٨) تفسير المنار، ج ٨، ص ٣٢١، وتفسير الطبرى، ج ٨ و ٩، وتفسير القرطبي، ج ٤، ص ٢٠٦٧.
- (٢٩) وسائل الشيعة، ج ١٨، باب القياس.
- (٣٠) تفسير المنار، ج ٨، ص ٣٣١، ونور الثقلين ج ٢، ص ٧.
- (٣١) نور الثقلين، ج ٢، ص ٦، وعلل الشرائع، ص ٨٦.
- (٣٢) تفسير الامثل، ج ٤، ص ٣٩٨.
- (٣٣) سورة الواقعة، الآية ٦٢.
- (٣٤) سورة الاسراء، الآية ٢٣.
- (٣٥) سورة يس، الآية ٨٢.
- (٣٦) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٨٠.



# Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- General Supervisor &  
Executive Manager:  
Abdulla Ali Al daqaq
  - Editor in Chief:  
Aziz Hassan Salman
  - Editor in Director:  
Abdulraoof Hassan Alrabia
  - Chairman of the Editorial Board:  
Ghazi Abdulhassan
- Editorial Board:
- husain ali abu rwais  
husain fuad Almarzooq  
mohammed ali khatam  
m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the  
Bahraini Students  
of the Educational Hawza the  
Holy City of Qom

